

قصة

دير القديس العظيم الأنبا يشوع

بين

الأمس واليوم



دير القديس العظيم الأنبا يشوع



إعداد
أحمد رقبان الدري

مراجعة وتقديم
صاحب النياقة العبر الجليل الأنبا صرابامون
أسقف ورئيس الدير

قصة
دير القديس العظيم الأنبا بيشوى
بين
الأمس واليوم

مراجعة وتقديم
صاحب النياقة الحبر الجليل الأنبا صرابامون
أسقف ورئيس الدير

إعداد
أحمد رهبان الدري

نوفمبر ١٩٩٠ ميلادية

هاتور ١٧٠٧ شهيد

الكتاب : قصة دير القديس العظيم الأنبا بيشوى بين الأمس واليوم .
اعداد : أحد رهبان الدير .
الطبعة : الأولى ١٩٩١ م .
المطبعة : الأنبا رويس الأوفست - الكاتدرائية - العباسية .
رقم الإيداع بدار الكتب : ٤٠٤٨ / ١٩٩١ م .



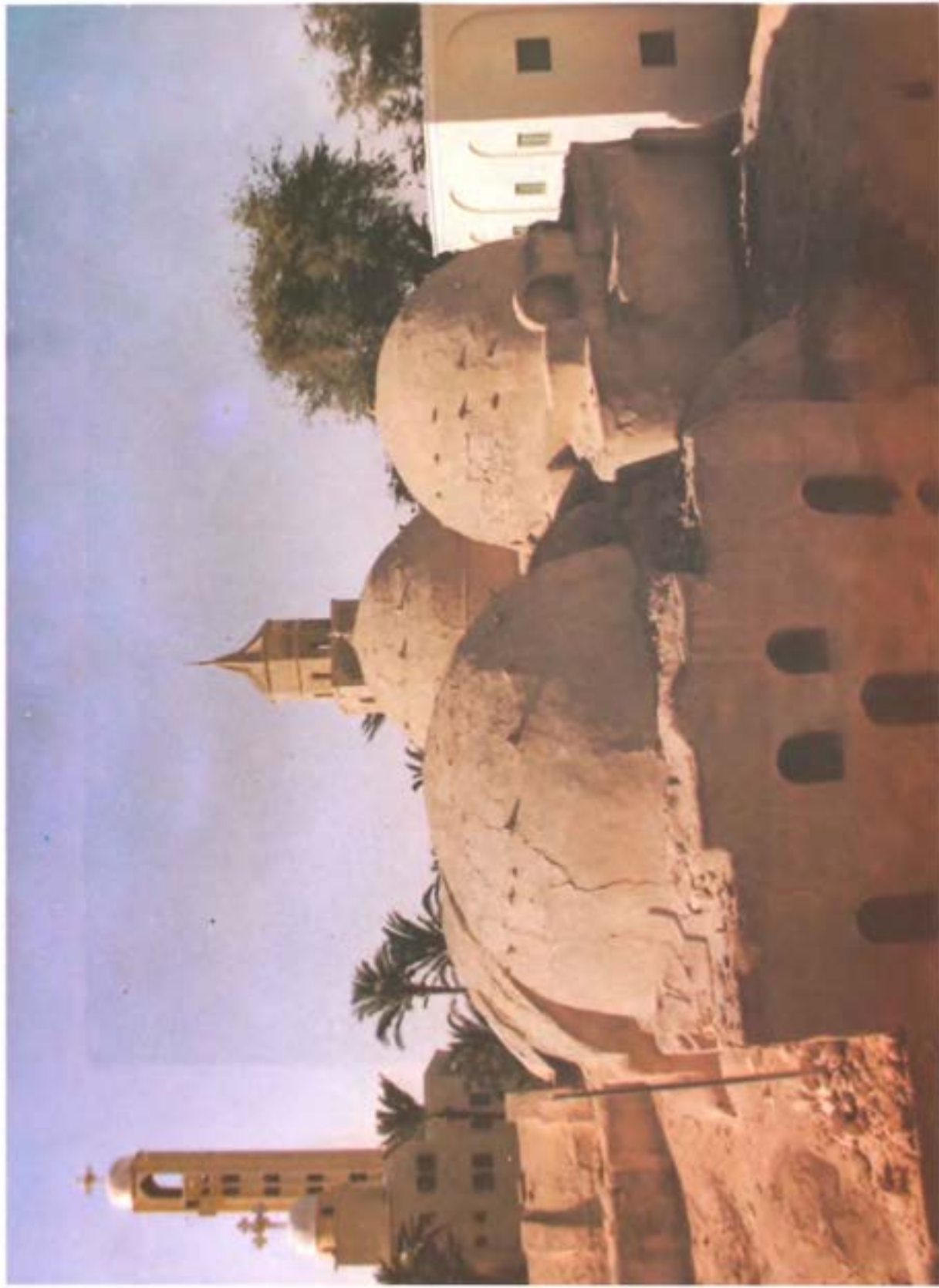
القديس الأنبا يشوع يغسل قدمي ربنا يسوع المسيح مخلصنا الصالح



قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وسائر اقاليم الكرازة المرقسية



صاحب النياقة الحبر الجليل
الأببا صرابامون
أسقف ورئيس دير القديس الأنبا بيشوى



دير القديس العظيم الأنبا يشوئ

إهداء

من رهبان دير القديس العظيم الأنبا بيشوى إلى،
صاحب الغبطة والقداسة البابا المنظم

الأنبا شنودة الثالث

بابا لهُسكندرية وبطرك لهُلولة والرسيّة

أثناسيوس القرن العشرين ومعمام الجيل وباعث النهضة الرهبانية
للمعاصرة بمناسبة العيد التاسع عشر لجلوس قداسته على كرسي مارمرقس
الرسول وشريكه في الخدمة الرسولية صاحب النياحة الحبر الجليل ؛

الأنبا هيرل باحوق

أسقف ورئيس الدير

اعترافاً بفضلهما وأتباعهما وتضحياتهما في تغيير الدير رهبانياً وعمراييناً

بسم الثالث القدوس

يتحدث أحد آباء الرهبة العظام معلناً أنه شهية هي أخبار القديسين كالماء للغروس الجدد، وقد عاش منذ القديم في برارينا المصرية كثير من الآباء القديسين حيث بدأت الرهبة القبطية، لتنتشر في العالم كله. لذلك نرى كثيرين من الآباء والمؤرخين في الشرق والغرب يأتون إلى البرية المصرية لكيما يتعرفوا وينهلوا من تعاليم الآباء ويقفوا على عمق سيرهم، أولئك الذين عاشوا تائهين في برارى وجبال ومغائر وشقوق الأرض (عب ١١: ٣٨). من أجل عظم محبتهم للملك المسيح ويقدموها للعالم لكيما ينظر الجميع إلى نهاية سيرهم ويتمثلوا بإيمانهم (عب ١٣: ٧).

من أجل ذلك أتى إلى برارينا المقدسة الآباء يوحنا كاسيان، وجرمانوس وبلاديوس وماراوغريس وروفينوس وهيلاريون والقديس أيرينيوس (جيروم) والقديس باسيليوس الكبير وغيرهم من الآباء القديسين العظام.

لم يكن حضورهم فقط هو الذى نقل الفكر الرهبانى القبطى الأرثوذكسى إلى العالم. ولكن سير آبائنا المكتوبة التى انتشرت في العالم أجمع كان لها أبلغ الأثر في امتداد الفكر الرهبانى إلى العالم كله. لذلك ليس غريباً أن يتأثر العالم بسيرة القديس أنطونيوس التى كتبها القديس أناسيوس الرسولى البابا العشرون. وكان على رأس من تأثر به القديس أوغسطينوس اسقف هيبونا (عنازة بالجزائر). علاوة على الرهبانيات المنتشرة في العالم كله مستنيرة بقوانين الآباء القديسين أنطونيوس ومكاريوس وباخوميوس.

ولقد أتى كثيرون من طالبي الرهبة من العالم كله لكي يتعلموا على الآباء الأقباط وإلى الآن نرى آثار أديرة الأرمن والحبش والروم في برية شيهيت «وادي النظرون» بالقرب من دير الأنبا بيشوى جنوب شرقى علاوة، على دير السريان العامر.

وكان من أشهر آباء القرن الرابع بيرية شيهيت قديسنا العظيم الأنبا بيشوى الذى إرتبط إسم أبينا المحبوب قداسة البابا شنوده الثالث بحركة التعمير الكبيرة بديره العامر فى جيلنا المعاصر.

والذى يسرنا أن نقدم لك يا عزيزى القارىء سيرته العطرة لكيما تنهل من فيض النعمة المنسكبة عليه، حيث ينفرد هذا القديس العظيم بميزات كثيرة، فهو الوحيد المعروف فى كنيستنا بأنه الرجل الكامل الذى غسل قدمى مخلصنا الصالح، وهو الذى حمل الرب، والذى لم ير جسده فساداً كوعد الرب له.

حقاً كان أباً لكثيرين ويده عملت بقوة فى حياة أبنائه ولا زالت تعمل حتى الآن.

وإن كان التقليد يحدثنا أنه «كانت له يدٌ ممدودة من تابوته» لتبارك الآتين إليه، فهذه اليد مازالت ممتدة روحياً وتعمل بقوة، فنحن نرى يده تعمل بقوة فى حياة أبنائه، رهبان الدير الذين ببركته يتزايدون وينمون فى الروح ويقودون عملاً كبيراً فى كنيسة الله، حيث اختار الرب منهم آباء أساقفة كثيرين وكهنة يتحملون مسؤوليات متعددة. ولا زالت يده تعمل أيضاً فى تعمير ديره المبارك، فنرى العمران الكبير يتزايد فى كل يوم.

ولا زالت يده تعمل بقوة فى حياة المترددين الذين يأتون لنوال البركة ويقضون فترات الخلوة ويعقدون المؤتمرات، حتى صار خلية روحية تبعث نوراً فى الكنيسة كلها بل وفى العالم أجمع. فكم من نفوس أئت واستراحت من أتعابها وتابت عن خطاياها ومجدت الرب فى قديسه.

وهذا الكتاب علاوة على حديثه عن سيرة القديس الأنبا بيشوى فهو يعرض فى أسلوب شيق ومبسط نبذة عن الرهبنة القبطية، وكذلك يحكى قصة الدير قديماً وحديثاً والحركة العمرانية التى فيه، فهو سجل كامل لهذا الدير المبارك والأثر الذى تركه فى الكنيسة فى عصور مختلفة، كما يحوى تاريخ صنع الميرون مرتين.

ولذلك كله يسرنا أن نضع أمامك هذا الكتاب لكيما يكون بركة لك، لكيما تتعرف وتقتدى بكل ما فيه حتى يكون هناك إنتعاش فى حياة كل أبناء الكنيسة.

الرب قادر أن يستخدم هذا المجهود الذى قام به أحد أبنائنا رهبان الدير المبارك
لكيما يكون بركة وخلاصاً لكثيرين بشفاعه قديسنا العظيم الأنبا بيشوى وصلوات
ابينا المحبوب قداسة البابا الأنبا شنوده الثالث .

ولربنا المجد الدائم إلى الأبد آمين .

بنعمة الله

صرا بامون

أسقف ورثيس ديرا الأنبا بيشوى

الباب الأول

في نشأة وأصالة الرهبنة القبطية

لقد عاش القديس الأنبا بيشوى، راهباً تقياً ووصل إلى
هذه الدرجة من خلال حياته الرهبانية. فما هى الرهبنة؟
وكيف نشأت؟ وما هى علاقتها بالكنيسة وبالحضارة فى مصر
والعالم كله؟ وما هى مصادرها؟

هذا ما سنوضحه فى الفصول التالية ؟

نشأة الرهبنة القبطية

ماهى أهداف الرهبنة القبطية

يقول قداسة البابا شنودة الثالث (الذى عاش الرهبنة فى عمقها) فى كتابه «تأملات فى حياة القديس أنطونيوس» (صفحة ٥٢ - ٥٤) .

أحب القديس أنطونيوس الله ، ومن محبته له إنفرد به ، وأصبح لا يستطيع أن يفارقه ، ولا يستطيع أن ينشغل عنه بشخص آخر، وكما قال أحد الشيوخ الروحانيين فى ذلك إن محبة الله غربتنى عن البشر وعن البشريات .

ومن محبته لله وجد متعة روحية فى مخاطبته والتحدث إليه كما يقول داود النبى «محبوب هو إسمك يارب فهو طول النهار تلاوتى» وكما نقول فى التسبحة «إسمك حلو ومبارك فى أفواه قديسيك» .

إن عمق الرهبنة هو فى معناها الإيجابى وهو الالتصاق بالله . أما معناها السلبي الذى هو البعد عن العالم فهو مجرد وسيلة . ما أحلى قول داود النبى «أما أنا فخير لى الالتصاق بالرب» (مز ٧٣) . وكيف يلتصق الإنسان بالرب إن كان بكل مشاعره وفكره منشغلاً بالعالم وما فيه ؟

ومحبة الله كما قادت للوحدة والصلاة قادت إلى الزهد . لأن الشخص الذى يذوق الله وحلاوة محبته يبدو كل شىء آخر تافهاً أمامه ، وأمام حلاوة الله فكل شىء آخر يفقد قيمته ويصبح باطلاً وقبض الريح . وكما قال بولس الرسول «خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية ... لأ ربح المسيح» (فى ٣) .

وهنا نجد الزهد ليس مجرد عمل تغضب يغضب فيه الإنسان نفسه على ترك مقتنيات العالم وملاذه من أجل الله، إنما هو إقتناع عميق بتفاهة كل شيء، وهذا الاقتناع هو نتيجة لمحبة القلب لله. وهكذا يرى الإنسان أن كل متع العالم لا تشبعه فيزهد بها، لأن قلبه قد انفتح على محبة أكبر وأعمق وأسمى، هي محبة الله التي يتضاءل أمامها كل شيء آخر.

ونحن نسأل أنفسنا كيف استطاع القديس أنطونيوس أن يسكن وحده في تلك المغارة البعيدة؟ وكيف احتمل البعد عن كل عزاء بشرى؟ وكيف وجد شعبه في الوحدة؟

الجواب : هو أنه كان شعباناً بمحبة الله، فلم يعوزه شيء.

الوحدة بالنسبة له لم تكن وحدة مطلقاً، وإنما كانت في حقيقتها عشرة مع الله ومع ملائكته.. عشرة ألد من عشرة البشر ومن المجتمعات البشرية. وعشرته مع الله جعلت المحبة تنمو في قلبه، فحينما كان يلتقى بالناس كان يلتقى بهم في حب وكانت معاملاته لتلاميذه مشبعة بروح الإيتضاع والود من ثمار الحب الذي فيه. وهكذا لم تكن وحدته إنطواءً وإنما حباً.

وفي صفحة ٢٣ من نفس الكتاب يقول قداسته :

صدقوني أن كلمة «رهبنة» ترجمة غير سليمة لحياة الوحدة، إن كانت مأخوذة من عبارة «يرهب الله» أى يخافه. فالقديس الأنبا أنطونيوس نفسه قال لأولاده :

● [أنا لا أخاف الله. ذلك لأننى أحبه، «والمحبة تطرد الخوف إلى خارج» (١يو٤ : ١٨)]. فيماذا نسمى الرهبنة التي قادها الأنبا أنطونيوس.

الرهبنة هي حياة الملائكة الأرضيين أو البشر السمايين. فالرهبان بشر يحيون حياة الملائكة وهم على الأرض.

هذا ما قاله قداسة البابا شنودة عن خبرة معاشة. وإن كانت كلمة راهب في اللغة العربية تعنى رهبة الله، ففي اللغة القبطية واللغة اليونانية يطلق على الراهب إسم موناخوس MONACHOS أى متوحد يعيش بمفرده. ومنها إشتق إسم الراهب في اللغات

الغربية المختلفة بحسب اختلاف النطق (Monk) في الإنجليزية، وMönch في اللغة الألمانية، وMoine في اللغة الفرنسية.. لأن الوحدة أو الغربية هي دعامة من الدعائم أو القواعد الأساسية للرهبنة، وهي البتولية والفقر الاختياري والطاعة والغربة أو الوحدة والعمل اليدوى. وهدف هذه القواعد هو الوصول إلى نقاوة القلب ونقاوة الفكر، وذلك للوصول إلى الصلاة النقية التى هى الصلة القوية بالله أى الوجود فى حضرة الله والالتصاق به، بل الاتحاد بعريس نفوسنا السمائي... وذلك بمحاولة التشبه بالسيد المسيح فى البتولية والفقر الاختياري (أخلى ذاته). والطاعة (أطاع حتى الموت موت الصليب) والغربة «للتعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار أما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه»، والعمل «أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل».

من هو الراهب

+ قال شيخ عن تعريف من هو الراهب : ان الراهب يدعى راهباً من وجهتين الأولى : أن يبتعد عن المناظر، ويرفض العالم وكل ما فيه (من شهوات وملذات) ولا يهتم بشيء البتة. والثانية : أن ينقى عقله من الأوجاع (الشهوات) ويتحد (يلتصق) بالرب وحده. وحينئذ يثمر ثمر الروح الذى هو الحب والفرح والسلامة والخيرية (فعل الخير) وطول الروح والود والوداعة .

+ ويعرف ماراسحق السرياني الراهب أو المتوحد بأنه [هو إنسان ترك العالم بالكلية وكذلك بلده وأقاربه ، وانتقل إلى الأديرة أو البرارى ليملك فى الهدوء ويعمل بيده ، ويقيت نفسه ويعبد الله نهائراً وليلاً] (عن بستان الرهبان) .

+ والقديس يوحنا الدرجى يعرف الراهب فى مقالته الأولى فيقول [الراهب هو من يصل إلى رتبة وسيرة عادى الأجساد (الملائكة) ، بينما هو يعيش فى جسد مادى هيولى فاسد . والراهب هو الحافظ وصايا الله وحدها فى كل زمان ومكان وعمل ، والراهب هو الذى لا يكف عن كبح طبيعته وحفظ حواسه ، والراهب جسد عفيف وفم طاهر وذهن مستنير، والراهب نفس حزينة لا تمل من تذكّار الموت فى النوم

واليقظة، وإعتزال الراهب للعالم هو مقت (كراهية) طوعى وجحود للطبيعة (الشهوات الطبيعية) لأجل البلوغ إلى ما يفوق الطبيعة (أى الأشواق الروحية) [.

[ليعلم جميع الذين يدخلون هذا الجهاد الصالح الذى هو (مثل نير المسيح) قاسى وصعب وفى الوقت نفسه سهل ، إنهم إنما يقدمون على القفز فى النار إن كانوا يريدون أن تسكن فيهم النار الروحية (نار الروح القدس) ، فليمتحن إذأ كل واحد ذاته ثم يأكل خبز الزهد المعجون بالمرارة ، ويشرب كأسه الممزوجة بالعبران (أى بالدموع) لئلا يجلب على نفسه الدينونة] .

فمن هو ياترى الراهب الأمين الحكيم ؟

هو من يحفظ غيرته متقدة إلى النهاية ، ولا يزال حتى الممات يزيد كل يوم على ناره ناراً وعلى إضطرامه إضطراماً ، وعلى شوقه (الروحى) شوقاً ، وعلى همته ونشاطه همة ونشاطاً دون إنقطاع .

+ ولما سأل القديس مكاريوس الراهبين اللذين كانا يعيشان فى جزيرة وسط البحيرة فى عمق الصحراء قائلاً : كيف أصبح راهباً ، أجابا : ما لم يرذل الإنسان كل أمور العالم لا يستطيع أن يصير راهباً .

+ والرهبة دعوة إلهية لا تقاوم وشوق روحانى جارف لا يمكن إيقافه ، وذبيحة طاهرة تنسكب على مذبح الحب الإلهى . لذلك كل الذين جاءوا إلى الرهبة لم يكونوا مترددين أو متزعزعين ولا لحظة واحدة ، بل بكل نار الحب الإلهى المضطربة فى قلوبهم قطعوا كل الرباطات الأسرية والاجتماعية والعالمية . وقفزوا قفزة عالية وكبيرة فوق كل العقبات والمعوقات الشيطانية ، فتلقفتهم الأحضان الإلهية بكل الرفق والحنان فوق الجبال المقدسة .

دوافع الرهبة

+ هناك من جاء إلى البرية المقدسة والحياة الرهبانية الملائكية طلباً للكمال المسيحى وتحقيقاً لقول السيد المسيح «إن أردت أن تكون كاملاً فاهب وبع كل

مالك ...» مثل القديس أنطونيوس .

+ وهناك من خرج من العالم زاهداً فيه ناظراً إلى نهاية كل شيء بائد، طالباً الطعام الباقي الذى للحياة الأبدية كما قال الكتاب ، مثل الأنبا بولا أول السواح .

+ وهناك من ألقى بنفسه بين أحضان المسيح طالباً التشبه به مقتفياً أثر خطواته إذ أنه مكتوب : تاركاً لنا مثلاً لتتبع إثر خطواته .

وأيضاً قال المغبوط بولس الرسول «تشبهوا بى كما أنا بالمسيح ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكملة الرب يسوع» .

+ وهناك من ذابت نفوسهم وقلوبهم من محبة المسيح الذى سكب نفسه للموت والعار من أجلنا وحباً لنا : هل حب أعظم من هذا أن يبذل أحد نفسه لأجل أحبائه . فجحداً كل شيء حتى أنفسهم وجاءوا إلى البرية المقدسة ليبادلوه حباً بحب . ولكن هيهات أن نقيس ما نبذله نحن البشر الضعفاء بما بذله إلهنا المتحنن من أجلنا ، بل لسان حال كل واحد منهم يقول «لأعرفه وقوة قيامته ، وشركة آلامه متشبهاً بموته» .

+ وهناك من فاتهم قطار الاستشهاد من أجل المسيح فلم يأسوا بل قدموا حياتهم ذبيحة استشهاد إرادى بدون سفك دم . «فطافوا فى جلود غنم وجلود معزى (المسوح) معتازين مكروبين مذلين وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم . تائهين فى برارى وجبال ومغائر وشقوق الأرض ...» (عب ١١ : ٣٧ - ٣٩) .

+ وفى هذا يقول ذهبى الظم إن الشهيد يعانى من العذاب عدة أيام لينال إكليل الشهادة [أما الراهب فهو يعانى من العذاب النسكى الإختيارى طول أيامه] .

+ وهناك من جاءوا طلباً للهدوء والسكون لأجل إقتناء نقاوة القلب ونقاوة الفكر ليصلوا إلى إقتناء الصلاة النقية التى فيها يكونون فى حضرة الله ويكون الله هو شعبهم ولذتهم وسرورهم وتعزيتهم ... فيلهجون بتسبيحه ليل نهار بغير فتور .

+ وهناك من اجتذبهم الله إلى البرية ليمجدوا إسمه لأنه يعرف مسبقاً إشتياق قلوبهم وتسليم حياتهم .

الفصل الثاني

قواعد الرهبنة القبطية

الرهبنة القبطية هي إنسكاب النفس وتقديم الحياة كلها نذراً للمسيح عريس نفوسنا ، ليكون هو الكل في الكل لنا ، مكرسين كل لحظة من العمر وكل حركة أو سكنة في حياتنا لتكون لمجد إسم المسيح ملكنا وإلهنا ورئيس خلاصنا ، وهذا الحب والتكريس يقودنا للبتولية لأنه لا يمكن أن ننظر إلى غيره أو نتحد بآخر، بل به هو شخصياً لأنه مكتوب «لأقدم عذراء (بكورية) عفيفة للمسيح». وأيضاً «من إتحد بالرب فقد صار معه واحداً».

وهذا بالتالى يقودنا إلى التجرد والزهد والفقر الاختيارى ، لأننا إذ نتحد به نتغذى ونتعزى به ، فتزهد نفوسنا كل طعام ماذى وكل غنى أرضى وكل شهوة جسدية.. ولذلك نتغرب عن العالم لزهدها فى ملذاته ونخرج وراءه فى البرية حاملين نيره .
ومنه نتعلم الطاعة إذ قد جحدنا ذواتنا فينبغى علينا أن نتمم وصايا الله ومشورة مرشديننا الملهمين بروح الله القدوس عاملين بكل اجتهاد .

أولاً ، البتولية

إن الأساس الأول للحياة الرهبانية هو البتولية أو البكورية تشبهاً بالسيد المسيح له المجد ، الذى دعانا أن نتبعه تاركاً لنا مثلاً لكى نتبع أثر خطواته ، ولقد كان القديس يوحنا الرسول الحبيب بتولاً ، لذلك إستطاع أن يتعرف على شخص السيد المسيح عندما ظهر له المجد لسبعة من تلاميذه على بحر طبرية بعد قيامته (يو ٢١ : ٧) . ويقول

القديس جيروم معلقاً على هذا [البتول (يوحنا الرسول) وحده هو الذى عرف البتول (السيد المسيح) ابن البتول (مريم العذراء)] .

وهكذا عاش القديس بولس بتولاً ومدح البتولية قائلاً « حسن للرجل أن لا يمس امرأة » (١ كو ٧ : ١) ، « من يتزوج يفعل حسناً ومن لا يتزوج يفعل أحسن » (١ كو ٧ : ٣٨) . وفسر ذلك قائلاً « غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضى الرب أما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضى إمرأته » (١ كو ٧ : ٣٢ ، ٣٣) . لذلك دعانا قائلاً « أريد أن يكون الجميع كما أنا » (١ كو ٧ : ٧) . ولكن السيد المسيح له المجد رد على اليهود الذين أرادوا أن يتصلوا من رباط وارتباطات الزواج قائلاً « ليس الجميع يقبلون هذا الكلام (البتولية) بل الذين أعطى لهم لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم الناس . ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات . من استطاع أن يقبل فليقبل » (مت ١٩ : ١١) . ولقد أوضح السيد المسيح هنا أن البتولية الحقيقية هى بتولية القلب والجسد معاً ، لهدف سامى هو لأجل ملكوت السموات ، وكعطية من الله (للذين أعطى لهم) . وكما قال القديس بولس الرسول « لكن لكل واحد موهبته الخاصة من الله ، الواحد هكذا (بتول) والآخر هكذا (متزوج) » (١ كو ٧ : ٧) . وكما دعا الرب كل واحد ، هكذا ليسلك (١ كو ٧ : ١٧) . وهذا يؤكد أن البتولية دعوة من الله كما أنها موهبة إلهية أيضاً للذين يريدون أن يتشبهوا بملائكة الله فى السماء كما قال رب المجد بفمه الإلهى « أبناء هذا الدهر يزوجون ويزوجون ولكن الذين حسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر (الآتى) والقيامة من الأموات لا يزوجون ولا يزوجون ، إذ لا يستطيعوا أن يموتوا أيضاً لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة (لو ٢٠ : ٣٤ - ٣٦) .

والبتول (الراهب) يترك كل شىء من أجل الله لذلك فله المواعيد والحياة الأبدية كما قال السيد المسيح له المجد « الحق أقول لكم ليس أحد يترك ... إمرأة أو أولاداً أو حقولاً لأجلى ولأجل الإنجيل إلا ويأخذ مائة ضعف الآن فى هذا الزمان وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية » (مر ١٠ : ٢٩ ، ٣٠) .

والقديس يوحنا الرسول البتول رأى مائة وأربعة وأربعين ألفاً على جبل صهيون مع الحروف (المسيح) ولهم إسم الآب مكتوب على جباههم وهم يترغنون كترنيمة جديدة أمام العرش وأمام الأربعة الأحياء والكهنة «ولم يستطع أحد أن يتعلم الترنيمة إلا المائة والأربعة والأربعون ألفاً الذين إشتروا من الأرض، هؤلاء هم الذين لم يتنجسوا مع النساء لأنهم أبكار (بتوليون) هؤلاء هم الذين يتبعون الحروف حيثما ذهب. هؤلاء اشتروا من بن الناس باكورة لله وللحروف وفي أفواههم لم يوجد غش لأنهم بلا عيب قدام عرش الله» (رؤ ١٤ : ١-٥). فالبتوليون هم الذين رأهم يوحنا مع المخلص على الجبل وكانوا يتبعونه حيثما ذهب، وهم وحدهم الذين عرفوا الترنيمة الجديدة.

ولقد كانت البتولية تشع من العهد القديم أيضاً مثلما كتب في (أش ٥٦ : ٣-٦) «لا يقل الخصى ها أنا شجرة يابسة لأنه هكذا قال الرب للخصيان (البتولين) إني أعطيهم في بيتي وفي أسوارى نصيباً واسماً أفضل من البنين والبنات، وأعطيهم اسماً أبدياً لا ينقطع». وأيضاً يقول صاحب نشيد الأناشيد عن بتولية النفس «أختي العروس جنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم (نش ٤ : ١٢). وفي مزمور ٤٤ يدعو المرتل النفس البشرية إلى ترك كل شيء حتى الشعب وبيت الأسرة لتلتصق بالرب ملك الملوك ورب الأرباب الذي اشتهى حسناتها قائلاً : «إسمعي يا ابنتي وانظري وأميلي سمعك وإنسى شعبك وبيت أبيك لأن الملك قد اشتهى حسنك».

ولعل هذه الالهات الكتابة عن البتولية مع تأمل حالة آدم وحواء في بتوليتهما وقلبهما المختوم (قبل السقوط) في الفردوس الذي يعيشه روحياً البتوليون الآن... كل هذا هو ما دفع بكثير من آباء العهد القديم إلى حياة البتولية ونعرف منهم إيليا النبي وأليشع النبي تلميذه والقديس يوحنا المعمدان.

ولكن في العهد الجديد ظهرت أمجاد البتولية واضحة من حياة ومثال السيد المسيح له المجد، وبعض الرسل مثل القديس يوحنا الحبيب والقديس بولس والقديس مرقس الإنجيلي، وفي الآيات الكتابية التي تظهر كرامة البتولية ومجدها، كيف أنها صورة

للسماء وللحياة الملائكية على الأرض وهذا ما استقر منذ القرن المسيحي الأول في عقول وقلوب المسيحيين .

● **فالقديس امبروسيوس** مثلاً يقول عن البتولين [فلا تتعجب إذا ما قورنوا بالملائكة الملازمين لرب الملائكة ، من يقدر إذاً أن ينكر أن هذا المنهاج (البتولية) من الحياة له نبعه من السماء ، ولم نجده بسهولة على الأرض إلا بعد ظهور ابن الله في جسد بشرتنا] .

وهذا هو السرف في أن كثيرين من المسيحيين الأوائل عاشوا في البتولية شوقاً للحياة الملائكية ورجاء في ملكوت السموات . وها نحن نسمع منذ القرن الثاني أن القديس ديمتريوس الكرام يعيش بتولاً مع زوجته ، والقديسة فيرنا العذراء والطبيبة المصرية التي ذهبت من جراجوس (قنا) مع القديس موريس والكتيبة الطيبية (من الأقصر) إلى سويسرا في القرن الثالث ، وها هو القديس أثناسيوس يبرهن على صدق الإيمان المسيحي بأن كثيرين من الشباب والشابات يعيشون في البتولية من أجل محبتهم في المسيح الذي دعاهم له .

● **ويقول الشيخ الروحاني (القديس يوحنا سابا) [طوبى لمن سكروا بحبك يا إلهي لأن بسكرهم بك استمتعوا بجمالك .. فإله أعطى محبيه طيباً وبه يسكرهم ويلذذهم ، هو بذاته يفرح بهم و يبتهج أيضاً ، هو هو عرسهم وهيكل فرحهم ، ينظرونه في داخلهم فيبتهجون ، يشرق لهم من داخلهم ويدهشهم بحسنه] .**

● **وأيضاً يقول [عجيبة هي أسرارك يارب وطوبى لمحبيك الذين بحسبك يضيئون كل ساعة ، هذه هي القيامة المتقدمة (الأولى) التي للأموات بالمسيح ، الذين قال عنهم الطوباوى بولس طوباكم أيها الرهبان لأنكم صرتم مع الوحيد واحداً ، ولأجل ذلك تعطى لكم أسرار الآب] .**

● **وها هو القديس يعقوب السروجي يمتدح البتولية قائلاً :**

+ [**مريم البتول تشهد لحسن البتولية لأن ابن الله أشرق منها بغير زواج من كل المساكن والمواضع الأرضية لم يستحسن ابن الله أن يحل إلا في البتولية (القديسة مريم)] .**

+ [البتوليون المتشبهون بالملائكة دخلوا عدن عن طريق البتولية]

ونعود فنقول إن السيد المسيح له المجد الذى أكرم البتولية فى شخصه وفى شخص أمه وفى تمثيلها بالملائكة وفى إستحقاقها للحياة الأبدية هو هو الذى خلق حواء لآدم من جنبه وأحضرها إليه فى جنة عدن (أول إكليل يعقد فى الفردوس) . وهو الذى بارك الزواج وقال «**إثمروا وإكثروا واملأوا الأرض**» . وهو الذى بارك عرس قانا الجليل بحضوره شخصياً فيه ، وهناك صنع أول معجزة ذكرها الكتاب وهى تحويل الماء إلى خمر .

ولقداسة البابا شنوده الثالث قول مأثور بأن جميع القديسين بما فيهم المتبتلين سيتكثرون فى أحضان ابراهيم واسحق ويعقوب وكلهم متزوجون كما أن السيد المسيح له المجد عندما تجلى على الجبل ظهر معه إيليا البتول وموسى المتزوج وكلاهما ظهرا فى مجد التجلى مع المخلص ، ولهذا قال السيد له المجد «**ليس الجميع يقبلون هذا الكلام .. إلا الذين أعطى لهم**» (مت ١٩ : ١١) وقال الحكيم بولس الرسول «**كل واحد له موهبته الخاصة من الله .. كما دعا الرب كل واحد هكذا ليسلك**» (١كو ٧ : ٧ ، ١٧) .

فالبتولية ليست إحتقاراً للزواج الذى هو سر مقدس قدسه الرب ، بل البتولية تسامى بالطبيعة البشرية للالتصاق بالله ، إذ يكون المسيح هو عريس النفس البتول ومصدر شعبها وفخرها وعونها وتعزياتها بل ومتعتها أيضاً بكل متعة ولذة روحية ، وكما أنه فى سر الزيجة المقدس يصير الزوج والزوجة جسداً واحداً ، هكذا فالبتول يصير واحداً مع الرب كما هو مكتوب «**وأما من التصق بالرب فهو روح واحد**» (١كو ٦ : ١٧) . «**أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم الذى لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم ، لأنكم قد اشتريتهم بثمن فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله**» (١كو ٦ : ١٩ ، ٢٠) .

وكما أن الزواج المقدس يعين المتزوجين على حفظ حياة الطهارة ، فالبتولية تعين الرهبان كذلك على حياة الطهارة الكاملة .

● ومن أقوال الشهيد القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة عن البتولية والطهارة :

+ [إننى أحذركم لئلا تخبئوا فى فضيلة الطهارة عالمين أنكم هياكل لله ، أعضاء المسيح مسكن الروح القدس .. إذ ولدتكم من جديد من الماء ، كى ما تكون الطهارة سائدة على الإرادة التى ينبغى أن نشاق دائماً أن تكون لنا إذ هى مقدمة لنا فى إستحقاقات الفداء ، لأن الذى تقدس بالمسيح لا يفسد بعد] .

+ الطهارة هى زينة الفضائل وشركة الطبيعة الإلهية .. الطهارة لا يهتمها أن يعجب بها أحد إلا ذاتها ، الطهارة دائماً وديعة لأنها أم البراءة .. هى بهاء ذاتها تطرد عنا كل صراعات الأهواء الخاطئة ، وتبث السلام فى كياننا .. إنها تجبر أعداءها على إحترامها حيث يزداد إعجابهم بها لأنهم غير قادرين أن يقتنوها لأنفسهم .

+ الطهارة تصل إلى درجتها الأولى فى المتبتلين .

+ لا يوجد فى القوانين شيئاً يخص البتولية لأن سموها يجعلها تسمو فوق الكل .. تأخذ مكانها المساوى للملائكة .. فماذا تكون البتولية إن لم تكن إستعداداً لأجناد الحياة الأخرى .

+ البتولية هى عدم الإحساس بالجنس لأنها دوام الطفولة .

+ البتولية لا تهاب الاضطهاد والاستشهاد من أجل الإيمان لأن سلامها لا يمكن أن يتزعزع .

+ لا شىء يبهج النفس المؤمنة إلا الضمير الصالح نحو عفاف بلا دنس ، إن اللذة العظمى هى أن نصرع اللذة . وليس من نصرة نناها تضاهى النصرة ضد رغبات الإنسان نفسه ... إن الذى تخلص من الرغبات الجسدية العالمية فقد تخلص من المخاوف ، لأنه من الرغبات تتولد المخاوف .. الذى غلب الرغبات فقد أسلم نفسه إلى السلام الدائم ... وتعود الحرية إلى نفسه .. إن الطهارة لا تحتاج إلى مهارة بل إلى رغبة كاملة صادقة لا تهتز ولا تتزعزع .

● ويقول القديس إغريغوريوس اسقف نيصص :

+ [هكذا عقل الإنسان الذى يترك هذا العالم الموحد المعتم ، وتحت إلحاح الروح يصبح نقياً مضيئاً متلامساً مع النقاء السماوى الحقيقى .. ينبعث ضوء من ذاته ويمتلئ بالاشعاعات النورانية لدرجة يصير هو ذاته نوراً بحسب وعد ربنا « يضىء الأبرار كالشمس » (مت ١٣ : ٤٣) هذا الاتحاد بين النفس والألوهية العديمة الفساد لا يتم إلا بوصول النفس البتول إلى أقصى نقاوة ممكنة ، إذ هى على صورة الله وشبهه ويتشكل جلالها بلامسة ورؤية مصدر كل جمال ، وتتقوى فى طبيعتها وصفاتها بدرجة كافية تبعدها عن كل ما هو بشرى] .

+ وهاك بعض مقتطفات من بستان الرهبان عن العفة :

● قال شيخ :

+ [طوبى للإنسان الذى يحفظ نفسه طاهراً من الصغر حتى الكبر ، طوبى لمن له نصيب فى قيامة الصديقين فإن الملائكة تأخذه إلى أجماد الحياة التى هى فرح ملكوت السموات] .

● قال القديس موسى الأسود :

+ [لنحب طهارة القلب والجسد لننجو من الدنس] .

+ [الذى يريد كرامة الرب عليه أن يتفرغ لطهارة نفسه من الدنس] .

+ [الذى يتهاون بعفة جسده ينجل فى صلاته] .

● قال مارافرام السريانى :

+ [مسك البطن وصيانة اللسان ولجام العينين طهارة الجسد . فإن أمسكت بطنك (بالصوم الشديد) وصنت لسانك (بالصمت) ولم تحفظ ناظريك (عينيك) ألا يجمحا فلست ممسكاً بالطهارة بالكامل] .

● قال الأنبا باخوميوس :

+ [إلزم البكورية فى أعضائك والطهارة فى قلبك وجسدك ، إياك والنجاسة فهى

تفصل الإنسان عن الله فأهرب من ملذات الدهر الحاضر] .

+ [إحرص على طهارة جسدك وسلامة قلبك فإنك إن تحققت من نواهما أبصرت الله ربك] .

+ [احتفظ بالقداسة لثلاث تفتضح في موضع الحكم (الدينونة) فيبصرك معارفك ويعيرونك قائلين: كنا نظنك حملاً فوجدناك ذنباً. أين تستر وجهك وكيف تفتح فاك. وبماذا تتخلص من عملك (الردىء) الملتصق بك كالصبغة بالثوب. وماذا تصنع؟ حينئذ تبكى ولا ينفع البكاء (يوم الدينونة) وتسأل ولا يسمع منك. فالآن يا بنى ارفض هذا العالم وأرذله وعش مستقيماً] .

● قال ماراسحق :

+ [من أكرم الجسد فقد أكرم معه الشياطين الذين خدعوه منذ القديم وأيضاً قال : معرفة الله لا تسكن في جسد محب للراحة، أى إنسان يحب جسده لا يؤهل لمواهب الله] .

ثانياً : التجرد والفقر الاختياري

+ إذا كانت الرهينة هي الانحلال من الكل والارتباط بالواحد (كما قال أحد الشيوخ الروحانيين) فينبغى أن ينحل الراهب من المقتنيات العالمية حتى يتحرر قلبه وتتحرر إرادته ويملك نفسه لأن مالك المال والمقتنيات يملكه المال وتملكه المقتنيات ، وتكون حاجزاً بينه وبين الله وبين الصلاة النقية ، إذ أن القلب منشغل بهذه المقتنيات فكيف يصلى الإنسان بقلبه بينما قلبه مشغول بالمقتنيات .

وكلما تجرد الإنسان من المقتنيات المادية كلما سقطت عنه الحواجز التى تظلم البصيرة وتظلم الجسد، وهكذا فبالتجرد الخارجى والتجرد الداخلى معاً يستنير الإنسان ويقتنى الفرح الحقيقى والبساطة والطمأنينة والسعادة الحقيقية إذ ليس له ما يخاف فقداه .

● ويقول مار فلكسينوس [حسب مقدار القنية هكذا تكون رباطات النفس ، فتعطل طيرانها إلى السماء] .

● والقديس موسى الأسود يقول [محبة المقتنيات تجعل العقل يضطرب والزهد فيها يمنحه الاستنارة] .

● ويقول الشيخ الروحاني للراهب [لا تلتصق بالمرتبطة بالماديات ولو بدرهم لأن المسكين من متاع الدنيا يستغنى بالله وصديق الأغنياء يتمسكن فيما للرب] .

● والقديس يوحنا القصير يقول [لا تضع بين عينيك شيئاً مشتته لئلا تبصر الله ، إعلم أنك راهب لا ينبغي لك أن ترتبط بشيء ما] .

● ولهذا يقول مار اسحق السرياني [رجل الله هو من مات عن حاجاته الضرورية] .

● ويقول القديس يوحنا الأسبوطي [إن لم يبدأ الإنسان بالتجرد من المقتنيات لا يمكن أن يتجرد عن آلام (شهوات) الأفكار الرديئة] . ويقول أيضاً [يجب أن يقترب التجرد من المقتنيات المادية بالتجرد من الخطايا الرديئة .. إلى أن لا يقتنى في نفسه شيئاً سوى محبة الله فقط] .

+ ولعل الذي ألهب حماس المسيحيين منذ القدم على التجرد هو ما فعله المخلص لأجل خلاصنا إذ أخلى ذاته آخذاً صورة عبد صائراً في الهيئة كإنسان ، ولذلك فلم يطبقوا أن يبقوا على المقتنيات بينما رئيس خلاصهم ، الذي كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان ، جعل نفسه معوزاً وكانت المريمات يخدمنه من أموالهن ، وعندما طالبوه بالجزية طلب من بطرس أن يصطاد وما يجده في السمكة يدفع منه عن السيد المسيح وعن نفسه ، وعندما أرسل تلاميذه للبشارة بالملكوت أرسلهم بلا كيس (للقود) ولا مزود (للطعام) بل ولقد أعلن السيد المسيح صراحة للشباب الغني الذي أراد أن يتبعه (ولكل من يريد أن يتبعه) «إن أردت أن تكون كاملاً فإذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال إتبعني» (مت ١٩ : ٢١) . لأنه إن أردنا أن نتبع المسيح وكان المال سيداً علينا فسيكون عقبة لأنه «لا يقدر أحد أن يخدم سيدين» (لو ١٦ : ١٣) .

وعرفنا السيد المسيح بأن الحياة ليست من المال فقال له المجد «فإنه متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله» (لوقا ١٢ : ١٥). ولكي يشجعنا أكثر على التجرد من المقتنيات والتصرف بها حتى نتجرد منها قال له المجد «بيعوا مالكم واعطوا صدقة أعملوا لكم أكياساً لا تفنى وكنزاً لا ينفذ في السموات، لأنه حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضاً» (لوقا ١٢ : ٣٣ ، ٣٤).

+ وأما كلمات السيد المسيح عن الترك فكانت هي السحابة التي اختطفت الرهبان حتى من قصور الملوك وكراسي العلماء والفلاسفة وحلقت بهم في سماء الحرية الروحية والتجرد طلباً لأشواق ملكوت الله، إذ قال له المجد «الحق أقول لكم إن ليس أحد ترك بيتاً أو والدين أو اخوة أو امرأة أو أولاداً من أجل ملكوت الله إلا ويأخذ في هذا الزمان أضعافاً كثيرة وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية» (لوقا ١٨ : ٢٩).

+ وهكذا منذ فجر المسيحية ترك الرسل كل شيء وتبعوا السيد المسيح وكل نفس تقابلت مع المسيح شبيعت به ووجدت ذاتها فيه فتركت كل شيء لأجله وطافوا... معتازين مكروبين مذلين وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم (عب ١١ : ٣٧ ، ٣٨). «كفقراء ونحن نغنى كثيرين كأن لا شيء لهم وهم يملكون كل شيء» (٢كو ٦ : ١٠).

وحينما نترك الماديات والعالميات من أجل الروحيات فنحن نطرح عنا ما هو ثقل علينا. بل «إنى أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح وأوجد فيه» (في ٣ : ٨ ، ٩).

والمسيحي عامة والراهب خاصة مدعو ليس فقط أن يتجرد من كل شيء مادي ومن كل إفتخار أو مديح بشري، بل ومن كل تعزية لا تكون السماء مصدرها، بل أيضاً مدعو أن يموت عن العالم كحبة الحنطة التي تدفن في الأرض وتموت لكي تحيا وتأتي بثمر كثير، فطريق الثمر الروحي المتكاثر للحياة الأبدية يبدأ بالموت عن العالم ونكران الذات بل جحدها كما قال المخلص له المجد «الحق الحق أقول لكم إن لم

تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها (بلا ثمر). ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير (لأنه) من يحب نفسه (محبة الذات واللذات) يهلكها، ومن يبغض (يمجد) نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية» (يو ١٢ : ٢٤).

● والموت عن العالم معناه كما قال القديس مرقس الناسك [أن نقت من كل قلوبنا محبة الفضة والمجد الباطل واللذة، لأنها أمهات للرذائل وأعداء محاربات الفضيلة. وهذا هو ما أوصانا به القديس يوحنا (١ يو ٢ : ١٥).

+ وهذا ما رسمه لنا السيد المسيح له المجد عندما هرب من الملك الأرضي ومن المجد البشري. فلما علم أنهم مزعمون أن يأتوا ليختطفوه ويجعلوه ملكاً إنصرف إلى الجبل وحده (يو ٦ : ١٥). ومرة أخرى قال «مجداً من الناس لست أقبل» (يو ٥ : ٤١). وهذا ما تعلمه وعبر عنه القديس يوحنا الرسول قائلاً «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ليس من الآب بل من العالم. والعالم يمضي وشهوته أما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد» (١ يو ٢ : ١٥-١٧).

لهذا ترك القديسون الأوائل كل ما لهم أو أعطوه صدقة كما فعل الرسل (أع ١٤ : ٣٤، ٣٥). وهذا ما فعله القديس أنطونيوس إذ باع كل ما كان يملك وأعطاه صدقة، وترك شيئاً يسيراً لأخته، وهذا ما فعله القديس أنبا بولا أول السواح، بل أن أولاد الملوك والعلماء والفلاسفة من أمثال القديسين مكسيموس ودوماديوس، والقديسة إيلارية والقديس أرسانيوس معلم أولاد الملوك، كل هؤلاء وغيرهم على مر الأجيال، زهدوا في المناصب العالمية وعظمة المملكة وكنوزها، وخرجوا وراء المسيح في البراري، وهم مكروبين وفقراء ومعتازين، وبدل البز والأرجوان إقترشوا رمال الصحراء، وبدل الوسائد الناعمة كانوا يتوسدون الصخور، وبدل الموائد الملوكية الشهية والفاخرة كانوا يأكلون الخبز اليابس مبللاً بالماء والملح أو الخل مع دموعهم عندما يحلون صومهم الانقطاعي.

● قال شيخ [لا تطلب ياراهب حوائج كثيرة لأنك عاهدت المسيح أن تعيش

معه بالفقر، لأن المسيح هو حياة النفس]، وقال آخر [إن المحب لله لا يحتفظ بمال].

+ هناك قصص أبائية نسكية كثيرة عن التجرد تعطر بها تاريخ الرهبة وتاريخ الكنيسة وصارت قدوة في التجرد، فيها هو الأنبا سراييون يعطى ثوبه الوحيد للإنسان مسكين عريان. ويبيع كتابه المقدس النادر (لعدم وجود مطابع في ذلك الوقت) ويعطى ثمنه لأحد الفقراء ليسدد ديونه عندما أراد صاحب الدين أن يعتقله، ولما أعطوا للأنبا سراييون ثوباً آخر قدمه أيضاً لأحد الفقراء، ولما رجع سأله تلاميذه أين ثوبك يا أبانا؟ فقال: أرسلته حيث سنجده أمامنا. فسألوه: وأين كتابك المقدس الذى كنا نتعزى به؟ فأجاب: كان كل يوم يقول لى بع كل مالك وأعطه للفقراء. فبعته هو أيضاً.

وهناك القديس مكاريوس الذى سرق اللصوص قلايته في حضوره فساعدهم في حمل الأمتعة قبل حضور الاخوة. وراهب آخر حدث له نفس الشيء فلم يزجرهم بل جرى خلفهم ليعطيهم ما قد نسوه من متاع القلاية. والآخر الذى كان يصلى مع تلميذه فلما حضر اللصوص لسرقة القلاية وأراد تلميذه منعهم قال له: دعهم يعملون عملهم (السرقه) ونحن نعمل عملنا (الصلاة).

وها هي قصة عنقود العنب الذى كان كل راهب يعطيه لآخر يظن أنه أحوج إليه منه، مازالت تتكرر في البرارى بل وفي ديار المؤمنين وبيوتهم، لأن الذى عمل في القديسين الأوائل مازال يعمل إلى الآن لأن يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد (عب ١٣ : ٨).

لنتخلى ليس فقط عن الأموال والمقتنيات والشهوات والتنعيم والمناصب والكرامات والمديح، بل لنسكب حياتنا كلها كسكيب وذبيحة حب عند قدمي المخلص كما فعلت تلك المرأة التى جاءت بقارورة طيب ناردين خالص كثير الثمن، وسكبته ودهنت بها قدمي يسوع ومسحت قدميه بشعرها فامتأ البيت من رائحة الطيب (يو ١٢ : ١-٣).

ولذلك لما كان الأب تادرس الفرمرى يقتنى ثلاثة أناجيل ثمينة جداً، فذهب إلى

الأنبا مكاريوس وقال له : عندى ثلاثة كتب وأنا أنتفع منها وكذلك الأخوة يستعيرونها وينتفعون منها ، فأخبرنى الآن ماذا ينبغى أن أفعل هل أستبقئها لمنفعتى ولمنفعة الأخوة ، أم أبيعها وأفرق ثمنها على المساكين . فأجاب القديس قائلاً : إن أعمال الرهبنة جميلة ، ولكن أعظمها الفقر الاختيارى . فمضى القديس تادرس وباع الكتب وأعطى ثمنها للفقراء .

● وقال شيخ [كل من ذاق حلاوة المسكنة فإنه يستثقل ثوبه الذى يلبسه وكوز الماء الذى يشرب به لأن عقله قد إشتغل بالروحيات] .

ثالثاً : الغربة

كثيراً ما كان السيد المسيح له المجد يذهب إلى الجبال والبرارى ليبيت حتى إنه قال عن نفسه « للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار ، أما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه » (لوقا : ٩ : ٥٨) . وذكر القديس لوقا فى إنجيله عن السيد المسيح أنه كان يعتزل فى البرارى ويصلى (لوقا : ٥ : ١٦) ، « وكان فى النهار يعلم فى الهيكل وفى الليل يخرج ويبيت فى الجبل » (لوقا : ٢١ : ٣٧) . وذكر القديس مرقس أنه بعد معجزة الخمس خبزات والسمكتين صرف السيد المسيح الجموع وألزم تلاميذه أن يركبوا السفينة ويسبقوه إلى بيت صيدا « وبعدهما ودعهم مضى إلى الجبل ليصلى » (مر : ٦ : ٤٦) . وقبل أن يختار تلاميذه « خرج إلى الجبل ليصلى » (لوقا : ٦ : ١٢) . وذكر القديس بطرس الرسول أنهم كانوا مع السيد المسيح فى الجبل مؤكداً « إذ كنا معه فى الجبل المقدس » (٢ بط : ١ : ١٨) .

ومعروف أيضاً أن القديس يوحنا المعمدان عاش فى البرارى منذ طفولته كما ذكر عنه القديس لوقا قائلاً « وأما الصبى فكان ينمو ويتقوى بالروح وكان فى البرارى إلى يوم ظهوره لاسرائيل » (لوقا : ١ : ٨٠) . فامتلاً قوة روحية ليصرخ كارزاً حتى قيل عنه « صوت صارخ فى البرية » (مت : ٣ : ٣) . والقديس بولس الرسول أيضاً بعد ما آمن إختلى فى البرية ثلاث سنوات (غل : ١ : ١٧ - ١٨) . ويؤكد أنه قابل أخطاراً فى البرية (٢ كو : ١١ : ٢٦) .

وفي العهد القديم أيضاً أمر الله ابراهيم ليخرج من أرضه ومن عشيرته ومن بيت أبيه (تك ١٢ : ١). ولما أراد الله أن يهلك سدوم وعمورة أرسل ملاكين ليخلصا لوط وأسرته «وكان لما أخرجاهم إلى خارج أنه قال إهرب لحياتك لا تنظر إلى ورائك ولا تقف في كل الدائرة، إهرب إلى الجبل لئلا تهلك» (تك ١٩ : ١٧).

وموسى النبی هرب إلى البرية وعاش فيها مدة أربعين عاماً وكلمه الله فوق الجبل، ولما أخرج بنى إسرائيل من مصر قادهم مدة أربعين سنة أخرى في البرية.

وقال عنه القديس إسطفانوس رئيس الشماسة وأول الشهداء «هذا هو موسى الذى كان في الكنيسة في البرية مع الملاك الذى كان يكلمه في جبل سيناء مع آبائنا» (أع ٧ : ٣٨). ولقد قاسى موسى وبنو إسرائيل من شظف العيش في البرية، ولكن الله لم ينس لهم ذلك بل قال لهم ولسكان البرارى من بعدهم لأجل اسمه «أنا الرب إلهك أنا عرفتك في البرية في أرض العطش» (هو ١٣ : ٥). وأيضاً «قد ذكرت لك غيرة صباك، محبة خطبتك، ذهابك ورائي في البرية» (أر ٢ : ٢).

وفي البرية القفرة إزدانت كنيسة العهد العتيق بالبهاء الإلهي الذى أشرق عليها لمحبتها لله وخروجها وراءه في القفر ولذلك يقول عنها سفر النشيد «من هذه الطالعة من البرية مستندة على حبيبها» (نش ٨ : ٥). وأيضاً «من هذه الطالعة من البرية كأعمدة دخان (بخور) معطرة بالمر واللبان» (نش ٣ : ٦) حيث تحمل النفوس التي سلمت ذاتها لله قفر البرية من أجل محبتها لله وشوقها له، كما قال داود النبی «يا الله إلهي إليك أبكر، عطشت إليك نفسي، يشواق إليك جسدي في أرض ناشفة ويابسة (برية قفرة) بلا ماء لكي أبصر قوتك ومجدك» (مز ٦٣ : ١-٢).

وعن هؤلاء جميعاً قال القديس بولس الرسول «وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم، تائهين في برارى وجبال ومغاير وشقوق الأرض» (عب ١١ : ٣٨).

هذه بعض الأمثلة التي وردت في الكتاب المقدس عن ارتباط حياة الصلاة والتسليم لله وأشواق الحب الإلهي بالسكنى في البرارى والجبال والتغرب عن العالم، كما قال السيد له المجد «لأنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم

لذلك يبغضكم العالم» (يو ١٥ : ١٩) ، لذلك نجد في ضمير المسيحيين منذ الابتداء محبة الاعتزال عن العالم من أجل محبة الله ، حتى منذ أيام ابراهيم وموسى والأسباط وايليا واليشع ويوحنا المعمدان ، وكانت البرية هي مصدر الصفاء النفسى الذى يهىء للنفس الالهام الإلهى واللهيب الروحى فى محبة الله . كما أن إقفرار البرارى وخلوها من وسائل الراحة الجسدية كانت عاملاً هاماً فى إماتة الأهواء الجسدية من أجل محبة الله . وفى هذا يقول أحد الآباء [إن مجرد النظر إلى القفر يمتد الشهوات الردية من القلب] وحسناً قال أنبا يعقوب [إن الغربة أفضل من إضافة الغرباء] .

+ وقد يتساءل إنسان لماذا يعتزل الراهب عن الناس ؟ الإجابة : ليس إستهانة بالناس أو عدم محبة لهم بل كما قال الشيخ الروحانى [أقطع حديثى مع الناس لكى أتحدث معك يا الله] وأيضاً قال [أولئك يارب الذين أشرقت عليهم بشعاع من حبك لم يحتملوا السكنى بين الناس ، بل قطعوا عنهم كل حب جسدانى ، وتغربوا عن كل شيء فى طلب المحبوب] .

ولما سألوا أحد القديسين لماذا تهرب من الناس ؟
قال [لأننى لا أستطيع أن أتحدث مع الله ومع الناس] .

● لذلك قال القديس يوحنا الدرجى [من يجب مخالطة الناس لن يستطيع أن يتفرغ لنفسه وهو عاهة لنفسه] .

● وقالت الأم سارة [إن أنا طلبت أن أصنع إرادة كل الناس فإنى سوف أوجد تائهة على باب كل أحد ، فينبغى لى أن أحفظ قلبى نقياً تجاه كل أحد وأنا مبتعدة عن كل أحد] .

● ولأحد القديسين قول مشهور [إن محبة المسيح غربتنى عن البشر والبشرىات] .

● ولذلك قال مارأوغريس [الراهب هو من انفصل عن الكل واتحد بالجميع وعد نفسه واحداً مع الجميع . كونه يرى نفسه فى كل أحد . أى ليس للتعالى عن الآخرين بل يرى نفسه فى كل واحد] .

+ ولماذا التغرب فى البرارى المقفرة ؟ لأنه لا توجد فيها أى وسائل للراحة وهذا

إمعاناً في احتمال آلام شظف العيش مشاركة لآلام المخلص كما قال القديس بولس «لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته لعلّي أبلغ إلى قيامة الأموات» (في ٣ : ١٠ - ١١) «ولأن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات» (غل ٥ : ٢٤). حتى لا نعطي راحة للجسد لئلا يعطل نمو الروح وأشواقها «لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً، ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية» (غل ٦ : ٨). وهذا هو رجاؤنا الحياة الأبدية مع المسيح، ولهذا كانت الغربة أفضل من إضافة الغرباء كما قال (الأب يعقوب).

● وقال شيخ [إن كل إنسان يسلم نفسه لشدة ما بهواه من أجل الله، فلي إيمان أن الله يحسبه مع الشهداء، وذلك لأن البكاء الذي يأتيه من تلك الشدة يحسبه له الله عوض الدم] (بستان الرهبان).

● ولقد ذكر كاسيان [إن هدف المتوحدين الأقباط الأوائل من سكنى الصحراء ليس إحتقاراً أو إشمئزاً من العالم ولا هروباً من المخاطر العالمية الزائلة أو الروحية، بل إبتغاء للوصول إلى حياة أسمى] ويضيف إيفيلن وايت [إن المقيم في الصحراء إنسان لم يقنع بهزيمته للشيطان في العالم، بل خرج إليه في البراري (عقر داره) ليتحداه في حرب علنية] (أديرة وادي النظرون الجزء الثاني صحيفة ١٤). وكمثال على ذلك ما حدث من كل من القديسين أنطونيوس ومكاريوس في حروبهما الشعواء ضد الشياطين التي كانت تظهر لهما علانية.

ولكن ليست كل غربة مقبولة أمام الله إلا إذا كانت من القلب من أجل الله فبنو إسرائيل قديماً تدمروا على موسى في البرية وإشتهوا قدور اللحم في أرض مصر (خر ١٦ : ٣). وإمرأة لوط كان قلبها متعلقاً بالعالم فلذلك نظرت وراءها فصارت عمود ملح عبرة لكل من يضع يده على المحراث ثم ينظر إلى الورا.

وفي هذا يقول قداسة البابا شنودة الثالث عن امرأة لوط [إنها خرجت من سدوم ولكن سدوم لم تخرج من قلبها، وكانت في يد الملاك ولكنها لم تنج من الهلاك].

إِيعاً ، الطاعة

الطاعة هي نتيجة حتمية للاتضاع الحقيقي لأن المطيع يفعل مشيئة ووصية آخر ويقدمها على مشيئته الخاصة .

ونحن معشر المسيحيين تعلمنا الطاعة من مصدر كنوز الحكمة والفهم ربنا يسوع المسيح الذي أطاع حتى الموت موت الصليب (في ٢ : ٨) إذ مع كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به (عب ٥ : ٨) . وهذا ليس بغريب على من جاء ليمحو بطاعته معصية آدم الأول ، وكما كان عصيان آدم الأول سبب هلاك الجميع بنيه هكذا كانت طاعة آدم الثاني (المسيح) سبب حياة أبدية لكل من يؤمن به .

وما خروج الأنبا أنطونيوس وكل أولاده الرهبان من بعده إلا طاعة للوصية « إن أردت أن تكون كاملاً فاهرب وبع كل مالك .. » .

فالطاعة أصلاً هي لمشيئة الله ولتنفيذ وصاياه لئلا يحصل التعدي ، لأن الخطية هي التعدي (١ يو ٣ : ٤) . كما أن طاعتنا للرسل وخلفائهم هي طاعة للسيد المسيح الذي قال لهم « الذي يسمع منكم يسمع مني » (لو ١٠ : ١٦) فطاعتنا للرسل هي طاعة للمخلص كما قال القديس بطرس « وصيتنا نحن الرسل (هي) وصية الرب والمخلص » (٢ بط ٣ : ٢) ولهذا لما خالف تلميذ الأنبا بيشوى وصية معلمه ولم يشرب من الماء ندم جداً بعد ذلك لما علم أن هذا الماء كان غسيل قدمي المخلص .

ولما أرسله معلمه إلى أحد الأنبياء في ملوى قال له هذا النبي : لماذا لم تسمع لكلام معلمك أما تعلم أنه هيكلك لله ومن يسمع له يسمع لله ؟ .

● ولهذا يقول القديس بطرس « أيها الأحداث اخضعوا للشيوخ وكونوا جميعاً خاضعين لبعضكم لبعض وتسربلوا بالتواضع » (١ بط ٥ : ٥) .

وكان القديس يحنس القصير مثلاً رائعاً في الطاعة ومازالت قصة غرسه لغصن

يابس (وتعهد بالرى يومياً حتى أثبت وأثمر) تثرى الفكر المسيحي عامة والفكر الرهباني خاصة بحلاوة الطاعة وسهولتها وبركاتها، وكذلك القديس بولس البسيط الذى كان الجميع - وأولهم معلمه الأنبا أنطونيوس - يتعجبون من طاعته فى بساطة وفرح على الرغم من شيخوخته، وكذلك قصة مرقس تلميذ الأنبا سلوانس الذى لما أرسله معلمه يستدعيه وكان قد بدأ يكتب حرف (u) فألقى القلم ولم يكمل الحرف الذى بدأ كتابته بل إنطلق بسرعة فرحاً للقاء معلمه خاضعاً لتعاليمه .

• كما قال الرسول بولس «اطيعوا مرشديكم واخضعوا لهم لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم» (عب ١٣ : ١٧) . بل وكتب لتلميذه تيطس قائلاً «ذكرهم أن يخضعوا للرياسات والسلطين ويطيعوا ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح» (تى ٣ : ١) . والقديس بطرس أيضاً يقول «اخضعوا لكل ترتيب بشرى من أجل الرب» (١ بط ٢ : ١٣) .

وإذا كان أهل العالم يفتخرون بتمردهم وعصيانهم فأبناء الله يفتخرون بطاعتهم وخضعوهم، ولهذا كان الأنبا بموا يمدح الطاعة كثيراً ويفضل المطيع عن المجتهد المتوحد وعن مضيف الغرباء وعن المحتمل المرض بصبر وشكر، ولما سأله لماذا ؟ قال [لأن المطيع يقدم مشيئة الآخر على مشيئته الخاصة، فهو يقطع هواه ومشيئته ليقيم مشيئة معلمه] .



شجرة الطاعة بدير أنبا يحنس القديس قبل أن تَطْع (عن كتاب إيقيلين دايت) ١٩٣٢م

● وقالت الأم صفرنيكى [إن الطاعة أفضل من النسك لأن النسك يعلم التعاضم أما الطاعة فتعلم الاتضاع ، فيجب علينا أن نطلب ما يصلح شأننا ولا نتعبد لمشيئتنا الخاصة بل علينا أن نطيع ما يأمرنا به ذاك (معلمنا) الذى بالأمانة نستودعه سرنا [(أب الاعتراف أو المرشد الروحى) .

● ولذلك يقول القديس أنطونيوس [إن الطاعة والمسكنة تخضعان الوحوش لنا] .

● وعن حذق وحنكة وحكمة الشيوخ الرهبان الأقباط فى تعليم تلاميذهم الطاعة يقول يوحنا كاسيان فى كتابه النظم الرهبانية فى مصر (الفصل الثامن) [والسائد عندهم (الرهبان الأقباط) أن الراهب لا سيما المبتدىء لا يستطيع أن يلجم رغباته الشهوانية إن لم يتعلم الطاعة أولاً . فبالطاعة يمت رغباته . وهكذا جعلوها قاعدة أن الإنسان الذى لم يتعلم أولاً كيف يتغلب على أهوائه ، لا يستطيع أن يحتفظ بروح الاتضاع الحقيقى فى القلب ، ولا يمكنه التغلب على روح الغضب أو روح الكآبة ، أو روح الزنا ولا يمكنه أن يكون فى وحدانية مع الاخوة ولا يستطيع البقاء فى سلام معهم ، وأخيراً لا يحتمل الثبات فى الدير وقتاً طويلاً ، فعلى هذه التداريب يربى الآباء الرهبان المبتدئين حتى تصبح طبيعة ثابتة فيهم ، إنها ألفا فيتا الفضائل التى يسرع الشيوخ أن يعلموا بها المبتدئين ، لأنها هى المراحل الأولى فى إتجاه الكمال . وبذلك الأمور يستطيعون أن يتعرفوا ما إذا كان أساس الاتضاع فى المبتدىء خيالياً زائفاً أم هو إتضاع حقيقى] .

وها هى بعض أقوال الآباء عن الطاعة (عن بستان الرهبان) :

● قال الأب ايريس [إن الطاعة فخر الراهب فمن إقتناها يسمع الله صوته ويقف أمام المصلوب رب المجد بدالة لأن إلهنا من أجل طاعته لأبيه صلب عنا] .

● قال القديس باسيليوس الكبير [درب جسدك على طاعة نفسك ودرب نفسك على طاعة الله] .

● قال شيخ [إن الذى يقيم فى طاعة أب روحانى هو أكثر شجاعة وأقل خطراً من ذاك الذى يجلس متفرداً] .

● قال القديس أنطونيوس [لا تكون قليل السمع (الطاعة) لئلا تكون وعاء لجميع الشرور، فضع في قلبك أن تسمع لأبيك فتحل بركة الله عليك] .

● أخبر أب أنه أبصر أربع مراتب (درجات) مرتفعة في السماء : مريض صابر شاكر الله ، صحيح يضيف الغرباء ويربح الضعفاء ، منفرد في البرية مجتهد ، وتلميذ (راهب) ملازم لطاعة أبيه الروحي من أجل الله . ووجد أن مرتبة التلميذ المطيع أسمى من المراتب الثلاث الأخرى ولما سأل عن السبب قيل له : إن كل واحد منهم يعمل الخير بهواه ، وأما هذا فقد قطع هواه من أجل الله ، وأطاع معلمه والطاعة أفضل الفضائل .

● قال القديس يوحنا الدرجي [من كان بلا مدبر لا تكون له سلامة] .

● وأيضاً قال [اختبر أولاً مرشدك بحكمة وتجربة لئلا تقع عند مريض بدل الطبيب] .

● وقال أيضاً [من بعد دخولك في طاعة أبيك لا تفتشه ولا تدينه ولا تستبدله بل ليكن لك فيه أمانة (ثقة)] .

● قال الأنبا أنطونيوس [ينبغي للراهب الشاب أن يستشير الشيوخ قبل كل خطوة يخطوها في قلايته وقبل كل نقطة ماء يشربها] .

خامساً : العمل اليدوي

لقد خلق الله الإنسان على صورته ومثاله ، وحيث أن الله يعمل كما قال السيد المسيح «أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل» (يو ٥ : ١٧) . وكما قال الكتاب «والرب يعمل معهم (مع التلاميذ) ويثبت الكلام بالآيات التابعة» (مر ١٦ : ٢٠) هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه (١ كو ١٢ : ١١) . لذلك فالإنسان مخلوق ليعمل بل العمل جزء لا يتجزأ من طبيعة الإنسان ، ولقد غرس الله لآدم جنة عدن ووضعه فيها ليعملها ويحفظها (تك ٢ : ٨ ، ١٥) . وبعد السقوط أخرج الله آدم من

جنة عدن «ليعمل الأرض التي أخذ منها» (تك ٣ : ٢٣) . وقال الله لادم «بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها» (تك ٣ : ١٩) .

ومن تكريم الله للعمل إختار الأنبياء مثل موسى وداود أثناء عملهم وكذلك إختار تلاميذه أثناء عملهم . فإن كان العمل لازم لكل إنسان فهو لازم للرهبان أيضاً لأسباب كثيرة نذكر منها :

+ ليجد ما يسد به حاجة الجسد كقول القديس بولس الرسول «إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً» (٢ تس ٣ : ١٠) . ولهذا عندما أتى أحد الرهبان من الذين يُدعون المصلين إلى الأنبا سلوانس في جبل سيناء ووجدهم يعملون قال له : لا تعملوا للطعام البائد لأن مريم اختارت النصيب الصالح ، فأعطاه القديس إنجيلاً وتركه ، فلما جاء موعد الأكل لم يستدعه أحد للأكل فقال للقديس : أما أكل الأخوة اليوم يا أبانا ؟ فقال له لكنك روحاني فكيف تأكل . فضرب له مطانية وإقتنع بأهمية العمل ، وقال له القديس : إن مريم بمرثا مُدحت .

+ ليجد ما يتصدق به «حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتها هاتان اليدان» (أع ٢ : ٣٤) ، ولقد كان تقليداً معروفاً عند رهبان وادى النطرون (كما ورد في سيرة الأنبا يحنس القصير) أن يعملوا كفلاحين في الأرض وما يجمعونه من أجر أو من غلة يتصدقون بنصفه (أما القديس يحنس فكان يتصدق بالكل) ويرسلونه بالسفن عن طريق ميناء الطرانة المواجه لوادى النطرون لتوزيعه على فقراء الاسكندرية لأن الصدقة هي عمل من أعمال الرحمة .

● فلقد قال القديس كاسيان [إنه لأمر فظيع وقبيح بنا أن العلمانيين يتعبون ويعملون ويعولون ويحسنون إلى الفقراء والمحتاجين حسب طاقتهم ، ويحملون إلى بيوت الله باكورات وقرايين أما نحن فلا نفتنى من أتعابنا بل نستجدي أتعاب غيرنا] .

+ والعمل يحفظ للجسد حيويته الطبيعية وصحته ويحفظ يقظة العقل من التشتت ويحفظ الإنسان من الاحساس بالفراغ .

● قال أحد الآباء [إن التسلسل من العمل خفية من شأنه أن يرخي الظلام على العقل ، أما العكوف عليه في يقظة وإحتمال وطول أناة ، فهو سراج ينير النفس وذراع قوية تسندها] (فردوس الآباء قول ٢٨٢) .

+ والعمل يحفظ للإنسان صحته النفسية . أما عدم بذل جهد عضلي فيصيب الإنسان بالاضطراب النفسي ولذلك كثرت حالات المرض النفسي والانتحار في الشعوب التي تعتمد على الالكترونيات دون بذل جهد بدني .

+ والعمل للمبتدئ يظهر صدق طاعته وخاصة إذا كان العمل على غير هواه فإذا احتمله بفرح وصبر دلّ ذلك على إتضاعه وطاعته وإذا لم يحتمله فيكون العمل قد كشف كبريائه وعدم مقدرته على التغلب على أهوائه .

● ولقد قال القديس الأنبا بيشوى [منذ دخولي البرية لم آكل طعاماً لم أعمله بيدي] ، أى لم آكل من تعب الآخرين ، وهذه هي أمانة الراهب وتقواه .

● ولقد ورد في أقوال الآباء (الأبوفشجماتا) إن غنياً أعطى ديناراً لراهب فأخذه منه ، فرأى الراهب في الحلم ليلاً حقلاً مملوءاً بالأشواك ، وملاك الله يقول له قم نظف حقل الغنى من الأشواك ، لأنك أخذت ماله . ففزع الراهب ولما استيقظ أعاد الدينار لصاحبه .

+ كما أن العمل يحرق الطاقة الزائدة في جسم الراهب حتى لا تؤرقه وتجعله يخطئ بغير هواه . فالعمل يبطل الشرور التي تتولد من البطالة .

● ولذلك قال أحد الآباء [إن الآباء سلموا لنا هذه الطريقة وهي أن نعمل بأيدينا ، وأن نلازم الصمت وأن نبكى على خطايانا] .

● وقال القديس مرقس [إذ لك يداً فاعمل وكُل لأنه أوفق لك أن تتشاغل بعمل اليدين من أن تتفرغ لأعمال الخطية] .

+ والعمل يمنع الضجر ، فلما ضجر القديس أنطونيوس من الملل ظهر له ملاك الله وهو يعمل وقتاً ويصلي وقتاً وسمع صوتاً يقول له : إصنع هكذا يا أنطونيوس وأنت تتخلص من الضجر . فصار العمل طقساً رهبانياً حتى للمتوحدين الذين يعملون في

النساختة أو جدل الخوص أو صناعة الصلبان أو الزراعة الخاصة بهم حول مغايرهم ...
كل هذا بجانب العمل الروحى والنسكى .

● ولذلك قال قسيانوس الرومى [كان الآباء باسقيط مصر لا يسمحون للرهبان ولاسيما الشبان منهم بأن يتفرغوا من عمل ، لا صيفاً ولا شتاءً حتى ولا لحظة من الزمان ، لأن الذى يمارس العمل يتخلص من الضجر ويتحصل على ما يقيت به نفسه ويسعف به المحتاجين] .

● كما أن العمل يساعد الإنسان على الصلاة القلبية وفى هذا يقول يوحنا كاسيان (النظم فصل ١٤) [فهم يدعمون صلواتهم بالعمل اليدوى خوفاً من أن يصيبهم التراخى نتيجة النوم ، لهذا نادراً ما يكون لديهم وقت يضيعونه أو يقضونه فى فراغ ، ولهذا نجدهم بلا حدود فى تأملهم الروحى ، ولتدريب الجسم والروح معاً وبالتساوى على الفضيلة ، فإنهم يوازنون بين ما يناسب الخارج وما يلائم داخل الإنسان ... وأنه إذا تدربوا على العمل اليدوى المتواصل فبغرض التأملات الروحية أو بغرض أنه بجهدهم المتواصل يكتسبون خبرة روحية ملحوظة ونوراً من المعرفة] .

فهم كانوا يقرنون العمل بصلاة إسم يسوع المسيح : فلقد سأل الأنبا بيمى الأنبا مكارىوس قائلاً [يا أبى ماذا يعمل الإنسان كى يقتنى الحياة ؟] . فقال الأنبا مكارىوس [إن أنت داومت كل حين على طعام الحياة الذى للإسم القدوس : إسم ربنا يسوع المسيح بغير فتور فهو حلو فى فمك وحلقك وبتريديك إياه (مع العمل اليدوى) تشبع نفسك وبذلك يمكنك أن تقتنى الحياة] .

● وقال القديس نيلس [إن عملت بيدك فليكن اللسان مزمرًا والقلب مصلياً لأن الله يحب أن تذكره دائماً أبداً] .

● وقال مارافرام [فاتحة العجرفة هى عدم مشاركة الراهب بقية الاخوة فى العمل حسب قدرته ، وإذا ما جئنا للعمل فلا تكثر الكلام بل ليكن إهتمامنا وتفكيرنا فى الهدف الذى من أجله خرجنا] .

+ سأل أخ شيخاً : أى شىء يلزم لمن يريد الخلاص ؟ وإذ كان الأب ملازماً

العمل لا يرفع رأسه عنه ، أجب : هذا هو ما تراه . أى العمل بهمة لازم لمن يريد الخلاص . وسأل أخ الأنبا صيصوى الصعيدى أثناء عمله : قل لى كلمة . فأجابه : لماذا تطلب كلاماً ؟ اصنع مثلما ترى .

● وقال الأنبا أنطونيوس [اختر التعب فهو يخلصك من جميع الفواحش (مع الصوم والصلاة والسهر) لأن تعب الجسد يجلب الطهارة للقلب ، وطهارة القلب تجعل النفس تثمر... اتعب فى شغل يديك فيأتيك خوف الله] .

● وقال الأنبا موسى الأسود [أهم أسلحة الفضائل هى إتعب الجسد بمعرفة ، لأن الكسل والتواني يولد المحاربات ، فاتعب جسدك لئلا تحزى فى قيامة الصديقين . لا تحب الراحة مادمت فى هذه الدنيا] .

● وقال الأنبا دانيال [كلما ذبل الجسد إزدهرت النفس . حتى أن أحد المتوحدين جاء إلى بركة ماء حولها غاب فصار يقطعه ويضفره ثم يلقيه فى النهر ، لأنه لم يكن يعمل لأجل إحتياج بل لكى لا يكون بطالاً . فكان يتعب جسده] .

● وقال الأنبا موسى الأسود أيضاً [إن البطالة موت وسقطة للنفس] .

لكل هذا كان العمل من قواعد الرهبة القبطية .



الفصل الثالث :

أصالة ونسأة الرهبنة القبطية

أولاً : أصالة الرهبنة القبطية :

بعد ما ذكرنا أصول الرهبنة القبطية وكيف أنها نابعة كلية من الكتاب المقدس تمثلاً بالسيد المسيح له المجد، علينا الآن أن نبرهن على أصالة مصادرها .

فلقد قامت المدارس النقدية الحديثة بتأليف نظريات عديدة عن مصادر الرهبنة القبطية - كما فعلوا من قبل بالكتاب المقدس - ولكن كل نظرياتهم باءت بالفشل الذريع أمام شمس الحقيقة الساطعة في أصالة المصدر الإلهي للكتاب المقدس وأصالة المصدر الكتابي للرهبنة القبطية .

ومن هذه النظريات الكاذبة ما يشير إلى أن الرهبنة القبطية ربما تكون قد تأثرت بالرهبنة البوذية أو حبساء السيرايوم بمصر أو مجموعة الجيمنوزوفستس بالأقصر أو بالرهبان الثيرابوتين اليهود، وسنرد على كل نظرية على جده . ولكن بادىء ذى بدء يجب أن يعرف الجميع أن الأقباط لديهم من الشجاعة والوفاء ما يجعلهم أن يعلنوا بل يفتخروا بانتمائهم للمصادر الحقيقية التي أخذوا عنها ، فلو كانوا قد أخذوا الرهبنة من أى جهة أخرى لما ترددوا في إعلان ذلك إعلاءً للحقيقة ، ووفاءً لروح التلمذة كما فعلوا بالنسبة للقديسين الرواد الأوائل للرهبنة مثل الأنبا أنطونيوس ، ومن بعده القديس مكاريوس والأنبا باخوميوس ، هؤلاء الذين أضاءوا شعلة الرهبنة في مصر ووضعوا أسسها وقواعدها . والتاريخ يحتفظ لكل واحد منهم بحقائق ودقائق الأسس التي وضعوها ، والأديرة أو الرهبانيات التي أسسوها ، وتلاميذهم الذين تسلموا الريادة من بعدهم . إذاً فالأمر واضح كل الوضوح . فمن أين جاءت النظريات الكاذبة لتنكر على

الأقباط سبقهم في مجال تأسيس الرهبة المسيحية ونشرها في العالم أجمع بعد ذلك؟!!

١ - لم تتأثر الرهبة القبطية في نشأتها لا بالرهبة البوذية ولا بالرهبة الفيثاغورية ، إذ أن كلاهما يقوم على الفلسفة العقلية واحتقار الجسد وإعتباره شراً ، أما الرهبة المسيحية فهي نابعة من الحب الإلهي ، وتقديس وتكريس الحياة كلها لله ، كما أنه لم يرد في كتب التاريخ أى ذكر لوجود أى جماعات رهبانية بوذية أو فيثاغورية في مصر . كما أنه لم يذكر أيضاً أن مؤسسى الرهبة القبطية الأوائل قد غادروا مصر إطلاقاً ولم تكن لهم أية علاقة بهذه الفلسفات أو بغيرها في ذلك الوقت المبكر . إذ يذكر التاريخ أن مؤسسى الرهبة القبطية كانوا بسطاء وبعضهم كان أمياً . لكنهم كانوا يتمتعون بالاستنارة الروحية والإفراز الداخلى النابع من الحب الإلهي والجهاد . فالرهبة القبطية لم تستورد من الخارج .

ويضيف أحد المؤرخين تأكيداً آخر على عدم وجود أى صلة بين الرهبة القبطية والوثنية ، أنه لو كانت هناك أى صلة ، لنشأت الرهبة القبطية مثلها بحياة الشركة الديرية ، ولكن الرهبة القبطية بدأت بالتوحد أو بجماعات المتوحدين .

٢ - ولم تكن أشكال النسك الوثني في داخل مصر مصدراً للرهبة القبطية :

+ إذ أن حبساء السيرايوم الوثنيون في العصر البطلمي لم يكونوا حبساء بالمعنى الموجود في الرهبة القبطية، بل كانوا حبساء لفترات مؤقتة وظروف قد تكون لغير النسك مثل الهروب أو اللجوء كما أن رهبانيتهم لم تدم فترة طويلة بل إنتهوا قبل ظهور الرهبة المسيحية القبطية بمئات السنين . فكيف تأثرت بهم؟!!

+ أما كهنة هليوبوليس الذين كانوا يكرسون وقتهم للتأمل فيما وراء الطبيعة مع النسك المفرط، فلقد كانوا سطحيين ومتقوقعين على أنفسهم ولم ينتشروا خارج هليوبوليس كما أنهم إندثروا حتى قبل ظهور المسيحية ، إذ عندما زار إسترابو منطقة هليوبوليس في أوائل القرن الأول الميلادى لم يجد لجماعتهم أى أثر .

+ أما جماعة الجيمنوزوفيستس Gymnosophists الذين عاشوا بالقرب من طيبة فلقد كانت أهدافهم فكرية فلسفية جدلية كما يدل إسمهم على ذلك وهذا دليل على أنهم

هلينيون (يونانيون) وليسوا مصريين ، وإنذاروا قبل ظهور الرهبة القبطية بفترة كبيرة .

٣ - كذلك لم تكن الرهبة اليهودية هي مصدر الرهبة القبطية إذ لم توجد في مصر إلا مجموعة الثيرابيوتيين اليهود Therapeutae وكانوا بجوار بحيرة ماريا (مربوط) وهم يشبهون إلى حد كبير الرهبان الأسينيون الذين عاشوا بالقرب من البحر الميت ، ولم يكن هناك أى علاقة بين الرهبة القبطية والرهبة الاسينية التى كانت متوقعة في وادى قمران كما أنها إندثرت قبل ظهور الرهبة القبطية بوقت طويل .

أما رهبة الثيرابيوتيين التى ذكرها فيلو المؤرخ اليهودى فلم يعثر لها على أى أثر حتى أن بعض المؤرخين إعتقدوا أن وصف فيلو لها كان من الخيال كوصف جمهورية أفلاطون ، كما أن الوصف الذى قدمه لها فيلو لا يمت بأى صلة للنظم الرهبانية القبطية ، فمثلاً كانوا يرقصون أثناء التراتيل وكانوا يقيمون شعائر اليهود . ومعروف أن الشعائر اليهودية لا يجوز إقامتها خارج الهيكل اليهودى وهذا ما يؤكد أنها مجرد وصف خيالى من المؤرخ فيلو اليهودى .

ولكن وجود هذه الجماعات النسكية في مصر سواء كانت وثنية أو يهودية إنما يدل على عمق الاستعداد الفطرى للمصريين للحياة النسكية ، إذ أن الميل الباطنى للنسك بدون كلل عند المصريين كان ينتظر ظروفاً جديدة مواتية ليعلن عن نفسه بأكثر وضوح ، وهذا ما تحقق في الرهبة القبطية بعد إنتشار المسيحية في مصر بوقت قصير (كما يقول العلامة ايفلين وايت) .

ثانياً : نشأة الرهبة القبطية :

لقد كانت كلمات السيد المسيح له المجد عن بيع الأموال وترك العالم وعن البتولين الذين خصوا أنفسهم من أجل ملكوت الله وما إلى ذلك من شواهد كتابية- كان لكل ذلك تأثير قوى في القلوب الطيبة والنفوس التى فطرت على النسك والزهد، مما دفع كثيرين من المسيحيين الأوائل لحياة البتولية والنسك، وإن كانوا يحيون في العالم ولكنهم لم يكونوا منه . وكثيرون لما آمنوا بالمسيح تركوا كل شئ حتى الزوجة والأولاد (كما قال السيد المسيح) من أجل رجاء ملكوت السموات ، والأرامل أيضاً عشن بقية أيامهن في العفة والمداومة على الصلاة وغسل أرجل القديسين وإضافة

الغرباء، وهذا ما أشار إليه القديس بولس الرسول بخصوص تنظيم عبادة وحياة الأرامل (١تى ٥ : ١ - ١٦). ويحتمل أنه كان هناك أيضاً حياة منظمة وبيوت للعداري منذ فجر المسيحية، كما أشار سفر الأعمال إلى العداري الأربعة بنات فيلبس المبشر (أع ٢١ : ٩).

وفي أقوال الآباء الأوائل منذ القرن الأول والثاني الميلادى نجد أقوالاً كثيرة تشير إلى العداري والمتبتلين والنسك.

● فالقديس كبريانوس تلميذ القديس يوحنا الحبيب يصف العداري [بأنهن ذوو النصيب الأجد في قطع المسيح].

● أما القديس إكليمنضس الاسكندري المولود حوالى عام ١٥٠م فيصف النسك (الرهبان) بأنهم المختارين من بين المختارين.

وفي حوالى عام ١٥٠م خرج أحد أثرياء الاسكندرية يدعى فرنطونيوس Frantoniوس ليتعبد في صحراء نتريا ومعه حوالى سبعون مسيحياً تقياً (١٤ ابريل فى مجموعة Acta Sanctorum) ولا بد أن هناك كانت مجاميع كثيرة مشابهة على إمتداد مصر كلها. ومن أول الآبا المشهورين فى القرن الثالث الميلادى القديس الأنبا بولا الطيبى (من الأقصر) أول السواح، الذى دخل البرية حوالى عام ٢١٨م، وكان الله يرسل له نصف رغيف خبز يومياً بواسطة الغراب، وكان يشرب من نبع ماء ويلبس ثوب من أوراق النخيل الجافة (ليف) حتى بلغ من العمر ١١٣ سنة، وذلك فى المكان الموجود فيه ديره الآن بالبحر الأحمر، وفى حوالى عام ٢٧٠م خرج القديس الأنبا أنطونيوس ليعتزل بجوار قريته كوما (حالياً قمن العروس التابعة لمركز الواسطى) عندما كان عمره حوالى ١٩ عاماً وذلك لما سمع قارىء الإنجيل يتلو كلام السيد المسيح له المجد للشاب الغنى «إن أردت أن تكون كاملاً فأذهب وبع أملاكك واعط للفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى» (مت ١٩ : ٢١). فدخلت هذه الكلمات الإلهية كالسهم فى أعماق قلبه الذى كان تربة صالحة جيدة لبذر كلمة الله، فأثمرت للكنيسة ثلاثين وستين ومائة لحساب ملكوت الله. فعندما تنيح والده نظر إليه بتأمل وقال لنفسه [إنك يا أبى خرجت من العالم رغماً عنك (بالموت)]. أما أنا فسأخرج منه بإرادتى] فمضى وباع أملاكه (٣٠٠ فدان من الأراضى الجيدة)،

وأعطاهما للفقراء واستبقى جزءاً يسيراً جداً منها لأخته التي أودعها بيت للعدارى،
وانطلق متحرراً من قيود الأملاك والمقتنيات العالية والروابط الجسدية والملذات
الأرضية ليتغرب مثل ابراهيم أبى الآباء. ولم يكن الأنبا أنطونيوس يعلم آنذاك أن
الأطيان الأرضية التي باعها ستورثه ملكوت السموات بكل أعباءه وبدل أن يبقياها
ليدفن فيها فقد باعها ليحفر الله اسمه في قلوب ووجدان المؤمنين من أبناء الله في
المسكونة كلها على مر العصور.

ولم يكن الأنبا أنطونيوس يقصد أن يكون له تلاميذ أو أن يقود الحياة الرهبانية أو
الديرية، وإنما مسلسل القصد الإلهي والتدبير السمائي هو الذى قاده ليكون قائداً ورائداً
للحياة الرهبانية والديرية ليس في مصر فقط بل وفي العالم أجمع، إذ لما تعمق في
الصحراء أكثر فأكثر، وبتدبير إلهي ظهرت أنوار حياته المقدسة وفاحت رائحة عفته
ونسكه وجهاده وعطرت الأرجاء من عمق الصحراء ليتحقق قول المخلص «لا
يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال» (مت ٥ : ١٥)، فتكاثر حوله التلاميذ
الذين جذبتهم قداسة القديس وبهرتهم محبة المسيح المتمثلة في حياته، وبدأوا يسكنون
تحت إرشاده في صوامع أو مغارات متناثرة حوله في الجبل، ثم بدأ في التغلغل إلى عمق
الصحراء حيث المكان الذى به ديره حالياً، ولكن سرعان ما تكاثر حوله تلاميذه أيضاً
وملأوا الجبل مقيمين في المغارات الطبيعية وشقوق الجبال، وأحياناً في القلالى التي
إبتنوها، وكان كل من يزوره يشعر براحة عجيبة ولو من مجرد سماع صوته، ولما حبس
الأنبا أنطونيوس نفسه فترة طويلة لم يطق تلاميذه وطالبي إرشاده بعده عنهم فإقترحوا
خلوته وأخرجوه إليهم من شدة تعطشهم لأبوته وبركاته وكلماته ووداعته.

وكان عليه أن يطل بشيئته المهيبة وهيئته الوقورة على الاسكندرية ليثبت بصدقه
وإيمانه ووداعته المؤمنين في عصر الاستشهاد، ومرة أخرى ضد هرطقة أريوس، وذاع
صيته لدى الأباطرة والباباوات حتى أن القديس أثناسيوس الرسولى كان يفتخر أنه
صب ماءً على يدي القديس أنطونيوس، وتجاوزت شهرته الحدود عندما كتب البابا
أثناسيوس قصة حياة الأنبا أنطونيوس وجهاده وإيمانه ورسوخه وروحانيته، ونشرها في
الغرب واستخدمها الله لمنفعة كثيرين ومنهم القديس أغسطينوس، ولتأسيس رهبانيات
كثيرة في أوروبا.

وقبل أن يتنيح القديس أنطونيوس عام ٣٥٦م كان تلاميذه قد نشروا الرهبنة في ربوع مصر، فالأنبا آمون (٣١٥م) في نتريا وكيليا، والقديس مكاروريوس في الاسقيط (٣٣٠م) والأنبا باخوميوس في صعيد مصر (٣٢٠م)، وكم كانت سعادة الأنبا أنطونيوس وهو يتجول في ربوع مصر ليدعم قواعد الرهبنة القبطية ويثبت دعائم صرحها الشامخ ويضع اللبسات الأخيرة في الأنظمة الرهبانية المختلفة، فكان بحق هو نبي الرهبنة وأبوها ومؤسسها في العالم كله.

وكما وضع القديس أنطونيوس قواعد الرهبنة الانفرادية أو التوحدية منذ حوالى عام ٢٧٠م فقد وضع القديس مكاروريوس في الاسقيط في أوائل القرن الرابع (٣٣٠م) نظام جماعة المتوحدين Laura، كما أسس الأنبا باخوميوس بطبانيس (الأقصر) حوالى عام ٣٢٠م قواعد حياة الشركة الرهبانية بنظام العبادة والعمل (وباللاتينية Ora et Labora) ذلك النظام الذى نقله يوحنا كاسيان إلى الغرب فيما يعرف حالياً بالرهبنة البندكتية، التى تأسست في القرن السادس الميلادى، وذلك بعد أن عاش كاسيان سنوات طويلة في صحارى مصر وأديرته و بين متوحيديها في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس، وتشرب روحها وتمثل نظامها في عمق وكتب عنه بدقة متناهية. فيوحنا كاسيان (٣٦٠-٤٣٥م) وضع كتاب النظم الرهبانية (Institutes) وكتاب المناظرات Conferences ضمنها نظم وقوانين الرهبنة القبطية، وكذلك الخبرات الروحية لكبار قادة الرهبنة في مصر الذين تقابل معهم بل وعاشهم فترة طويلة، وليس فقط يوحنا كاسيان هو الذى كتب عن الرهبنة القبطية، بل ومن المؤرخين الأجانب هناك كثيرون نذكر منهم بالاديوس (٣٦٣-٤٣١م) وأهم كتاباته هى التاريخ اللوزياكى Historai Lauisiaca، وروفينوس T. Rufinus الذى عاش في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس وينسب إليه كتاب تاريخ الرهبنة (هستوريا موناخورم). وكتاب «الصحراء أصبحت مدينة»، وجيروم Jerome (٣٤٢-٤٢٠م) وسوزومين Sozomen ومارأوغريس (٥٣٦-٦٠٠م). هؤلاء ممن كتبوا عن النظم الرهبانية والحياة والنسك الرهبانى والخبرات الروحية الرهبانية.

وتعتبر كتاباتهم مراجع قيمة لتاريخ الرهبنة القبطية في العالم كله بل وعن طريقها إنتشرت الرهبنة القبطية في الغرب، بكل ما فيها من عظمة روحية وابداع ثقافى وأدبى

وانساني خالد على مر الأيام ، بل وصارت مصدر إلهام تقوى ونسكى للرهبان قاطبة في العالم كله .. وهكذا نشأت الرهبة المسيحية في مصر وملأت كل صحاريها وربوعها .

ومن أهم التجمعات الرهبانية بمصر والتي ضمت حوالى خمسة آلاف دير ومنشوية منذ القرن الرابع الميلادى نذكر بعضاً مما سجله الرحالة الأجانب والمؤرخون الذين زاروا مصر:

١ - منطقة جبل عربة أو جبل النمرة بالبحر الأحمر حيث يوجد دير القديس الأنبا أنطونيوس (٢٧٠م) ودير القديس الأنبا بولا (٢١٨م) ومئات المنشوبيات والمغائر .

٢ - منطقة بسير بالقرب من بنى سويف حيث أسس الرهبة فيها الأنبا أنطونيوس .

٣ - منطقة أنتينوى (أنصنا) وهى حالياً قرية الشيخ عبادة (ملوى) وتقع شرق النيل وسكن فيها الأنبا بيشوى فى أواخر حياته ، وعندما زارها بلاديوس ما بين عام (٤٠٦-٤١٢) وجد بها إثني عشر ديراً وتضم ١٢٠٠ راهبا .

٤ - منطقة طبانيس (بقنا) حيث أسس الأنبا باخوميوس (عام ٣٢٠م) أديرة كثيرة بها بلغت فى حياته تسعة أديرة للرهبان (عدا أديرة الراهبات) كانت تضم حوالى سبعة آلاف راهب ، ثم إنتشرت الرهبة منها إلى كل صعيد مصر من أسوان وأبوسنبل حتى أخميم وسوهاج ، حيث أسس الأنبا شنوده رئيس المتوحدين (القرن الرابع والخامس) ديراً كبيراً ضم حوالى أربعة آلاف راهب (عدا أديرة الراهبات) .

٥ - منطقة ليكوس - أو ليكوبوليس - وهى أسيوط ، واشتهر منها القديس يوحنا التبائسى - الأسيوطى - وكان بها مئات الأديرة والمنشوبيات والمغارات .

٦ - منطقة أرسينوى (الفيوم) ، واشتهر فيها الأنبا سرابيون ، وكان بها مئات الأديرة وآلاف الرهبان والراهبات . ولقد ورد فى سيرة البابا ثيودورس (البطريك ٤٥) الذى سيم عام ٧٢١م أنه كان بها خمسة وثلاثين ديراً عامراً فى أيامه يشرف عليها الأنبا ابرام . (دليل المتحف القبطى ج ٢ ص ٦٥) .

٧ - منطقة الجيزة وكانت تضم مئات الأديرة فى نهيا وسقارة وبشتيل وأوسيم

وأطفيح وطرة وأسكر والشوبك والصف وشهران والمعادي ومنى الأمير.

٨ - منطقة الواحات وكانت تضم أيضاً مئآت الأديرة والمنشوبيات (وخاصة بالبجوات).

٩ - منطقة نتريا والقلالي وأسس الرهبنة فيها القديس أمونيوس الكبير (٣١٥م) وعندما زارها بلاديوس عام ٣٩١م وجد بها خمسة آلاف راهب بالإضافة إلى ستمائة متوحد في منشوبيات منطقة القلاي .

١٠ - منطقة الاسقيط (وادي النظرون). وأسس الرهبنة فيها القديس مكاريوس الكبير وكانت تضم من ٥٠ - ١٠٠ دير كبير ومئات المنشوبيات ، وعندما رجع القديسان مكاريوس الكبير والاسكندري من النفي استقبلهما خمسون ألف راهب (من رهبان الاسقيط فقط) ولما مرّ بها عمرو بن العاص (عام ٦٤١م) استقبله سبعون ألف راهباً من رهبان الاسقيط أيضاً .

١١ - منطقة بومينا بمريوط وكانت تزخر بالرهبان والمتوحدين مند عهد مارمينا ولعدة قرون بعد ذلك .

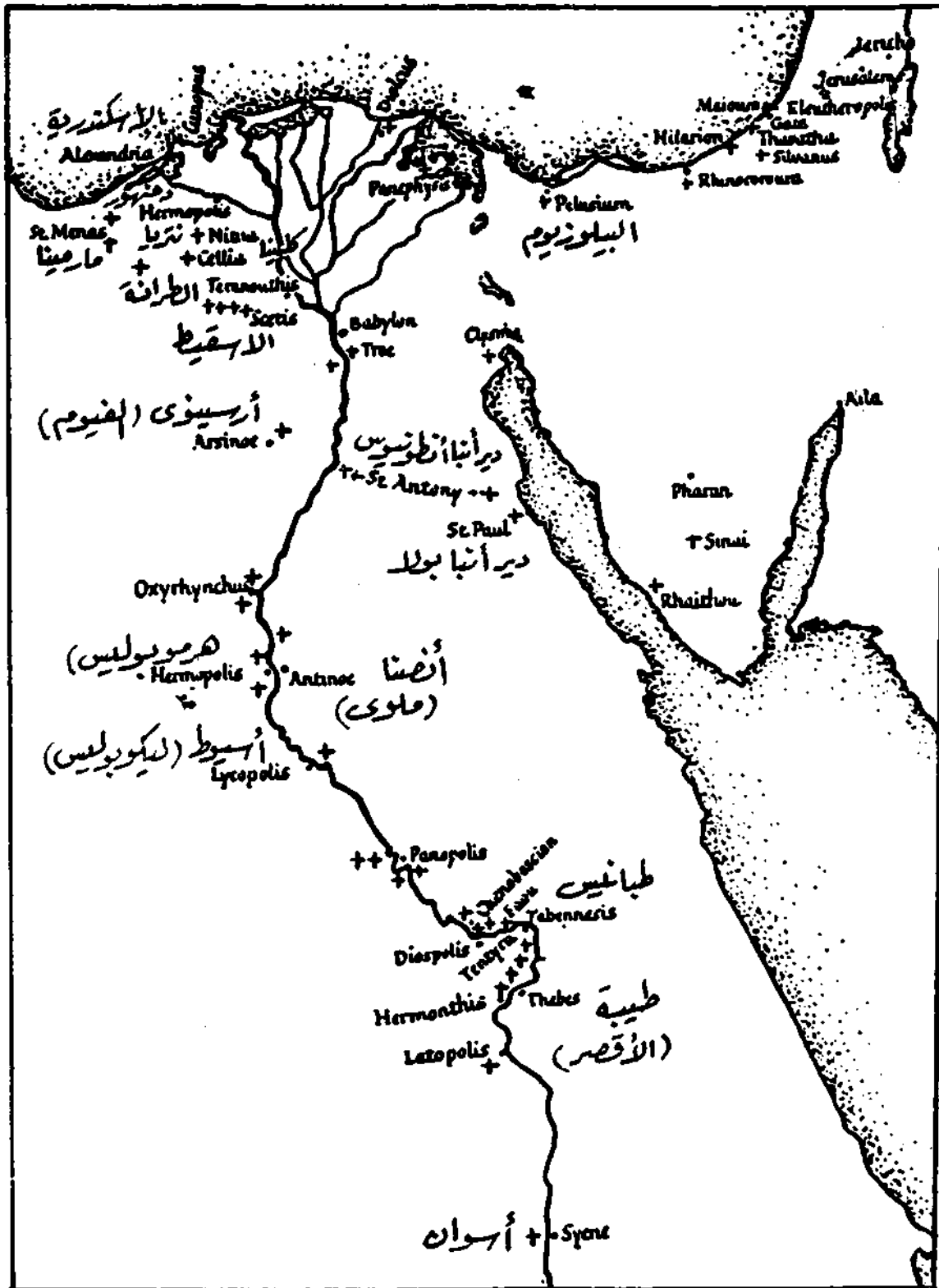
١٢ - منطقة غرب الاسكندرية التي كان بها حوالى ستمائة دير اشتهر منها دير الزجاج . وكان كل دير يسمى على حسب بعد المسافة بالأميال عن الاسكندرية .

+ كل هذا عدا المناطق والتجمعات الرهبانية بالفرما (البيلوزيوم) وتينيس وسيناء والبرلس وأتريب وغيرها .

+ وفي حوالى عام ١٢٠٠م ذكر أبو المكارم أسماء ٨٣٤ ديراً عامراً عدا ما ذكره جملة أو ما لم يذكره سهواً .

+ وفي القرن الخامس عشر (١٤٣٠م) ذكر المقرئى أسماء ٧٤ ديراً عامراً .

+ وما زالت توجد آثار حوالى أكثر من مائتى دير (عدا الأديرة العامرة الآن) ذكرها القس صموئيل السريانى فى الصعيد فقط عدا الموجود منها فى الوجه البحرى وسيناء .



Monastic Egypt, Sinai and Southern Palestine

أهم المراكز الرهبانية بمصر ومصر وفلسطين
عن كتاب أقوال ومياة آباء الصحراء (باللغة الإيطالية) - روما

ولم يظل عامراً من هذه الأديرة جميعاً سوى ثمانية أديرة وهى دير الأنبا أنطونيوس ، دير الأنبا بولا ، دير المحرق ، دير الأنبا صموئيل ، دير أنبا مقار ، دير البراموس ، دير السريان ، دير الأنبا بيشوى ، أضاف عليها المتنيح البابا كيرلس دير مارمينا ثم عمر قداسة البابا شنودة الثالث ثلاثة أديرة أخرى وهى دير السيدة العذراء بأخيم ودير مارجرس بالرزىقات ودير الأنبا باخوميوس بادفو .

وكما كانت مصر زاخرة بأديرة الرهبان كانت زاخرة أيضاً بأديرة الراهبات والعذارى منذ فجر المسيحية فى مصر ، فلقد أرسل القديس أنطونيوس أخته إلى بيت للعذارى كما أرسل كل من القديس آمون الكبير (٣١٥م) والقديس يحنس كما (القرنين الثامن والتاسع) زوجتيهما البتولتين لأديرة العذارى ، وأسس القديس باخوميوس فى طبانيس ديراً كبيراً للراهبات ألحق به أخته ، وكان يضم أكثر من أربعمئة راهبة ، ثم أنشأ ثلاثة أديرة كبيرة للراهبات بأخيم ، وكذلك أنشأ القديس شنودة رئيس المتوحدين ديراً ضخماً بسوهاج كان يضم ألف وثمانمئة راهبة ، ويذكر التاريخ أنه كان فى منطقة الجيزة أكثر من خمسين ديراً للراهبات ، وفى منطقة الفيوم خمسة وثلاثين ديراً للراهبات ، وفى منطقة البهنسا (بنى سويف) عشرون ألف راهبة . وفى منطقة أنصنا (ملوى) إثني عشر ديراً للراهبات ، ودير الأنبا أرمانىوس قرب منوف كان يضم ألف وثمانمئة راهبة . عدا أديرة كثيرة أخرى فى الوجهين مثل أديرة القاهرة وسنباط وبرارى بلفاس ودمروه (بالمحلة الكبرى) .

ولم يتبق من هذه الأديرة إلا خمسة أديرة فقط للراهبات بالقاهرة (دير مارجرس ودير أبوسيفين بمصر القديمة ، دير العذراء ودير مارجرس بحارة زويلة ، والأمير تادرس بحارة الروم) . ثم جدد قداسة البابا شنودة الثالث دير القديسة دميانة بالبرارى ، عدا الأديرة الحديثة التى تحت الانشاء فى كثير من الإيبارشيات .

وكما اشتهرت عالمياً أسماء كثير من الرهبان الأقباط كذلك اشتهرت أسماء كثير من الراهبات نذكر منها :

+ الراهبة الشهيدة فبرونيا بأخيم التى فضلت الاستشهاد حفاظاً على عفتها .

+ القديسة دميانة ببرارى بلفاس - إينة والى البرلس .

+ القديسة إيلارية ابنة الملك زينون - تتلمذت على يد الأنبا بموا بالاسقيط .

+ القديسة أفراسينا .

+ القديسة ليديا التي كانت كاتبة من تسالونيكي وجاءت إلى مصر وتلمذت على يد القديس مكاريوس الاسكندري .

+ الراهبة أبوليناريا ابنة انتيخوس الكبير، إنطلقت إلى الاسقيط حيث ترهبت على يد القديس مكاريوس الكبير باسم دوروثيوس .

+ الراهبة أنسطاسيا التي كانت معاصرة للأنبا دانيال قمص شيهيت وترهبت في عمر ٢٨ عاماً وتنيحت عام ٥٧٦م . تعيد لها الكنيسة في ٢٦ طوبة، ٨ بشنس .

+ كما عاشت في مصر كثير من الراهبات الاجنبيات أمثلة القديسة ميلانيا والراهبة بولا .

ثالثاً : دوافع الرهبة القبطية :

مما تقدم يتضح جلياً أن دوافع الرهبة هي دعوة إلهية داخلية لا تقاوم في قلب المؤمنين المختارين ، تلازم الإنسان المختار من الله للرهبنة في كل لحظة من حياته، وفي حركاته وسكناته إذ ترسم أمامه كلمات وآيات الدعوة الإلهية للبتولية والنسك والتجرد والفقر الاختياري والغربة والطاعة، بل وبذل الذات إرادياً حباً من أجل الذي أحبنا أولاً وبذل ذاته إرادياً لأجل خلاصنا ، وتفور أشواق الحب الإلهي داخل القلب لحياة الاقتداء بالمسيح، والتشبه به بل الاتحاد به أيضاً ، ولذلك هان عليهم أن يتركوا أهلهم وعشيرتهم وأرضهم وممتلكاتهم ووظائفهم ومراكزهم، وهم ينشدون الحياة الملائكية بلا عوائق مادية ، بل يحسبون أنفسهم قد ربحوا ربحاً لا يقارن فيما هم يخسرون (بحسب الفكر العالمي) ، ويفقدون كل ما تركوه لأجل محبتهم في الملك المسيح الذي سبى بحبه وبذله وفدائه كل قلوبهم وملك حياتهم وأفكارهم ، حتى تصوّر المسيح فيهم وفي محبتهم وقداستهم ولطفهم ووداعتهم وتساميتهم وصلاحتهم ، كأنهم ليسوا هم الأحياء بل المسيح هو الحي فيهم (غل ٢ : ٢) كأن لا شيء لهم وهم يملكون كل شيء (٢ كو ٦ : ١٠) .

لذلك كان العجب كل العجب من النظريات والمغالطات الظالمة التي تدعى أن بعض الرهبان التجأوا إلى البرية وانخرطوا في الحياة الرهبانية هرباً من الفقر أو المجاعات أو الضرائب أو الاستشهاد أو الاضطهاد، أو من مواجهة الحياة ومشاكلها. وسنرد على كل عنصر من هذه العناصر على حده :

١ - لم يهرب الرهبان من الفقر أو المجاعة بل هربوا إلى الفقر فهذا هو اختيارهم، الفقر الاختياري والجوع الاختياري محاولين التشبه بالسيد المسيح له المجد الذي لم يكن معه في الصندوق ما يكفي لدفع الجزية لذلك أمر القديس بطرس أن يصطاد سمكة ويفتح فيها فيجد داخله أستايراً (أربعة دراهم) يدفعها عنه وعن نفسه (مت ١٧). فلقد إفتقر وهو الغنى وسار وراءه كثيرون من القديسين مكروبين معتازين (عب ١١ : ٣٧). والعوز فضيلة أسمى من فضيلة الفقر الاختياري بالنسبة للنسك المسيحي، ولهذا هرب القديسون إلى الصحراء الجذباء حيث لا يجدون ما يريح الجسد، ليغصبوا أنفسهم على قمع الجسد واستعباده لتموت الخطية فيه وتنطفئ الشهوات منه كما تنطفئ النار لعدم الوقود.

ولقد كان رواد الرهبنة الأوائل من الأغنياء كما يذكر التاريخ، فقائد أول جماعة رهبانية حوالى ١٥٠م هو فرنطيوس أحد أثرياء الأسكندرية، والقديس أنطونيوس أبو الرهبان كان غنياً وباع أملاكه، وكذلك الأنبا بولا أول السواح ترك أملاكه وخرج من العالم ولسان حاله يقول [عرياناً خرجت من بطن أمى وعرياناً أعود إلى هناك]. كذلك القديسان مكسيموس ودوماديوس من أبناء الأباطرة تركا المملكة وكل مباهجها وهربا إلى الصحراء المقفرة، وهكذا أيضاً معلم أولاد الملوك القديس أرسانيوس والقديس يوحنا صاحب الإنجيل الذهب، وغيرهم كثيرون ومانزال إلى الآن نرى أثرياء وأغنياء يتركون كل شيء من أجل عظم محبتهم في الملك المسيح «ها قد تركنا كل شيء وتبعناك» (مت ١٩ : ٧).

فالإختيار الرهباني هو الفقر حتى العوز، لأن مجد الرهبنة في الفقر وفخرها في العوز.

٢ - كما أن الرهبان لم يهربوا من الضرائب حتى وإن كانت باهظة وظالمة

وثقيلة ، لأن المسيحية تعلمنا الأمانة والخضوع للرؤساء والمسؤولين والسادة، وليس فقط للمتفرقين الودعاء بل للعنفاء أيضاً (١بط ٢ : ١٨) . ولقد كان السيد المسيح مثلنا الأعلى غير راض عن دفع الجزية (الدرهمين) ولكنه دفعها، وجعل تلميذه بطرس الرسول يدفعها أيضاً عندما طلب إليه إصطياد السمكة قائلاً «إعطهم عنى وعنك» (مت ١٧ : ٢٧) .

كما أنه لا يعقل أن يترك إنسان كل شيء ويترك أسرته وأقاربه ليهرب من الضرائب ويترك أسرته مهددة من جور وظلم الحكام وجامعى الضرائب !!

٣ - أما عن الاستشهاد فلقد إزدهرت الرهبة وكثر عدد الرهبان بعد أن توقف الاستشهاد وليس هروباً من الاستشهاد، إذ كان الأقباط جميعاً مستعدين للإستشهاد أيام ديوقليانوس منتظرين بفرح تلك اللحظات التى فيها يعبرون عن محبتهم للمسيح يسوع ، الذى أحبنا أولاً وبذل ذاته فداءً عنا علامة محبته لنا ، فكانوا يذهبون لساحة الاستشهاد بالترانيم والفرح والبهجة ولبلباس العرس لأنهم سيقابلون عريس نفوسهم السمائي ، فتركوا العالم من كل قلوبهم مستعدين لهذه اللحظات المجيدة، ولكن لما توقف الاستشهاد فجأة بتملك الملك قسطنطين البار وصدور منشور التسامح الدينى عام ٣١٣م (منشور ميلانو)، شعر الأقباط بأن الاستشهاد قد فاتهم فلم يعودوا للعالم بل إنطلقوا إلى البرية ليقدموا حياتهم ذبيحة حب بإرادتهم للمسيح ، فامتألت الصحارى المصرية والبرارى بالعباد والرهبان والراهبات والمتوحدين والأديرة، حتى قيل أن حوالى نصف عدد المصريين أصبحوا رهباناً وراهبات .

وكانت هذه نقطة بداية إزدهار الرهبة ، حتى أصبح فى مصر أكثر من خمسة آلاف دير للرهبان والراهبات وفى كل منها عدة مئات . حتى قال العلامة روفينوس (فى القرن الرابع) أن الصحراء أصبحت مدينة .

٤ - وليست الرهبة هروباً من مواجهة الحياة ومشاكلها، أو هروباً من الناس ولكن الرهبة هى ذبيحة مقدسة عن البشرية كلها، فعندما يَشْتَم إلهنا الصالح رائحة بخور العبادة النقية والنسك والتقوى للرهبان والراهبات وموتهم الطوعى عن العالم يتحنن قلبه الرؤوف على البشرية جمعاء ، والرهبان هم أناس ذوو إرادة صلبة وعريكة قوية فى

مواجهة الشيطان، وصلبة في مواجهة التجارب والأفكار، وفي مواجهة صلابة البرية وققرها وفقرها، ولذلك لم تكن البرية يوماً ما ولا على أية حال أهنأ من مشاكل الحياة بالقياس الطبيعي والمادى، ولكن بالمقياس الروحى فهى تزخر بالغنى الروحى النابع من الفقر والمسكنة كقول مخلصنا له المجد «طوبى للمساكين بالروح فإن لهم ملكوت السموات» (مت ٥ : ٣).

والرهبان فى البرية يواجهون الشيطان فى عقرداره، وهو الذى يهتج ويحرك مبادئ الشر الكامنة فى البشر، فأيهما أيسر أن يواجه الإنسان أخيه الإنسان أم أن يواجه عدوه الشيطان؟!

كما أن الرهبان لهم من رقة المشاعر وسموها ما يجعلهم يعطفون ليس فقط على الشر، بل حتى على الكائنات غير الناطقة، فهل يعقل أنهم يهربون من الناس لأجل الهروب فى حد ذاته؟!

ولكنهم كانوا يهربون من الناس ليقفوا أمام الله يدافعون ويتشفعون عن الناس، وهذا هو تاريخ الرهبة المجيد.

وهكذا نرى أن دوافع الرهبة المسيحية القبطية، دوافع إنجيلية نسكية روحية سامية من طراز إنسانى وسامى، للتشبه بالملائكة ولبدء الحياة فى الفردوس من هنا على الأرض، بتكوين مجتمع بشرى ملائكى مثالى كمثال السماء لتحقيق المكتوب « كما فى السماء كذلك على الأرض » (مت ٦ : ١٠).

وكذلك كما ورد فى القداس الإلهى (الغريغورى) [الذى ثبت قيام صفوف غير المتجسدين فى البشر، الذى أعطى الذين على الأرض تسبيح السيرافيم] أى جعل رتب وطقوس الملائكة الروحانيين غير المتجسدين تثبت فى البشر أيضاً حتى يسبحوا الله مثل السيرافيم.

أبعاً : سمات الرهبنة القبطية :

مما تقدم يتضح أن الرهبنة القبطية لها سمات سامية نذكر منها :

١ - أنها رهبنة حب وبذل وعطاء ، لا تكره إلا الكراهية ، ولا تمقت إلى الأنانية ، ولا تذكر للآخرين إلا صالح الأعمال والخصال ، مترفعة عن الذم والتذمر ، بل وتصف كل أحد بما ترجوه فيه .

٢ - إنها رهبنة مسكنة وفقر وعوز لا تقتنى إلا الفقر والعوز والاحتياج ، ولا تفتخر إلا بالمسكنة والضعف ، ولا تسعى للغنى المادى بل تسعى للغنى الروحى ، النابع من الفقر الاختيارى . ولذلك فالرهبان الأقباط يتقنون فنون إنكار الذات وإخفاء فضائلهم ، ويتبارون فى أن ينسبوا لأنفسهم من الضعفات ما ليس فيهم .

٣ - إنها رهبنة نك وزهد ، طعامها الشهى هو الجوع إلى كلمة الله ، وشبعها الحقيقى هو محبة الله ، لذلك تفرح بالجوع والصوم حتى قال أحدهم لمن جاء ليخبره ببدء الصوم الكبير: إن لى ٤٠ عاماً لا أعرف متى يبدأ الصوم أو ينتهى لأن حياتى كلها صوم . وقال القديس الأنبا بيشوى [إن لى أربعون عاماً لم تبصرنى الشمس آكلاً] .

٤ - إنها رهبنة طهارة وعفة فى الروح والقلب والفكر والحواس كلها وليس فقط فى الجسد .

٥ - كما أنها رهبنة طاعة وتواضع قلب ووداعة وبساطة فى المعيشة والسلوك ، لذلك فالرهبان منيرون كما هو مكتوب إن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً .

٦ - وهى رهبنة شهادة تشهد للحق فى غير خوف ، ولا تهاب إلا الله وإن كانت لا تخافه لأنها تحبه كما قال القديس أنطونيوس . فكما قال الكتاب المحبة تطرد الخوف . ولهذا كان الرهبان أقوياء فى الدفاع عن الإيمان وعن العقيدة وعن الحق وعن الإنجيل ، لذلك فهى رهبنة كارزة .

٧ - وهى رهبنة إنجيلية ليس فقط نابعة من الإنجيل ، بل تحيا الإنجيل وتعيشه وتمثله ،

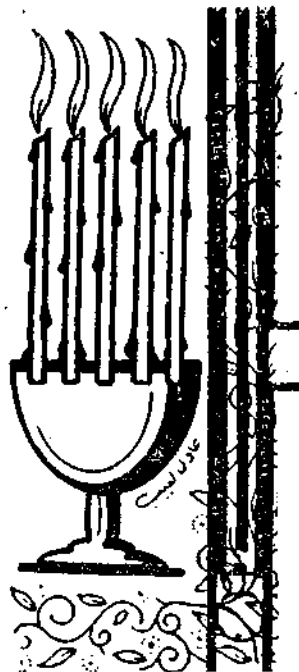
فهى إنجيل حى معاش فى ضمير الكنيسة مقروء من كل الناس .

٨ - وهى رهبنة كنسية تحتضنها الكنيسة وتحتضن الكنيسة .

٩ - وهى رهبنة عمل جوانى وعمل يدوى أيضاً . والعمل اليدوى ليس للغنى والترف، ولكن لعدم سؤال الآخرين بل للعطاء للفقراء وحفظ يقظة العقل والجسد أيضاً .

١٠ - وهى رهبنة اعتدال لأنها طريق ملوكى ، لأن الطريق الوسطى تخلص كثيرين ، وهى بعيدة تماماً عن التطرف فى النسك أو فى الفهم ، وبعيدة عن التطرف فى الفكر أو الكبرياء . ولذلك قدمت نموذجاً مثالياً للإنسان المسيحى الحق .

١١ - أتى جماعة من الاخوة وقالوا للأبنا إيلاريون وقالوا له : ما هى علامات الراهب . فقال لهم [كثرة الحب والإتضاع يزينا الراهب ويشرفانه فى الدنيا والآخرة فيجب أن تكون له هذه الخصال : رحيماً ، وقوراً ، كتوماً ، شكوراً ، مطيعاً ، مداوماً الصمت ، متوفراً على الصلاة] . قالوا له : إذا اجتمعت هذه الخصال فى إنسان فهل يسمى راهباً ؟ قال : نعم إنه راهب إذا تعب كذلك وشقى بمقدار ما تصل إليه قوته (عن بستان الرهبان ص ١٢٦) .



الفصل الرابع :

الدور الكنسي والروحي للرهبنة القبطية

١ - الرهبنة بالنسبة للكنيسة كالجذور بالنسبة للشجرة، وكالأساس بالنسبة للبناء، فعلى قدر ما يكون الأساس عميقاً ومتيناً على قدر ما يكون البناء عالياً وثابتاً، وكما أن جذور الشجرة وأساس البناء كلاهما لازم لكنه مدفون في الأرض، هكذا الرهبنة هي أساس الكنيسة المدفون في عمق الصحراء .

وكلما كانت الرهبنة قوية كانت الكنيسة قوية أيضاً لأن معلمى وقادة الكنيسة من بطارقة أو أساقفة ومساعدتهم هم من الأديرة، وكلما كانت الكنيسة قوية في الروحانية والعلم أفرزت رهباناً وراهبات روحانيين أتقياء ونسك مثاليين .

٢ - والرهبان هم معلمى الفضائل المسيحية وحراسها ورموزها الحية وأمثلة معاشة للفضيلة المتجسدة في حياتهم، والتي انتشرت روائحها الذكية عبر التاريخ . فمازالت قصة شجرة الطاعة للقديس يوحنا القصير كمثال حى للطاعة وثمارها الحلوة، وقصة عنقود العنب أيام القديس مكاريوس تجسد المحبة الأخوية وتقديم الآخرين عنا، وقصة الأنبا بيشوى وهو يقاوم النعاس الطبيعى لمواصلة الصلاة ليلاً ونهاراً يربط شعر رأسه بسقف مغارته، دليل شاهد على أن الصلاة حديث روحى لذيذ وشيق بين الإنسان والمسيح فاديه، وفى ذلك تشجيع على الصلاة الحقيقية العملية فى بساطة الروح وشوق القلب، وهو تعليم صامت لماهية الصلاة . وذلك الراهب الذى ظل طول عمره يبكى لأنه أكل خيارة واحدة وجدها على الطريق، فهذا تعليم لنا على عمق الأمانة وكيف يجب لنا أن لا نأخذ ما ليس لنا . وقصة ذاك الراهب الذى كان فرحاً عند موته ومتهللاً، فلما سأله لماذا؟ قال : لأننى لم أدن أحداً قط ، فأنا واثق أن الله لا يديننى لأنه قال لا تدينوا لكى لا تدانوا . وهذا تعليم واضح لأهمية عدم إدانة الآخرين ، والقديس مكاريوس الكبير الذى جلس على الماجور الذى كانت تحتبىء تحته المرأة الخاطئة لكى لا يفضح أمرها وأمر صاحبها، حتى صار ذلك مثلاً : إن القديس مكاريوس غطى

الخطية بالزبدية . كذلك الأنبا موسى الأسود عندما طلبوه لمحاكمة أحد الاخوة فجاء يحمل جوالاً مملوءاً بالرمال على ظهره وتتسرب منه الرمال خلفه فقال لهم [فيما أنا مثقل بخطاياى التى أحلها ولا أنظرها فكيف أدين أخى على خطاياها] .

« لماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفتن لها » (مت ٧ : ٣) .

وراهب شيخ وقور ذهب لبيع عمل يديه، فتظاهر المشتري أنه ليس معه نقود وإصطحبه إلى بيته ليعطيه ثمن الققف، وذلك ليستدرجه ليصلى لابنته المصابة بروح نجس ، فلما وصل الراهب القديس إلى منزل ذلك الرجل خرجت ابنته وصفعته على وجهه فحول لها الراهب خده الآخر، فلم يحتمل الشيطان تنفيذ وصية السيد المسيح فخرج منها صارخاً : آه من قوة تعاليمك أيها الناصري ، وهكذا نرى أن حياة الآباء الرهبان هى تجسيد للفضيلة، بل هم مقياس القامة الروحية والإنجيلية للفضائل المسيحية يراها فيهم الناس فيتشبهون بهم ، وقيسون أنفسهم على ميزان الفضيلة الرهبانى (وخاصة فى شهيت ميزان القلوب) . كما يقيسون ويعايرون دقة الموازين والمكايل والأطوال والساعات بالأجهزة الأصلية الدقيقة لضبطها لئلا تنحرف القياسات .

وهكذا فالرهبان هم المقياس الدقيق الأصيل للفضائل المسيحية والإنجيلية، وصاروا أمثلة لها بل وأنبياءها الجدد، كما كان أنبياء العهد القديم أمثلة للفضائل أيضاً . فابراهيم للإيمان، واسحق للطاعة، ويعقوب للجهد، ويوسف للعفة، وأيوب للصبر، وإيليا للصلاة، وأرميا للغيرة والدموع، ويوحنا المعمدان للنسك والشهادة للحق .

٣ - وفى كل القصص التى أوردناها نرى الرهبان يحولون كلام الإنجيل إلى حياة معاشة ويظهرون عظمتهم وجلاله وصدق وعوده لأن الرب قال « السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول » (لوقا ٢١ : ٣٣) . هذا هو مقدار عظمة كل كلمة بل كل حرف من كلام الله، والرهبان عرفوا هذه العظمة وهذه الفاعلية التى لكلمة الله، التى هى أمضى من كل سيف ذى حدين . فأظهروا هذه العظمة وجسّدوها فى حياتهم وتصرفاتهم، بل أن كلمة الله التى هى أنفاس الله صارت هى أنفاسهم وحياتهم

وطعامهم، وكما يتحول الطعام إلى لحم ودم في جسد الإنسان تتحول كلمات الله إلى روح وحياة في قلب الإنسان، لذلك قال السيد المسيح له المجد «الكلام الذى أكلكم به هو روح وحياة» (يو: ٦: ٦٣).

وهكذا فإن شفافية الرهبان الروحية المفرطة هى التى جعلتهم يكتشفون أسرار كلمة الله روحياً، ولهذا تركوا كل شئ وتبعوه، وكانت طهارتهم وعفتهم وبتوليتهم المختومة هى عظة صامته لحياة العفة والطهارة، بل أن إحدى الراهبات فى جبل أخيم - القديسة فبرونيا - فضلت أن تموت شهيدة العفة على أن تخدش عفتها، وهكذا استشهدت أيضاً القديسة أجنس فى سبيل الحفاظ على عفتها، وهذا تجسيد واضح لكلمات الكتاب «لم تقاوموا بعد حتى الدم (الاستشهاد) مجاهدين ضد الخطية» (عب ١٢ : ٤) حتى صار شعار الرهبنة [أن تموت فى الجهاد خير من أن تحيا فى الكسل] (ماوا سحق).

٤ - والرهبان هم عمالقة تفسير وشرح الكتاب المقدس بأسلوب بسيط وسهل وواضح وعملى، يدل على تمكنهم من الاستيعاب الشامل والدقيق للكتاب المقدس بعهديه بل وحفظه كله أو أكثره عن ظهر قلب ليتلونه كصلاة قلبية أثناء العمل أو التأمل، حتى صاروا يتنفسون الكتاب المقدس وأصبح أسلوب حياتهم وأحاديثهم كلها من الكتاب المقدس الذى هو الشغل الشاغل لهم والسراج الذى يرشدهم إلى طريق الملكوت الذى خرجوا لأجله «سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلي».

ولقد ذكر المؤرخ بلاديوس أن راهباً قبطياً شيخاً اسمه مرقس سرد أمامه الأنجيل الأربعة عن ظهر قلب. كما أظهر المؤرخ روفينوس دهشته البالغة وإعجابه بمقدرة الرهبان الأقباط على حفظ الكتاب المقدس بعهديه وتفسيرهم الآيات الصعبة بمقابلتها بآيات أخرى. حتى صارت التجمعات الرهبانية والأديرة جامعات لاهوتية وعلمية من طراز فريد يجمع بين الفكر والفلسفة من جهة، والإيمان والروحانية والبساطة من جهة أخرى، وتسخير كل ذلك للابداع التفسيري العميق ويخرجون من كنوزهم جدداً وعتقاء (مت ١٣ : ٥٢). وكانوا يعكفون على نساخة الكتب المقدسة لنشرها والكراسة بها حيث لم تكن هناك مطابع بعد حتى قيل إنه فى وقت ما كان بدير القديس الأنبا بيشوى وحده ستمائة ناسخ.

+ ولذلك فلقد أوفد البابا ثاؤفيلس ابن أخته الأنبا كيرلس ليعلم في الأديرة الرهبانية لمدة خمس سنوات في برية شيهيت، بعد أن أكمل تعليمه في الاسكندرية وصار كيرلس بعد ذلك البابا كيرلس عمود الدين، الذى تقدره وتعتبره جميع الكنائس على اختلافها في العالم كله. وتُدْرَس تفاسيره ومؤلفاته في جميع جامعات العالم، وهذا فخر عظيم للأديرة القبطية، أنها قدمت للكنيسة الجامعة البابا العظيم كيرلس الكبير.

+ ومن أمثلة إحاطة الرهبان بالكتاب المقدس بعهديه ما أورده القديس العظيم الأنبا بيشوى من آيات لاهوتية تثبت الثالوث القدوس ولاهوت الروح القدس، رداً على الشيخ الناسك بمدينة إيصاى (المنشاة) بصعيد مصر حتى ربحه وربح نفوس تابعيه أيضاً للإيمان الأرثوذكسى. وأيضاً الأمثلة الكتابية التى ساقها الأنبا بيشوى عن غواية المرأة، وذلك عندما تعجب تلاميذه لإنزعاجه من كلمات المرأة اليهودية التى أغوت تلميذه اسحق والتى نقلها إليه بعض الرهبان.

+ ومن أمثلة التفسير العلمى للكتاب المقدس ما قاله يوماً الأنبا أنطونيوس لتلاميذه: إننى لا أخاف الله. فإنزعجوا وقالوا له: كيف؟ فقال لهم: لأننى أحبه ومكتوب «المحبة الكاملة تطرد الخوف إلى خارج» (١ يوحنا ٤: ١٨).

● كذلك ما أورده القديس مكاريوس الكبير فى شرحه للآية «إغفروا يغفر لكم» (لوقا ٦: ٣٧)، إذ كشف لنا سر مغفرة الله لخطيئة داود قائلاً [لأن داود غفر لشاول الملك] وأضاف القديس مكاريوس قائلاً [تاجروا بهذه الآية «إغفروا يغفر لكم» لأن ربحها كبير وتعبها قليل].

● وأيضاً ماراشعيا الاسقيطى فى تحذيره السادس يشرح كلام السيد المسيح عن الروح النجس، إذا خرج من الإنسان يجتاز فى أماكن ليس فيها ماء يطلب راحة فلا يجد (مت ١٢: ٤٣)، ويقول ماراشعيا [إن الروح النجس (روح النجاسة والزنى) لا يجد راحة ولا مسكناً فى المواضع التى ليس فيها ماء، أى لا يستطيع أن يسكن فى المؤمنين الذين ليس فيهم رطوبة الترف والتراخى إذ أنهم فى نسكهم وصومهم وشظف عيشهم قطعوا الطريق أمام شيطان النجاسة].

● قال أب معاصر [من يشتهى محبة الله يجدها فى قلبه].

● وقال قداسة البابا شنودة الثالث عن امرأة لوط وكيف رجعت بقلبها إلى الوراء [لقد خرجت امرأة لوط من سدوم ، ولكن سدوم لم تخرج من قلبها . كانت في يد الملاك ولكنها لم تنجو من الهلاك] .

٥ - وفي مجال الكرازة وخدمة الكنيسة فإننا نرى أنه على قدر حرص الرهبان الأقباط على الحفاظ على الفضيلة والقيم الروحية السامية والكتاب المقدس والكرازة ، على قدر حرصهم أيضاً على الحفاظ على نقاوة الإيمان والعقيدة ، ولذلك دافعوا بحماس بالغ وذهن متوقد مبدع وقلب نقى مخلص عن الإيمان المسيحي عامة ، والإيمان الأرثوذكسي خاصة بوازع داخلي ، أو للإحساس بالمسئولية عندما تقتضى الضرورة ذلك ، أو بدعوة من الكنيسة ، وهكذا رأينا القديس الأنبا بيشوى الوديع الكامل يقابل أحد تلاميذه بجفاء لأنه تهاون في الرد على ملاحظات أحد اليهود ، وأيضاً تحمل القديس الأنبا بيشوى مشقة عمل قفف بثلاثة أذان وحملها والسفر بها إلى المنشاه ليرد العابد الهرطوقي ، وهكذا فعل معلمه القديس الأنبا بموا عندما ذهب إلى الاسكندرية للوقوف مع البابا ضد الهرطقة . ومن قبلهما نزل القديس أنطونيوس إلى الاسكندرية مرتين وهو شيخ كبير ، تحمل في جلد وفرح مشاق السفر الصعبة في ذلك الوقت لينتقل من شرق البلاد إلى غربها ليشجع المؤمنين على الثبات في الإيمان ومقابلة الاستشهاد بفرح ، ومرة أخرى ليطل على الاسكندرية بشيئته وهيئته وروحانيته ومصادقته كراهب ناسك ومعلم مهيب ليدعم تعاليم البابا أثناسيوس الأرثوذكسية ضد بدعة أريوس ، وليبث الفرحة والارتياح والطمأنينة في نفوس المؤمنين بفرح الإيمان الفياض المتأصل فيه والذي إنسكب ليملاً قلوب سامعيه ، وليشع بأنواع تعاليم الأرثوذكسية الأصيلة على أرجاء الاسكندرية مركز الكرازة والإيمان والحضارة . ولما علم الرهبان الأقباط في طول البلاد وعرضها خاصة في الاسقيط وندريا بموقف معلمهم ورائدهم القديس أنطونيوس الكبير ودفاعه ضد الأريوسية هبوا جميعاً لمساندة الكنيسة ونشر التعاليم الأرثوذكسية ومقاومة الأريوسية حتى أن القديس أثناسيوس كان كثيراً ما يتخذ من الاسقيط وندريا ملجأ له للهروب من الأريوسيين ، واضطهاد الحكام المناصرين لهم ضده . خاصة في الفترة من ٣٥٦ حتى ٣٦٢ م . ومن وسط الصحراء كان يدير دفعة الكنيسة ويؤلف الكتب ويكتب الرسائل التي تدعم الأرثوذكسية ويستعين بأبنائه الرهبان

لنقل الرسائل البابوية الكرازية، وكما إستعان بهم أيضاً في أسفاره داخل مصر وخارجها أيضاً.

ولدور القديس أنطونيوس في التعليم والكرازة وضعته الكنيسة قبل الأنبا بولا أول السواح ولقبته بالعظيم. كما أن القديس مكاريوس الكبير (المصرى). والقديس مكاريوس الاسكندري قبض عليهما بأمر الامبراطور فالنس الأريوسى ونفيا إلى جزيرة فيله بالصعيد، إنتقاماً منهما لدورهما في قيادة الرهبان الأقباط ضد الأريوسية ولكن الله إستخدمهما هناك للكرازة بين الوثنيين. كما إستخدم رهبان وادى النطرون الذين تشتتوا بسبب الاضطهاد الأريوسى لهم لينشروا المسيحية والرهبنة في الدول الأخرى التى نزحوا إليها، وهكذا تحقق قول يوسف الصديق لاختوته الذين باعوه «أنتم قصدتم بى شراً أما الله فقصد (حوّل) به (بشركم) خيراً». ثم عاد القديسان مكاريوس الكبير والاسكندري إلى الاسقيط باستقبال عظيم لم يشهد الاسقيط مثله فى التاريخ. أما القديس مكاريوس أسقف إدكو فلقد رافق القديس ديوسقورس عند نفيه إلى جزيرة غاغرا ولما أوفده القديس ديوسقورس ليثبت المؤمنين بالاسكندرية استشهد فى سبيله.

كما أن البابا ثاؤفيلس ٢٣ إستعان بالقديس مكاريوس الكبير للتصدى لبعض الهرطقات ونجح فى ذلك مما دعم مكانة الرهبان لدى باباوات الاسكندرية وباباوات الاسكندرية لدى الرهبان. ولقد إستعان البابا ثاؤفيلس أيضاً بالرهبان فى تحويل المعابد (البرابى) الوثنية إلى كنائس لمحاربة الوثنية فى مصر فى القرن الرابع، وهكذا كان الرهبان هم جيش الله الذى هزم الوثنية ونشر المسيحية فى ربوع مصر كما نشرها فى الدول الأخرى أيضاً.

وبالقضاء على الوثنية البيزنطية ومعابدها وتمثيلها فى مصر كان القضاء على رموز الاستعمار الأجنبى وهذا دور قومى رائع ورائد يذكر للرهبان الأقباط فى التاريخ المصرى وخاصة رهبان وادى النطرون.

وهكذا فإن قادة الكنيسة على مر العصور تخرجوا من الأديرة وما تزال الأديرة عامرة بالعطاء للكنيسة.

٦ - وبعد إغلاق مدرسة الاسكندرية اللاهوتية بسبب النزاع الخلقيدونى إنتقلت المدرسة وأساتذتها إلى دير القديس مكاريوس بالاسقيط وتحول الدير (وبالتالي كثير من الأديرة) إلى جامعات لاهوتية وظلت الأديرة منارة للعلم والإيمان .

٧ - كانت حياة الرهبان الأقباط كرازة صامته وعظة معاشة وتسببت روحانيتهم وبساطتهم وتسامحهم وإيمانهم في جذب كثيرين من الوثنيين في العصر الرومانى إلى المسيحية دون جدال أو تعصب ، وعلى سبيل المثال عندما رأى أحد الكهنة الوثنيين تسامح وتواضع ومحبة القديس مكاريوس الكبير طلب منه أن يرشده إلى المسيحية فأرشده وآمن . وغالباً ما يكون هذا الكاهن الوثنى قد اجتذب رعاياه الوثنيين معه أيضاً إلى المسيحية ، وكذلك لما نفى الامبراطور فالنس الأريوسى القديس مكاريوس الكبير والقديس مكاريوس الاسكندرى عام ٣٧٤م إلى جزيرة فيلة فقاما بشفاء ابنة كاهن أوثنان فيلة فأمن الكاهن الوثنى بالمسيحية هو وكل شعب الجزيرة .

كذلك في سيرة القديس مكاريوس الاسكندرى أيضاً لما سطا اللصوص الوثنيون على قلايته لم يقاومهم بل أعطاهم كل ما يملك كأنها ليست له . بل وبقلب فرح غير منشغل بهذه المقتنيات الزائلة لأنه منشغل أكثر بالشوق الإلهى ومجد الملكوت ، فلما رأى اللصوص هذه الروح الطيبة السامية رغبوا أن يصيروا مسيحيين .

وكثيرون من الوثنيين صاروا مسيحيين بسبب الأعمال النسكية الباهرة التى للرهبان الأقباط ، والتى تدل على إيمانهم العميق والعظيم والحقيقى تماماً كما كان صمود الشهداء الأقباط بفرح أمام الاضطهادات اللا إنسانية بل والوحشية سبباً في دخول الوثنيين إلى المسيحية ، فصارت دماء الشهداء بذاراً للإيمان .

وكثيرون من الوثنيين صاروا مسيحيين بسبب قداسة ومعجزات الرهبان الأقباط ، كما حدث عندما ذهب القديس يحنس القصير إلى الصعيد واحتمل ظلم العمدة الوثنى ، فلما ضرب الله العمدة الوثنى فطلب صلوات القديس فشفاه القديس يحنس القصير فصار أهل كل القرية مسيحيين . وهذا ليس إلا مثال واحد من عدد لا يحصى من أمثلة المعجزات التى تمت على يد الرهبان القديسين عبر العصور ، وهكذا صارت مصر كلها للرب ولمسيحه بكراسة وقدوة وقداسة ومعجزات وسماحة تعاليم الرهبان الأقباط .

٨ - وكانت أديرة نتريا والاسقيط حصناً للكنيسة والاكليروس ، يلتجئون إليه عند الضرورة كما حدث للبابا أثناسيوس عندما إختفى من وجه الأريوسيين . وهكذا أيضاً هرب إليها البابا بنيامين الأول (٣٨) في القرن السابع عندما هرب من الخلقيدونيين والملكيين فكان أيضاً يدبر الكنيسة من الاسقيط ، بل وفي القرن العاشر أقام البابا غبريال في البرية عندما سادت حالة الفوضى في أرض مصر . وفي القرن الحادى عشر أيضاً أقام البابا زكريا وجمع كبير من الاكليروس في الأديرة في أيام الاضطهاد الذى أثاره الحاكم بأمر الله ، وتكرر أيضاً ذلك في القرن الرابع عشر لذلك قسمت الكنائس فيها إلى خوارس .



الفصل الخامس :

الدور الحضارى والعالمى للرهبنة القبطية

١ - وكما كان للرهبنة القبطية دور كنسى فى مصر، كان لها دور كرازى خارج مصر وكان لها أيضاً دور حضارى داخل مصر وخارجها أيضاً .

+ فالأقباط هم أبناء الفراعنة العظماء أصحاب الحضارة والتاريخ والثقافة والعلوم والفنون والآداب والإختراعات ، والأقباط هم حفظة هذا التراث من خلال مكتبة الاسكندرية ومن خلال جامعتها اللاهوتية الشهيرة والتي إنتقلت بعد الخلاف الخلقيدونى إلى برية شيهيت ، فصارت برية شيهيت مركز الحضارة العالمى والمصرى أيضاً، والذي أضاء كورة مصر، ومن مصر أضاء المسكونة، ونشر الرهبان الأقباط الحضارة مع المسيحية ومع الرهبنة فى بلاد العالم المختلفة، ومن هنا جاء الارتباط الوثيق بين الحضارة والرهبنة المسيحية بصفة خاصة، حتى أن الرهبانيات والأديرة التى أسسها الأقباط فى جميع بلاد ودول العالم كانت هى مراكز الاشعاع الروحى والثقافى والحضارى والعلمى للبلاد الموجودة بها وإلى الآن . فليس غريباً أن نسمع أن كثيرين من العلماء كانوا رهباناً . ولهذا يحفظ العالم كله هذا الجميل للأديرة والرهبان فى صورة التكريم والتبجيل للرهبنة عامة ولمصدر الرهبنة والحضارة أى مصر خاصة .

٢ - وعلى المستوى القومى كان قادة المجتمع يأتون من الأديرة كمعلمين أو رعاة أو أساقفة أو بطاركة ، وكانوا ينقلون العلم والحضارة من الأديرة إلى المجتمع فليس غريباً أن نرى أن المدارس إنتشرت فى مصر والسودان والحبشة وأورشليم على أيدي الأقباط رهباناً وشمامسة ومعلمين، وما الكتاتيب المصرية الملحقة بالمدارس فى جميع أنحاء البلاد إلا صورة فعّالة من صور نشر الحضارة الإنسانية والثقافية والعلوم، لتصل إلى أعماق الأرياف ولتغطى جميع البلاد حتى الأطراف المترامية والواحات البعيدة، وكأنها النيل يغطى بماء فيضانه جميع الغياض، وكانت هذه المدارس والكتاتيب هى شعلة الحضارة الوحيدة فى مصرنا العزيزة وفى الدول المجاورة أيضاً، وكانت هذه الشعلة

تستمد زيتها من العطاء الحضارى المتدفق من الأديرة القبطية عبر العصور وإلى الآن ،
ويكفى أن نعلم أنه خلال قرون عديدة لم يكن في مصر سوى المدارس القبطية
والأديرة كأداة تعليم وطنية قوية وفعالة ، حتى أن أحد الولاة طالب بابا القبط بأن
يغلق إما الكنائس أو المدارس الملحقة بها ، فإختار البابا أن تغلق الكنائس ويبقى على
المدارس !! فإندھش الوالى من حكمة البابا القبطى وحبه للعلم والتعليم وترك له
المدارس والكنائس معاً .

وكان الأقباط يتفانون ويتسابقون في التعليم ونشر الحضارة داخل وخارج مصر ،
لحبهم للعطاء ، كما يسارع النيل بنشر الماء والخير والثمار ، وكان الوزراء والكتاب
والفنيين والمهندسين والأطباء والصيادلة وغيرهم من أقباط مصر في خدمة مصر وحكومة
مصر وملوك مصر وبلادهم العزيزة مصر عبر العصور ، في مصر وخارجها ، حتى إلى عهد
قريب كنا نسمع أن جميع الوزراء في السودان والحبشة يتخرجون من المدارس القبطية
الكبرى فيها . وفي القاهرة تخرج من مدرسة الأقباط الثانوية الكبرى (بكلوت بك)
أربعة رؤساء وزراء خلال فترة زمنية قصيرة قبل قيام ثورة ١٩٥٢ وهم بطرس باشا
غالى ، يوسف وهبه ، عبد الخالق ثروت ، حسين رشدى . وكانوا جميعاً أمثلة للعلم
والمعرفة والعطاء والوطنية الصادقة ، لأن المدارس القبطية صارت صروحاً للقيم
وللحضارة والعلم والوطنية والاخلاق في آن واحد .

وكما كان آباؤنا رواداً للمعرفة والحضارة ، كانوا رواداً للمدنية أيضاً . فالبابا
كيرلس الرابع (١١٠) هو أول من أنشأ مدرسة عليا (ثانوية) للبنات في حارة
السقاين وكان رائداً في تعليم البنات وتحضير المرأة ، وهو أول من أحضر مطبعة إلى مصر
(بعد التى أحضرها نابليون بوناپرت) وهذا يدل على شغف الاقباط وباباواتهم بالعلم
والحضارة والمدنية .

+ وكانت الأديرة منارة للعلوم والفنون والتكنولوجيا والمهن ، فكان الأقباط يتعلمون
في الأديرة الكيمياء وخاصة كيمياء الألوان والصباغة وأحبار النساخة ، كما كانوا
يتعلمون النساخة والنجارة وصياغة الذهب وتفرغ الزجاج وصناعة الزجاج والفخار
والنسيج والهندسة ، ومازالت آثار هذه الصناعات ومصانعها موجودة في أطلال بعض
الأديرة إلى الآن .

وحينما يتقن القبطى إحدى هذه المهن في الدير يخرج ليعلمها لباقي المواطنين في
المجتمع المصرى المشهور بوحدته الوطنية التاريخية ، لذلك أصبح من الشائع في مصر في

فترة ما أن يلقب القبطى عامة « بالمعلم » أو « الرئيس » مثل الرؤساء العشرة الأقباط الذين استشهدوا أيام الحاكم بأمر الله فى أبريل عام ١٠٠٣ (سنكسار ١٩ برمودة) ، ومثل المعلم ابراهيم الجوهري رئيس الكتاب الشهير أيام محمد على وأخيه المعلم جرجس الجوهري وكذلك المعلم ملطى كبير القضاة والمعلم مشكور والمعلم أبو منصور مهندسا قلعة صلاح الدين ، والمهندس الشهير الذى اخترع الماكيت للمنشآت قبل بنائها ، وهو الذى بنى جامع أحمد بن طولون والمهندس الذى بنى القناطر الخيرية . وغيرهم كثيرون ممن خدموا الوطن بعلمهم وفنهم وأمانتهم ومهارتهم .

حتى أنه فى مقالة بعنوان « زيارة لعمق الصحراء » بجريدة الخليج بالإمارات بتاريخ ٢١ نوفمبر ١٩٨٨م قال الكاتب الصحفى الاستاذ أحمد الجمال [... فى دير الأنبا بيشوى تقابلت مع الآباء الرهبان .. ولا أريد أن أحكى عن روحانية الموقع ولا كرم الضيافة ولا الثقافة الموسوعية المتدفقة ، ولكنى أركز على أنه من الخسارة الفادحة لكل إنسان عربى أن يجهل دور الحركة الرهبانية المسيحية فى تاريخنا الوطنى والقومى دون أن يكون ذلك مخلاً بما هو معروف بموقف العقيدة الإسلامية أنه لا رهبانية فى الإسلام] .

وأيضاً قال فكل راهب عليه أن يعمل لسد حاجة الدير وما يفيض بوجه الخدمة الناس ، بل أن هناك فوق العمل اليدوى الذى يلتزم به كل راهب أعمالاً أخرى فى المجالات العلمية كتطوير فنون زراعة الصحراء واستنباط نباتات صالحة لتلك البيئة وكذلك زراعة الاعشاب الطبية .

٣ - وعلى المستوى العالمى :

+ ذهب كثير من الرهبان الأقباط فى القرن الخامس إلى ايرلندا عندما كان ابن ملك ايرلندا مريضاً بمرض عضال ليس له شفاء ، فلما سمع عن معجزات الشفاء من بحيرة الماء التى بجوار جسد مارمينا بديره الذى كان عامراً آنذاك ومشهوراً فى العالم كله (١) فجاء إلى دير مارمينا وشفى وزار دير السيدة العذراء (المحرق) وآمن واعتمد

(١) وجدت آثار الاناء الفخارى الذى كان يأخذه الحجاج المسيحيون مملوءاً من ماء البحيرة وعليه صورة مارمينا والجملين فى بقاع كثيرة فى العالم حتى فى الصين .

وأخذ معه رهباناً كثيرين من دير المحرق ومن دير مارمينا إلى جزيرة أيرلندا حيث بشروها بالمسيحية وعمدوهم ونشروا الحضارة القبطية في وسطهم ، ولذلك يعترف المؤرخون في العالم كله (مثل العالم الألماني بيتر بولسن Peter Paulsen) بهذه الحقيقة المؤكدة عن إنتشار المسيحية والحضارة في أيرلندا عن طريق الرهبان الأقباط في القرن الخامس ، ومن أيرلندا إلى اسكتلندا وانجلترا وألمانيا وأسبانيا وبلجيكا ، ولذلك فإن شكل الصليب الأيرلندي (Celtic Cross) يشبه الصليب القبطي ، وكذلك الفنون الأيرلندية والموسيقى والأيقونات كلها تأثرت بالحضارة القبطية والثقافة والديانة القبطية ، حتى أن حروف اللغة الأيرلندية القديمة GAELIC قد تأثرت بحروف اللغة القبطية ، وفي مكتبة Bodleian بإكسفورد توجد مخطوطتان إحداها قبطية والأخرى أيرلندية لإظهار تأثر الكتابة والحروف الأيرلندية باللغة والمخطوطات القبطية .

وحتى ألوان الزخارف والنساختة في أيرلندا قديماً هي الألوان القبطية الفرعونية القديمة ، وهي الأصفر والأحمر والأخضر ، وكذلك فكرة تصوير الحروف الهجائية وزخرفتها مأخوذة أيضاً من القبط ، كذلك النقوش الموجودة على المعادن (الحديد والبرونز) وعلى الخشب والقماش (النسيج) المستخدم في الكنيسة مأخوذ أيضاً من الفن القبطي . وتوجد منطقة في وسط أيرلندا جهة الجنوب تسمى Clonmacnoise بالقرب من نهر شانون Shannon بها مجموعة من الصلبان الحجرية القبطية الأصلية وصلبان أيرلندية قديمة مشابهة لها تظهر تطور الصليب الأيرلندي Celtic Cross وتأثره بالصليب القبطي ، وكذلك توجد صلبان قبطية في منطقة أثرية بأيرلندا تسمى السبع كنائس .

ولتأكيد أن الرهبنة دخلت أيرلندا من مصر توجد منطقة في أيرلندا الشمالية تسمى مدينة مارمينا Bally Mina ، ومنطقة أخرى في أيرلندا الجنوبية تسمى برية أوليدو Desert Ulidu كان يسكن بها رهبان أقباط من دير المحرق ، ولذلك يذكر اسم سبعة رهبان أقباط من دير المحرق (بأسبوط) في كتاب تذكارات الموتى (التراخيم) باللغة الأيرلندية القديمة منذ ما قبل القرن الثامن الميلادي . وفي أربعينات القرن الحالى تم اكتشاف مقبرة هؤلاء الرهبان الأقباط السبعة في منطقة Donegol شمل غرب أيرلندا (بالقرب من بلفاست) .

كل هذا جزء صغير من تاريخ حضارى طويل وعظيم امتدت جسوره الجسورة من مصر إلى أيرلندا ثم إلى أوروبا ، ولهذا اهتمت أوروبا بدراسة هذه الظاهرة وكتب كثير من الكتاب عنها مثل Peter Paulsen العالم الألمانى فى كتابه :

((Koptische und Irlische Künst und ihre Ausstrahlungen auf alt germanische Kulturen))

Tribus Jahrbuch des Linden - Museums, Stuttgart 1952-53, P.149 -187

ومن أيرلندا ذهب الرهبان الأقباط أو تلاميذهم الأيرلنديين من أيرلندا إلى سويسرا وإلى ألمانيا حيث أسسوا مدينة ميونخ القديمة ، ولذلك سميت بإسم الرهبان (مدينة ميونخ : من موناخوس) وعلمها الرسمى يمثل راهب بملابس سوداء ، وكذلك ذهبوا إلى بلجيكا (التى مازال يوجد بها شارع يسمى شارع الرهبان الأقباط) .

+ ونتيجة لهذه القنوات الحضارية بين مصر وأوروبا إنتشرت فى أوروبا عادات مسيحية مثل بيضة شم النسيم التى أصلها فرعونى (تمثل خروج الحياة فى الربيع من الأغصان الجافة مثل الكتكوت عندما يخرج من البيضة) والتى ارتبطت بالقيامة عند الأقباط (الذين قاموا بتنصير هذه العادة الفرعونية) وأصبحت تمثل قيامة المسيح الحى من داخل القبر الذى يظهر ميتاً من الخارج ، كذلك إنتشرت أسماء قبطية من القبطى الصعيدى مثل «يحنس» أو «يوحنس» (أى يوحنا) بالقبطى الصعيدى وهذا الإسم نجده فى ألمانيا (يوهانس Johannes) لأن هذا الاسم بهذا النطق لا يوجد فى لغات العالم كلها إلا فى اللغة القبطية باللهجة الصعيدى .

كما أن تسمية الصيدلية أو الأجزاخانة (مخزن الأدوية) فى اللغة الألمانية باسم أبوتيكي Aputheke مأخوذة عن اللغة القبطية ἀποθήκη وتعنى مخزن ومنها إسم مدينة أبوتيج بأسسوط لأنها كانت مخزناً قديماً أيام حكم اليونان (القاموس القبطى للإقلاديوس لبيب) .

+ كما ذهب الاقباط ليبشروا فى النوبة وفى الهند (القديس بنتينوس عام ١٩٠م). منذ القرن الثانى الميلادى والحبشة (القديس فرومنتيوس المصرى عام ٣٣٠م) من القرن الرابع . ونشروا المسيحية والحضارة المصرية والرهبة فى كل هذه

البلاد، وكذلك القديس أنثاسيوس الرسول نشر الرهبنة في أوروبا أثناء نفيه خارج مصر. ففى نفيه عام ٣٣٥ - ٣٣٨م إلى مدينة تريف Treve (وبالفرنسية Tries) وهى تقع على شاطئ نهر الموزل بفرنسا، كتب كثيراً عن حياة الرهبنة المصرية وخاصة كتابه العظيم عن حياة القديس أنطونيوس فتتلمذ على يديه مارتن، الذى أسس جماعة رهبانية على مقربة من بواتيه حوالى عام ٣٦٢م، ومجموعة رهبانية أخرى بالقرب من مدينة تور حوالى عام ٣٧٢م عندما سيم مارتن أسقفاً لهذه المدينة وتأسست أيضاً أربعة أديرة أو جماعات رهبانية فى تريف بفرنسا، لم يبق منها إلى الآن إلا دير القديس متياس الرسول والذى يضم رفاقه المقدسة وجزء من ثياب السيد المسيح، ومازالت توجد حول هذا الدير مغارات ومنشوبيات رهبانية كثيرة تشبه تلك الموجودة حول دير الأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر، مما يدل على أن القديس أنثاسيوس تلميذ الأنبا أنطونيوس هو مؤسس الرهبانية بها.

وكذلك عندما نفى البابا أنثاسيوس مرة أخرى إلى روما بين عامى ٣٤٠ - ٣٤٩م مصطحباً معه راهبين من وادى النظرون أحدهما الراهب أمونيوس والثانى الراهب القس إيسيدوروس الذى كان مشرفاً على بيوت الضيافة فى الاسقيط، عملوا معاً على نشر الحياة الرهبانية والنظم الرهبانية فى روما، وكانت تسضيفهم هناك أرملة مسيحية إسمها مارسلا التى تأثرت بأحاديثهم عن الحياة النسكية للأرامل والعذارى فى مصر، فأسست مارسلا نواة الحياة الرهبانية للنساء واجتذبت إليها كثيرات من نساء وعذارى الطبقات الراقية.

+ كما تأثر القديس أمبروسيوس (أسقف ميلانو بإيطاليا) بالحياة النسكية القبطية التى نشرها البابا أنثاسيوس والراهبان اللذان اصطحبهما إلى إيطاليا، فأسس القديس أمبروسيوس نظاماً للرهبنة الخادمة متأثراً فى ذلك بالراهب القس إيسيدوروس الذى جمع بين الرهبنة والخدمة الرعوية والكهنوتية.

+ وكان تأثر القديس أوغسطينوس (عندما كان فى روما) بروح كتابات البابا أنثاسيوس وخاصة كتابه عن حياة القديس أنطونيوس دافعاً قوياً له ليؤسس رهبانيات قوية فى شمال أفريقيا وخاصة فى هيبو Hippo عندما سيم أسقفاً عليها عام ٣٩٦م.

+ كما إنتشرت الرهنة القبطية ومعها الحضارة المصرية إلى أوروبا وأسيا أيضاً عن طريق كثيرين من الرحالة الأجانب الذين جاءوا إلى مصر وعاشوا في براريها وأديرتها ومغاراتها ومنشوبياتها وتحادثوا مع كبار قادة الرهنة القبطية وتشربوا منهم مناهج وروح الحياة الرهبانية القبطية وسجلوا ملاحظاتهم ومناقشاتهم بالتفاصيل الدقيقة ونشروها في الغرب والشرق ومن هؤلاء:

أولاً : بلاديوس Palladius مؤلف كتاب التاريخ اللوزياكى Historia Lausiaca ، وكتاب بستان الرهبان الذى جمع فيه أقوال الرهبان الأقباط وأسلوب حياتهم وتعاليمهم ونظم الحياة الرهبانية القبطية، ونشر كل هذه في الغرب بلغتهم اليونانية مما ساعد على تعرف الغرب على الحياة الرهبانية القبطية ووقوفهم على حضارتنا العريقة، وبالتالي تأسيس الحياة الرهبانية في الغرب على النظام الذى شاهده ووصفه بلاديوس كما عاشه بين الرهبان الأقباط في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الميلادى. إذ أنه ولد في غلاطية حوالى عام ٣٦٤م، وصار أسقفاً في فلسطين ثم زار الاسكندرية وتعرف على المشرف على بيت الضيافة في البطريركية بالاسكندرية وهو القس ايسيدوروس الذى اصطحبه البابا أثناسيوس معه إلى الاسكندرية ليستفيد من علمه وروحانيته في خدمة الكرازة فساعد إيسيدورس بلاديوس على التعرف على الحياة الرهبانية القبطية فإشتاق بلاديوس إلى زيارة جبل نترى عام ٣٩١م ومنها إلى كيليا (القلالى) حيث عاش بها ثمانى سنوات تمتع فيها برؤية وإرشادات القديس مكاريوس الاسكندرى ثم زار بعض التجمعات الرهبانية في صعيد مصر، ثم زار الاسقيط حوالى عام ٤٠٠ م وعاد إلى فلسطين. ومازال كتاب بستان الرهبان الذى وضعه بلاديوس يدرس ويقرأ في جميع ديارات مصر والأديرة الرهبانية المتأثرة بالقبطية في العالم كله إلى اليوم.

ثانياً : القديس باسيليوس الكبير (٣٢٩ - ٣٧٩م) طاف برارى مصر ووقف على روحانية آباء البرية الأقباط، ووضع قوانين الرهنة المعروفة بإسمه، وأسس رهبانية شهيرة منسوبة إليه في بلاده قيصرية الكبادوك.

ثالثاً : مارأوغريس البنطى (إيفاجوريس) ترهب بنترى عام ٣٨٣م ومارس التقشف الصارم وإماتة الذات، وله أقوال كثيرة وكان قد تأثر بأوريجانوس ونقل

أفكاره لنترى مما سبب بلبله بين رهبان نترى .

رابعاً : يوحنا كاسيان (٣٦٠ - ٤٣٥ م) John Cassian زار مصر حوالى عام ٣٨٥م ومكث بها سنوات عديدة وتنقل بين تجمعاتها ودياراتها الرهبانية ومتوحيديها وذكر أنه شاهد كنائس الاسقيط الأربعة عام ٣٨٥م . وكتب حصيلة مشاهداته ومناقشاته مع آباء الرهبنة القبطية ومعايشتهم والاسترشاد بتعاليمهم وروحانياتهم، وترك لنا كتاباً ثميناً منها كتاب النظم الرهبانية القبطية *Institutes* وكتاب المناظرات *Conferences* وهو يشتمل على أربعة وعشرين فصلاً، العشرة الأولى خاصة بمباحثاته مع آباء الاسقيط الذين تأثر بهم جداً حتى أنه دعى الاسقيطى .

ولما زار كاسيان القسطنطينية رسم شماساً بيد القديس يوحنا ذهبى الفم (حوالى عام ٤٠٠م) ثم رسم بعد ذلك قساً فى موطنه . ولقد نقل يوحنا كاسيان الرهبنة القبطية إلى مقاطعة بروفانس بجنوب فرنسا ثم أسس ديرين بالقرب من مرسيليا وظل كاسيان يقود الحياة الرهبانية فى فرنسا حتى آخر أيام حياته ، ويرجع إليه الكثير من الفضل فى نقل التراث القبطى الرهبانى الروحى من تساييح وصلوات ومزامير ونسك من مصر إلى الغرب وخاصة إلى القديس بندكت .

خامساً : روفينوس (٣٤٥ - ٤١٠ م) Tyrannius Rufinus من أكويلىا *Aquilia* بشمال إيطاليا، زار مصر حوالى عام ٣٧١ أو ٣٧٢م وعاش لمدة عامين فى الاسقيط وعاش الرهبان الأقباط ونقل هذا التراث الروحى إلى الغرب، وكان متحمساً لكتابات أوريجينوس، وينسب إليه كتاب « الصحراء أصبحت مدينة » الذى يصف كيف إمتلأت صحارى مصر بالعباد والرهبان كنجوم السماء، وينسب إليه كذلك كتاب تاريخ الرهبنة فى مصر *Historia Monachorum* . وأثناء تجواله فى الاسقيط ونترى وصلته رسالة من جيروم عام ٣٧٣م يقول له فيها : سمعت أنك قد توغلت فى أعماق مصر الخفية وتطوف بالعائلة السمائية التى على الأرض (الرهبان) .

وتتلمذ روفينوس على المقارين ومعايشتهم وإيسيدوروس وغيرهم إذ قال عنهم [الذين علمونى ما تعلموه من الرب] .

سادساً : جيروم (أبرونيوموس) ٣٤٢- ٤٢٠ م Jerome ولد في كويلا سوريا Coele Syria نواحي سوريا وتعمد وتعلم في روما ، وزار فلسطين حوالي عام ٣٧٤ م وتوحد لمدة أربعة أو خمسة أعوام في صحراء سوريا. زار مصر وعاش بين رهبانها في أواخر القرن الرابع، ونقل قوانين ونظم حياة الشركة التي للقديس باخوميوس إلى اللغة اللاتينية حوالي عام ٤٠٤ م فاعتبر أنه همزة وصل بين حضارة الشرق والغرب ، وكان قد عاش عدة سنوات في وادي النظرون وكانت معه راهبة رومانية تدعى بولا ، ثم سافر الاثنان إلى فلسطين، واستقرا حيث أسس جيروم ديراً للرجال وأسست بولا ديراً للراهبات من مالها الخاص . وكان كل هؤلاء قد قاموا بنقل التراث الرهباني القبطي إلى الغرب (وإلى فلسطين أيضاً) . وقد تأثر القديس بندكت بهذه القوانين والنظم والحياة الرهبانية القبطية . وكان القديس بندكت قد ولد عام ٤٨٠ م وتوفي عام ٥٤٧ م وبدأ حياته التوحيدية (متأثراً بالنظام الأنطوني) في كهف في Subiaco على بعد حوالي أربعين ميلاً من روما . ثم أسس في حوالي عام ٥٢٠ م حياة رهبانية مشتركة على نظام القديس باخوميوس، والذي نقله للغرب يوحنا كاسيان، يقوم هذا النظام على أساس (الصلاة والعمل) والذي يسمى باللاتينية Ora et Labora (وهو غير النظام الذي يقوم على الصلاة فقط الذي يتبعه جماعة المصلين) كما وضعه القديس باخوميوس حوالي عام ٣٢٠ م، وسرعان ما انتشر هذا النظام على يد القديس بندكت (وكما يسمى في الفرنسية القديس بنوا Benoit de Benursie) في أوروبا كلها وانتشرت معه المسيحية حتى بين القبائل البربرية في العصور الوسطى، وصارت أديرة البندكت مراكز للكراسة والتعليم وإنشاء المدارس والمستشفيات والملاجيء ومراكز حضارية عملت على نشر الحضارة في الغرب، ولذلك يدين لها الغرب بالفضل إلى اليوم ، وهذا بفضل التراث الرهباني والحضارة المصرية القبطية التي تأسس عليها هذا النظام .

+ وبجانب جيروم وآخرين يعتبر الراهب هيلاريون الذي من غزة (ولد عام ٢٩١ م) من أوائل مؤسسي الرهبنة في فلسطين، وقد تعلم في الاسكندرية حيث إعتنق المسيحية وتتلמד على يد القديس أنطونيوس ثم عاد إلى فلسطين (غزة) وأسس الجماعات الرهبانية المعروفة « بأبناء وبنات القيامة » .

كذلك ساهمت ميلانيا بما لها في بناء كثير من الأديرة والقلالي بأورشليم على النظام

القبطى بعد أن تأثرت بالرهبة فى وادى النطرون الذى زارته وعاشت فيه مدة .

والقديسة ميلانيا هى أسبانية الأصل وكانت قد تزلت فى سن مبكر وتركت روما حيث أودعت ابنها الوحيد عند أحد الأصدقاء، وقدمت لزيارة برارى مصر مع القديس روفينوس عام ٣٧٣م وتناقشت مع عمالة الرهبة القبطية الأوائل ، وأنشأت فى أورشليم ديراً للراهبات .

وكذلك القديسة بولا الرومانية التى تركت ولديها وقدمت لزيارة برارى مصر عام ٣٨٥م مع القديس جيروم ثم عاشت ناسكة باورشليم حيث تبعها كثيرات .

+ كما إنتشرت الرهبة فى العراق على يد الراهب أوكين المصرى فى أوائل القرن الرابع والذى تتلمذ على يدى القديس أنطونيوس والقديس باخوميوس، وأسس كثيراً من الأديرة على النظام القبطى فى العراق (الموصل) وشمال الجزيرة العربية وفى أرمينيا وفارس (إيران) .

+ كذلك الراهب القبطى إبراهيم القشقى الذى كان راهباً فى وادى النطرون ثم أسس ديراً فى جبل عزلا بنصيبين (بالعراق) حوالى عام ٥٠٢م وسار رهبانه على نفس نظام وملابس رهبان وادى النطرون (حكيم أمين- تاريخ الرهبة والديرية المصرية ١٩٦٣م) .

+ كذلك مارإشعيا الاسقيطى الذى كان أحد كبار قادة الرهبة بالاسقيط، وكان معاصراً للقديس مكاريوس الكبير ونزح مع عدد كبير من رهبان شيهيت إلى سوريا بعد هجوم البربر على الاسقيط وبقي فى سوريا حوالى أربعين عاماً، وتلمذ كثيرين وكانوا ينظرون إليه كناسك ونبى مملوء من نعمة الله ، وجاء بعض تلاميذه المتعاقبين من سوريا إلى وادى النطرون ليشاهدوا الموضع المقدس الذى أنجب هذا الناسك العملاق والنبى العظيم وسكنوا بالقرب من كنيسة ثيوطوكوس (والدة الإله) التابعة لدير الأنبا ييشوى والتى تعرف اليوم بكنيسة السريان بدير السريان العامر نسبة لهؤلاء الرهبان السريان .

من الأدب الحضاري للرهبنة القبطية

إذا كانت الحضارة المدنية هي إحترام إنسانية الإنسان إياً كان وتقدير كرامته وحريته وحاجاته مع التوافق الطبيعي والحفاظ على البيئة لذلك فهي تتخاطب العقل وتتلاقى مع حاجات النفس البشرية وتقف على أعتاب القلب، أما الآداب الرهبانية فهي بجانب كل ذلك تتسامى بالإنسان وتتسلل إلى القلب وتتناغم مع الروح لتشيع السعادة والصفاء والسلام الحقيقي في عمق الكيان الإنساني .

ولا عجب فالمسيحية بصفة عامة والرهبنة بصفة خاصة تخران بقمّة الآداب الحضارية الإنسانية الراقية، النابعة من تعاليم السيد المسيح في الكتاب المقدس . ومن روحه القدوس فينا، ومن التراث الحضاري المتوارث عبر الأجيال .

+ فيها هو السيد المسيح له المجد يضمّد الجراح ويشفي الأمراض و يقيم ابن الأرملة، ويعزّي الحزاني ويشبع الجياع وينير الأذهان وينتصر للإنسان على كل ما يعيق تقدمه وسعادته لأنه جاء لتكون لنا حياة وليكون لنا أفضل فهو يفضل أن نكسر السبت لأجل شفاء وراحة الإنسان وتحريره من الله، معلماً أن السبت جعل لأجل الإنسان وليس الإنسان لأجل السبت (مر ٢ : ٢٧) .

+ ويعلمنا المشاركة الوجدانية بعضنا مع بعض قائلاً «فرحاً مع الفرحين، وبكاءً مع الباكين» .

+ ويعلمنا عدم التغاضي عن إحتياجات الآخرين في مثل الغنى ولعازر، وفي تعاليمه «من سخرك ميلاً فاذهب معه إثنين، من سألك فاعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده» (مت ٥ : ٤١) . ومتى صنعت وليمة فادعوا العرج والعمى .. الذين ليس لهم أن يردوا لك .

+ ويعلمنا التسامح والتسامي فوق أخطاء الآخرين قائلاً «إغفروا يغفر لكم حتى أنه غفر لصاليبه» (لوقا ٢٣ : ٣٤) .

+ وعلمنا المحبة ليس فقط للأقرباء والأصدقاء بل أيضاً للأعداء قائلاً «أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم ، صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم» .

+ كما علمنا أن نبذل أنفسنا لأجل أحبائنا «ليس حباً أعظم من هذا أن يبذل أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو ١٥ : ١٣) . وهذا ما فعله هو شخصياً لأجلنا على الصليب ...

+ وعلمنا القاعدة الذهبية في التعامل مع الآخرين قائلاً له المجد «كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم إفعِلوا هكذا أنتم أيضاً بهم» (مت ٧ : ١٢) .

+ وفي حنانه على الجميع قيل عنه «قصبة مرضوضة (المحطمين) لا يقصف ، وفتيلة مدخنة (البائسين) لا يطفىء ، حتى يخرج الحق إلى النصر» (مت ١٢ : ٢٠) .

+ وكما علمنا الرسول بولس أيضاً «فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعف الضعفاء ولا نرضى أنفسنا ، فليرض كل واحد منا قريبه (الآخرين) للخير لأجل البنیان» (رو ١٥ : ١-٢) .

ولهذا قال أحد شيوخ الرهبان (مارشعيا الاسقيطى) [ليقل القوى للضعيف (صحياً) هلم نأكل (قبل موعد حل الصوم)] ومن أجل المحبة كسر أحد الآباء الشيوخ قانون صومه الانقطاعى تلبية لدعوة من راهب ، ولما غادر هذا الشيخ هو وتلميذه عائدين في الطريق ، أراد تلميذه أن يشرب فقال له الشيخ [إن موعد الافطار لم يحن بعد ، فقال له تلميذه : أما أكلنا يا أبى ؟ فقال الشيخ : إننا أكلنا من أجل المحبة فقط ، ولم نحل صومنا (إرادياً) لأننا لم نأكل لأجل الشهوة بل لئلا نحزن الأخ الذى دعانا] .

وشيوخ آخر تأخر تلميذه في إحضار الطعام ليفطر في الساعة التاسعة من النهار (الثالثة بعد الظهر) ولما أحضره جاء إليه يجرى فأنسكب منه الطعام على الأرض فخجل التلميذ ، أما الشيخ فلم يغضب لا من الداخل ولا من الخارج ، بل ذهب ليلتقط الطعام من على الأرض ويأكله وهو يقول في وداعة [إن لم يأت الطعام إلينا نذهب نحن إليه] .

+ وفي طريق سيرهم في البرية ضلّ الرهبان وأبوهم الروحي الطريق ، لأن دليلهم لم يتبين الطريق إذ كان الوقت قد أسمى ، فقال الرهبان لأبيهم يا أبانا لقد ضللتنا الطريق ونحن عرضة لأن نهلك في الصحراء وإذا تقدمنا أكثر في هذا الطريق الخطأ لن نتمكن من استبيان الطريق الصحيح فهل ننبه الدليل ؟ فقال لهم أبوهم [لا تحزنوا الأخ ، فالأفضل لنا أن نهلك في البرية ولا نحزن (نجرح مشاعر) الأخ الدليل ، ولكن الله المتحنن على أولاده ألهمه أن يتظاهر بالارهاق حتى يبيتوا مكانهم إلى الصباح لكي يتصح أمام الدليل الطريق الصحيح . وصار مثلاً : أن الاخوة (رهبان الاسقيط) فضلوا الموت على أن يحزنوا الأخ (الدليل) ... هذه هي المشاعر الإنسانية الرقيقة ، والتضحية الحقيقية للحفاظ على سلام الآخرين . هذا هو مقدار إحترام النفس البشرية ومشاعرها ، هؤلاء هم الرهبان الأقباط عمالقة التضحية والفداء والعصامية .

+ ومن إحترام الرهبان للآخرين وتفضيلهم عن الذات ، نسمع عن قصة عنقود العنب الذي أثمر في غير أوانه فأهداه صاحبه إلى القديس مكاريوس الذي أهداه بدوره لمن يبدو أنه أحوج منه به ، وهكذا حتى اجتاز العنقود من راهب إلى راهب وهو باق كما هو حتى عاد ثانية للقديس مكاريوس الذي مجد الله الذي سكب محبته في قلوبنا لنحب بعضنا بعضاً أكثر من أنفسنا .

+ وكذلك الأنبا بيشوى الذى كان يغسل أقدام زائريه لذلك استحق أن يغسل أقدام السيد المسيح ، كما حدث مع إبراهيم أبى الآباء .

+ ولم يشأ الأنبا بيشوى أن يجرح مشاعر الكاهن الذى كان يسبب عثرة للرهبان بكلامه حتى أصلحه الله .

+ أمثلة من الآداب الحضارية (للقديس نيلس - بستان الرهبان) :

● أنت تحب أن تعمل الفضيلة بلا تعب ولكن إعلم أن التعب إنما إلى حين أما الأجر فيدوم إلى الأبد ، فأحبب فعل الخير بقدر قوتك .

● إذا حضرت لتأكل مع شيوخ فكن مثل إنسان يستحي أن يأكل .

● إعط البطن ما يقوتها لا ما تهواه .

● إظلم نفسك في أخذك وعطائك (مع الآخرين) وإحذر أن تعد (تحسب) نفسك شيئاً ، حتى ولا أحد بعدك .

● إذا شتمك أحد الأشخاص فتفكر ما إذا كنت قد فعلت ما تستحق بسببه الشتيمة فإن كنت قد عملت فاحتسب الشتيمة بمنزلة المجازاة وإن كنت لم تعمل فلتكن عندك شبه الدخان .

● لا تبغض المسكنة لأنها تصير المقاتل بلا هم .

● لتكن رحيماً على المحتاجين من تعبك لكيما يرحمك الله ويعينك واصنع الخير مع المساكين فإنهم يرضون الديان عوضاً عنك .

● ليكن كل الاخوة عندك جياداً (فاضلون) وعلم لسانك أن يكرم كل الناس .

+ ومن الآداب الرهبانية الحضارية أيضاً نذكر بعضاً من تعاليم الأنبا اشعيا الاسقيطى للمبتدئين فى الرهبنة (بستان الرهبان) :

■ إن النفس التى تريد أن تقف أمام الله بغير ذنب لتكن حريصة كحرص التاجر الذى يسعى إلى الأرباح ويتحاشى الخسائر- أما الخسائر الروحية المسيحية فهى طلب مجد الناس- الكبرياء- تذكىة الذات- التكلم بما يغضب السامعين .

■ لا تزدري بإنسان ... وترحم على كل الخليقة .

■ إعط جسدك حاجته بقدر بحيث تكف عن الأكل وأنت مازلت تشتهيه (بدون شبع) كذلك سهرك يكون بقدر .

■ إذا كنت ماضياً مع إخوة فى طريق ، وكانت بينك وبين أحد منهم محبة فلا تكن لك دالة أمامهم لئلا يكون فيهم أحد ضعيفاً فيموت من الغيرة منكما وتكون الخطية عليك لأنك سببت له عثرة .

■ إذا دخلت قلاية أخ (راهب) ... فحيثما أجلسك إجلس ولا تتحرك من الموضع الذى أجلسك فيه إلا بدعوة منه .

■ إياك أن ترفع نظرك لتبصر شيئاً مما فى قلايته أو تحرك شيئاً من موضعه .

■ إذا جلست على المائدة وأنت شاب فلا تتجراً وتدعو إنساناً (آخر) إلى الأكل...
مد يدك إلى ما هو قدامك فقط ، ... ولا ترفع وجهك في قريبك وأنت تأكل ولا تتلفت
هنا أو هناك ... وإذا شربت الماء فلا تدع حلقك يحدث صوتاً كما يفعل العلمانيون .

■ إذا جلست مع الاخوة واضطرت للبصاق ، فلا تبصق وأنت في وسطهم ... وإذا
جاءك التثاؤب فلا تفتح فمك فيذهب .

■ ثلاث فضائل تبعث في العقل نوراً مستديماً وهي : أن لا تعرف شر إنسان - أن
تصنع الخير مع الذى صنع بك الشر- أن تتقبل ما يجلبه عليك العدو دون أن يضيق
صدرك ، فالذى لا يعرف شر إنسان فقد أدرك المحبة . والذى يفعل الخير مع من يفعل
به الشر فقد أدرك السلام ، والذى يقبل ما يأتيه من العدو بغير ضيق صدر فقد إقتنى
الوداعة .

■ إن جادلك إنسان فلا تجادله محاولاً إثبات كلامك (وجهة نظرك) فهذه الأمور
تدل على أن الإنسان العتيق لا يزال بعد حياً فيك ، لا تكن معانداً أو متمسكاً برأيك
لئلا يسكنك الشر ، فإن طالبك الاخوة بأمر لا تهواه ، فإرفض مشيئة نفسك وتمم ما
يقولونه لك .

■ من قطع هواه من أجل أخيه لمرضاة الله فقد أنبأ نفسه أنه إقتنى الفضائل .

■ إذا افتري أحد عليك بشيء لم تصنعه فلا تجزع ولا تغضب بل إتضع .

■ إن ذهبت إلى السوق لتبيع عمل يديك فلا تتشدد في الثمن وإذا أردت أن
تشتري شيئاً زد على ثمنه قليلاً وخذه .

■ إن سألك أخ أن تعيره (تقرضه) إناءك فاعطه إياه . رغم حاجتك إليه ورغم
عدم وجود غيره عندك ، وإياك أن تجلس بعد ذلك متضايقاً مرتبكاً فخير لك أن يهلك
أحد أعضائك (ممتلكاتك) من أن يذهب جسدك كله إلى جهنم .

■ إن أنت أقرضت إنساناً مسكيناً شيئاً ما وعرفت أنه ليس له ما يوفيك فلا تحزنه
ولا تضيق عليه في شيء مما أعطيته .

■ إن ذهبت إلى قرية وأوصاك أخ أن تشتري له شيئاً ، فاشتره له ، كما لو كنت تشتريه لنفسك (أفضل وأجود ما يكون) وإن كان معك إخوة وقتئذ فاشركهم في هذا الأمر.

■ إن استعرت من أخيك فأساً أو غيره فلا تتوان في أن ترده إليه عند قضاء حاجتك ولا تتركه حتى يطلبه منك .

■ إن مررت في الطريق مع أخ وحدث أن قابلت صديقاً لك وأردت أن تسأله في أمر ما واستأذنت الأخ قائلاً : إسترح قليلاً حتى آتى إليك . فإن دعاك صديقك أن تدخل لتأكل عنده ، فإياك أن تلبى دعوته ، دون أن تشرك الأخ الذي معك .

+ أمثلة من الآداب الرهبانية الحضارية من أقوال الشيخ الروحاني (القديس يوحنا سابا) للمبتدئين في طريق الرهبة (عن بستان الرهبان) :

★ لا تتلفت عينا الإنسان هنا وهناك بل ليكن نظره إلى قدمه فقط ، وإذا دخل قلاية معلمه أو تلميذه معلمه أو صديقه ، فبالحذر يمسك نفسه لئلا يبصر أو يميز شيئاً مما تحويه ، وإن كان يُغضب من صاحبها لينظر ذلك فلا يطاوعه .

★ لا يتكلم كلاماً زائداً بل ما هو ضروري فقط ولا يقطع كلام ذلك الذي يتكلم ليتكلم هو ، .. ولا يتكلم بحكومة (بسلطان أو بعجرفة) مع إنسان .

★ كل موضع يصادفه ، فليكن فيه صغير اخوته وخادمهم ، كما يكون مستعداً لكل عمل ومطيعاً ، ويختار كل عمل حقير ويصنعه بإتضاع ولا ييكت إنساناً على جهالته ، بل يضع نفسه أمام جميعهم كمخطيء .

★ إذا ضحك فلا يكشف عن أسنانه ، وإذا تشاءب فليغظ فمه لئلا ينظره أحد .

★ لا يمارى على شيء ولا يلاجج ولا يكذب ، ولا يحلف باسم الله ، ويهان ولا يهين ، يُظلم ولا يظلم ، لأنه أفضل أن يهلك ما للجسد مع الجسد ولا تعجز (تفقد) واحدة مما للنفس (الروح) ، ولتكن رحمته على كل إنسان ، وهو بعيد ومتفرغ من كل إنسان .

* وبالعفة يأكل ويشرب كما ينبغي لأبناء الله ، ولا يمد يده قدام رفيقه .

* لا يستعجل في مشيته بدون سبب ضرورى ، وإذا ذهب في طريق فلا يسبق من هو أكبر منه ... وإن اتفق والتقى رفيقه بأناش وتكلم معهم فليلبث هو منتظراً إياه دون أن يستعجله .

+ من الأدب الرهبانى (عن قصاصة مخطوطة قديمة من حوالى القرن ١٢) بعنوان «دواء للشفاء من الخطايا والذنوب» :

عندما سأل راهب مبتدىء أحد الرهبان الحكماء عن هذا الدواء فأطرق ذلك الحكيم بنظره ورأسه إلى الأرض ثم رفعها وقال للراهب : أيها الراهب إذا وصفت لك الدواء (فهل) تحفظه ؟ فقال الراهب : نعم بارك الله فيك . قال الحكيم : خذ عروق الفقر وورق الصبر وأهليلج (ثمر طيب يشبه البلح) الخضوع وإيليج الخشوع واجمعهم في هاون. التوبة واسحقهم بفهم الخوف وريهم (رجهم) بماء المحبة واجعلهم في طنجير (طاجن) التقى (التقوى) وأوقد عليهم نار العفة وحركهم باسطام (عصاة) العصمة ، واجعلهم في إناء من الاستغفار وضيف (أضف) إليهم شراب الورع ومعجون النعمة واستعمله فإنه نافع لك إن شاء الله الغذاء (التغذى) من مرقهم على الدوام والله الشافى والمسامح .

+ ومن الآداب الرهبانية الراقية إحترام قدسية الكهنوت . فلقد كان القديس أنطونيوس أب جميع الرهبان يدعو القديس أثناسيوس تلميذه ليصلى على الطعام لأنه كان شماساً (قبل أن يصير بطريكاً) على الرغم من أن القديس أنطونيوس كان مرشده ومعلمه .

+ ومن الآداب الرهبانية أيضاً إحترام الأقدمية الرهبانية والأبوة الروحية وإحترام النظام الكنسى والرئاسات الكنسية والوطنية ، كما قال ماربولس الرسول «ليكن كل شيء بلياقة وبحسب ترتيب» (١كو ١٤ : ٤٠) .

ويقول ماربطرس الرسول «اخضعوا لكل ترتيب بشرى» (١بط ٢ : ١٣) . وهكذا كان الرهبان معلمين للترتيب والرقى والكياسة التى يطلق عليها الآن

الدبلوماسية وهذا كله كان له تأثيره في المجتمعات الكنسية ومنها إلى الادارة الكنسية ثم بالتالى إلى المجتمع البشرى سواء كان محلياً أو عالمياً مع إنتشار الحضارة القبطية التى جسدت التعاليم المسيحية الحضارية مثلما كان ماربولس الرسول حازماً جداً حين قال «ثم نوصيكم أيها الاخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التعليم الذى أخذه منا، إذ أنتم تعرفون كيف يجب أن يتمثل بنا لأننا لم نسلك بلا ترتيب بينكم» (٢تس ٣ : ٦ ، ٧) .

وفى إلحاح على أهمية الترتيب واحترام إنسانية الآخرين ومحبة الغير قال ماربولس «ونطلب إليكم أيها الاخوة إنذروا الذين بلا ترتيب، شجعوا صغار النفوس، إسندوا الضعفاء، تأثوا على الجميع، انظروا أن لا يجازى أحد أحداً عن شر بشر، بل كل حين إتبعوا الخير بعضكم لبعض وللجميع» (١تس ٥ : ١٤ ، ١٥) .
فهل هناك رقى وكياسة أرقى من هذا؟!

عظمة الرهبنة القبطية

مما سبق تتضح عظمة الرهبنة القبطية في ماهيتها وأصالتها وأصولها ودوافعها وأهدافها وبركاتها وحضارتها وآدابها ومنفعتاتها للكنيسة ولل البشرية جمعاء ، ولذلك ورد في (بستان الرهبان) كثير من أقوال الآباء الرهبان الشيوخ عن عظمتها مثل :

■ قال شيخ : لا تكون تحت السماء أمة مثل المسيحيين إذا ، أكملوا ناموسهم كما لا توجد مرتبة جليلة كمثل مرتبة الرهبان إذا حفظوا طقوسهم .

■ قال شيخ آخر : كما أن الإنسان الذي ترك المملكة (محبة في الملك المسيح) وترهب يمدح من كل العقلاء والفضلاء لأن الرهبنة أفضل من كل ما تركه إذ هي توصل (تقود) إلى المملكة السمائية الدائمة ، كذلك إذا ترك إنسان الرهبنة وصار ملكاً ، فإنه يُذم من كل الفضلاء .

■ قيل أيضاً : إن المسيحيين الحقيقيين هم أفضل الأمم والرهبان أفضل المسيحيين .

■ وقال القديس يحنس القصير : بالرغم من أننا نفر قليلون (عدداً) في نظر الناس لكن دعنا نقدر الشرف الذي لنا أمام الله .

■ قال الأنبا إيلاريون : كثرة الحب والاتضاع يزينا البراهب ويشرفانه في الدنيا وفي الآخرة .

+ في قصة حياة الأنبا بيشوى ، تروى المخطوطة أن الملك قسطنطين (بعد وفاته بمدة) ظهر للقديس في رؤيا نهاراً وتحادث معه وعاتبه وهو متوجع القلب لأنه لم يعرفه عظمة الرهبنة لكي يترك المملكة ويترهب .

فسأله القديس الأنبا بيشوى : ألم تأخذ ملكاً في السماء ؟ فقال الملك قسطنطين : نعم لكن لم أصل إلى كرامة الرهبان لأنى أبصر قوماً منهم إذا إنتقلوا من الجسد (عند

نياحتهم) يُعطون أجنحة نارية كمثل النسور، ويطيرون مخلقين ومتجاوزين حصون الأعداء (الشياطين) إلى أن يدخلوا بسهولة إلى أورشليم السماوية دون أن يعوقهم الشياطين. فشرح له القديس الأنبا بيشوى عدالة الله في المكافأة السخية من الله للرهبان لأنهم تركوا بيوتهم وجميع ما لهم وزهدوا خيرات الدنيا وجميع الملذات وكانوا يرقدون على الأرض الحشنة ويسهرون الليل ويصومون كثيراً ويتنسون بأنواع كثيرة وهم معذبين متضايقين متألّمين سائحين في البرارى والمغاير وشقوق الأرض (عب ١١ : ٣٨). أما أنت أيها الملك فكان لك زوجة وأولاد وعبيد وغنى وزينات ومملكة. والمسيح له المجد وعد من يترك شيئاً لأجله على الأرض أن يعوضه مائة ضعف هنا وفي الدهر الآتى يهبه ملكوت السموات، والقديس بولس الرسول قال عنهم «لم يكن العالم مستحقاً لهم» (عب ١١ : ٣٨).

+ ولذلك فالجميع يكرمون الرهبان حتى الأباطرة والملوك والأمراء كانوا يتباركون بزيارتهم للرهبان وزيارة الرهبان لهم.

+ فلقد زارت إحدى الأميرات القديس أرسانيوس وطلبت صلواته ولكنه استقبلها بجفاء لثلاث تأتى بقية الأميرات إليه فيفقدن المكان سكونه.

+ وعندما طلب البابا ثاؤفيلس من القديس أرسانيوس أن يسمح له أن يزوره فأجاب القديس الرسول [إن جاء البابا فتحت له. وإن فتحت للبابا فسأفتح لكل أحد وإن فتحت لكل أحد لن أستطيع السكنى هنا].

+ وهكذا أيضاً جاء أحد الباباوات يطلب كلمة منفعة من راهب شيخ فقال له [ليس أفضل من أن يرجع الإنسان بالملامة على نفسه في كل أمر].

+ وكان البابا أثناسيوس يفتخر أنه صب ماءً على يدي القديس أنطونيوس وكان أيضاً يرسل لطلب مشورة الرهبان.

+ وجاءت أيضاً إحدى الأميرات وقدمت إلى الأنبا بموا كيس ذهب للدير. فطلب القديس من تلميذه أن يأخذه منها دون أن يلتفت إليها.

+ وبينما كان الأنبا بموا سائراً مع بعض الرهبان ومروا على جماعة من العلمانيين

جالسين فقال لهم الأنبا بموا [قوموا وحيّوا الرهبان حتى تنالوا بركة لأنهم يتحدثون باستمرار مع الله وأفواههم مقدسة] (عن مخطوطة سيرة الأنبا بموا) .

+ وكان الامبراطور ثيودوسيوس الكبير يستشير القديس يوحنا الأسىوطى .

+ وأرسل الامبراطور ثيودوسيوس الصغير يسأل رهبان الاسقيط عن سبب عدم سماح الله له بالإنجاب .

+ وعن عظمة الرهبة القبطية بالاسقيط أنها اجتذبت إليها الامراء والاميرات من أمثال القديسين الأميرين مكسيموس ودوماديوس (٣٨١ - ٣٨٤ م) ابنى الامبراطور فالنتينيان الأول Valentinian I (٣٦٤ - ٣٧٥ م) والقديس أرسانيوس العالم والفيلسوف الذى قدم إلى الاسقيط عام ٣٩٤ م ، وتنيح عام ٤٤٩ م بدير شهران (البغل) بطرا حيث عاش فيه السنوات العشرة الأخيرة من عمره . والقديسة الأميرة إيلارية ابنة الملك زينون (٤٧٤ - ٤٩١ م) والقديسة الأميرة أنسطاسيا التى رفضت الزواج من الامبراطور جوستينيان وترهبت بالاسقيط تحت إرشاد الأنبا دانيال قمص شيهيت .

كذلك اجتذبت الرهبة فى برارى بقلاس القديسة الشهيدة دميانة (ابنة والى البرلس) منذ العصور المبكرة للمسيحية .

هذه هى الرهبة القبطية،الصرح الشامخ فى تاريخ مصر والثمرة المباشرة والخالدة للرحلة الخالدة التى قامت بها العائلة المقدسة إلى مصر، وبها تقدست أرض مصر وشعبها المبارك «مبارك شعبى مصر» فأنبئت هذ التجمعات أو الصروح الرهبانية بعمقها الروحى وبعدها الحضارى ودورها الكنسى وانتشارها العالمى وخلودها التاريخى .

وان كانت الرهبة تبدو من الخارج لا منظر لها ولا جمال فذلك لأنها تتشبه بالمسيح المصلوب الذى قيل عنه «نبت ... من أرض يابسة لا صورة له ولا جمال فتتظر إليه ولا منظر فتشتهيه» (أش ٥٣ : ٢) .

ولكن يحق لها أن تقول مع عروس النشيد «أنا سوداء وجميلة يابنات أورشليم ... لأن الشمس قد لوحتنى» (نش ١ : ٥ ، ٦) ، لأن «كل مجد ابنة الملك هو من داخل» (مز ٤٥ : ١٣) (حسب الترجمة القبطية) .

الكتاب الثاني :

حياة ومعجزات القديس العظيم
الأنبا بيشوى

الفصل الأول :

أمنوا وعلى حياة القديس العظيم الأنبا بيشوى

التسمية

دعى القديس بالاسم القبطى $\pi\iota\omega\varsigma$ أو $\pi\iota\omega\varsigma$ أى الارتفاع أو السمو أو على أو سامى . وكان يحلو لمعلمه الأنبا بموا (أو بامو) أن يناديه « الأنبا بيشاى » $\pi\iota\omega\varsigma$ أو بشاى $\pi\iota\omega\varsigma$ أى المشرق أو المنير- وهو غير القديس بيشاى أو بشاى الذى عاش فى زمان الأنبا بيجول خال الأنبا شنوده رئيس المتوحدين- وإذا غيّرنا أداة التعريف فى بيشوى $\pi\iota\omega\varsigma$ من π إلى π فيكون بشوى $\pi\iota\omega\varsigma$ ، وإذا علمنا أن المقطع « $\omega\varsigma$ » فى اليونانية أو القبطية البحرية ينطق مثل ϵ (ياء ممدودة) فإن $\pi\iota\omega\varsigma$ تنطق بيشيه، و $\pi\iota\omega\varsigma$ تنطق بشيه وهذا هو سر كتابة إسم القديس بيشيه أو بشيه فى المخطوطة العربى عن حياة القديس الأنبا بيشوى وفى السنكسار القبطى لرنيه باسيه وبعض الايقونات والمخطوطات القديمة التى يرد فيها ذكر القديس الأنبا بيشوى .

كما أن النطق اليونانى لإسم القديس الأنبا بيشوى هو بائسيوس الكبير ويكتب بالإنجليزية St. PAÏSIOS the great. وذلك لعدم وجود حرف الشين فى اليونانية فاستبدل بحرف السين وكذلك بإضافة المقطع اليونانى «وس» المعتاد للأسماء المذكورة فيصبح بيشوى هو بائسيوس (أو بسويوس) وهذا هو إسمه الذى ورد فى السنكسار اليونانى الكبير الذى منه ترجمت حياة القديس إلى الإنجليزية ، والقديس بائسيوس هو غير بائزيوس أو بايسيوس Paesius أو Paisius (Pa - isis = الذى من إيزيس) الذى هو الأخ الأصغر للأنبا بيمن Poemen ، وهو يختلف أيضاً عن بايزيوس Paesius الذى هو أخو الأنبا اشعياء الذى ذكره بلاديوس فى التاريخ اللوزياكى ، بينما قد ينطق إسم القديس الأنبا بيشوى- فى الترجمات المختلفة المأخوذة عن اليونانية- بسويوس أو بسويوس Psōios وقد تتضخم السين إلى صاد فيصبح الإسم بصويوس . وهو أيضاً غير صيصوى الذى هو القديس شيشوى .



صورة القديس الأنبا بيشوي وصبرت مرسومة على جدران
دير مار أرميا بسفقا (عن كتاب إيقليين وايت)

والقديس الأنبا بيشوى معروف ومشهور جداً عند الآشوريين والكلدانيين ويسمونه ماربيشوى بالآشورية ܡܪܝܫܝܐ وتوجد على إسمه أديرة كثيرة منها دير أثرى قديم فى تركيا فى قضاء (محافظة) يوان، كما يوجد دير أحدث منه فى إيران فى قرية ونة (أونى) ودير حديث (١٩٣٣) فى سوريا بجوار نهر خابور، وهناك جماعات كبيرة وكثيرة من الآشوريين والكلدانيين فى الولايات المتحدة والعراق وسوريا وتركيا يسمون أنفسهم أبناء ماربيشو ويتخذونه شفيعاً لهم .

ولقد إنتشر إسم بيشوى فى تسمية أبناء الأقباط هذه الأيام لشهرة القديس العظيم الأنبا بيشوى وعظمته وكثرة معجزاته وبركات شفاعاته وصلواته المستجابة، ولحثهم على التشبه بالقديس فى قداسته والتشفع به فى حياتهم كشفع قريب منهم وملازم لهم .

ألقاب القديس الأنبا بيشوى

+ فى مجمع القديس الإلهى يذكر بعد القديس مكاريوس الكبير مباشرة ويلقب «أبانا الأنبا بيشوى البار الرجل الكامل حبيب مخلصنا الصالح» . وهى ألقاب ينفرد بها القديس الأنبا بيشوى وحده من حيث تعددها وعمق معانيها من حيث البر والكمال ومحبة الله .

+ وكان معلمه الأنبا بموا (أو باموى) يدعوه دائماً بالقديس بيشاى أى القديس المشرق أو المضيء بسبب نقاوة وطهارة قلبه والتي إنعكست على وجهه نوراً روحانياً متلأثاً .

+ ويلقب بالأنبا بيشوى الأرمى لعلاقته الروحية الحميمة بأرمياء النبى وسفره الرقيق المؤثر، حتى عند نقل جسد الأنبا بيشوى من أنصنا إلى شهيت وجدوا إسم القديس مكتوباً بالقبطية داخل التابوت «القديس بايئسيوس (بيشوى) الأرمى» كما ذكر العلامة جورج إيفيلين وايت فى كتابه أديرة وادى النظرون الجزء الثانى أن إسم القديس الأنبا بيشوى وجد مكتوباً مع إسمين آخرين باللغة القبطية على جدران دير أرميا بسقارة وهذا يدل على إنتشار وقدم هذا اللقب .

+ ويلقب القديس الأنبا بيشوى فى التمجيد الكنسى الخاص به بثلاثة ألقاب عظيمة هى: رسول وشهيد وسائح. إذ يتساءل التمجيد متحيراً من عجز اللسان عن وصف عظمة فضائل القديس والدرجة السامية التى وصل إليها بجهاده العظيم وبنعمة الله التى ساندته، فيقول.. [ماذا أقول وقد (لعل) ينصرنى (يعيننى) الرب (لأعرف كيف أظهر عظمتك)]. فإن قلت إنك رسول فأنت كذلك لأنك رديت الطاغى حيث عملت لقفك ثلاث آذان وكرزت بالثالوث القدوس. وإن قلت إنك شهيد فقد صرت شهيداً بتعبك مراراً كثيرة، وإن قلت أنك سائح فإن ذلك حق لأنك إذ كنت ترفع عينيك إلى السماء تنظر العرش وإذا نظرت إلى الأرض تنظر العمق السفلى].

+ ويلقب بالكبير (أى القديس الأنبا بيشوى الكبير) كما هو عند اليونانيين لعظمته ولتمييزه عن الأسماء الأخرى المشابهة فى النطق لإسم الأنبا بيشوى اليونانى.

+ يلقب الأنبا بيشوى بمقدم (رئيس) المجمع (الرهبانى) الثالث فى برية شيهيت (الأول أنبا مكارىوس والثانى أنبا يحنس القصير والثالث الأنبا بيشوى والرابع القديسين مكسيموس ودوماديوس) وذلك حسب نبوة القديس مكارىوس الكبير عندما عاد من المنفى (أيام فالنس الأريوسى) (السنكسار ١٣ برمهات) فلما إستقبله الأنبا بيشوى والأنبا يحنس القصير بارك عليهما القديس وتنبأ لهما بأنهما سيكونان آباء للمجامع الرهبانية.

+ ويلقب بالنبي لكثرة تنبؤاته ومعرفته للغيب حسب ما وهبه الله.

+ كما يلقب بالرأى لكثرة الرؤى التى رآها.

+ ويلقب بموسى الجديد كما ورد فى الذكصولوجية الآدام. يا موسى الجديد الذى أهلك عماليق الذى هو الشيطان (عندما جربه بالمال) وأبالسته الأردباء (الذين كانوا يحاربون تلاميذ الأنبا بيشوى من الرهبان).

نشأة القديس

ولد هذا القديس حوالى عام ٣٢٠ ميلادية على الأرجح ، فى قرية «شنشا» باليونانى تنطق «سنسا» كما فى المخطوطة وقد تكون إحدى قرى المنوفية بدلتا مصر، أو قد تكون إندثرت أو تحرف إسمها إلى شنشنا أو شانشا، وقد ورد فى كتاب جغرافية مصر لأميلينو: «شانشا هو إسم لعدة قرى أو مدن تقع فى أقاليم متعددة، فمنها ما هو يتبع مدينة دمنهور وما يتبع شربين وما يتبع مركز أجا وما يتبع الدلنجات». وكان أبواه من المسيحيين الاتقياء وقد رزقهما الله سبعة بنين، وبعد نياحة والدهم قامت أمهم التقية القديسة بتربيتهم فى مخافة الله وفى أحضان القديسين وشبعتهم بسير القديسين وأطعمتهم كلام الله كحياة تعيشها فى وسطهم ويعيشونها هم مع والدتهم، كما فعلت أم موسى عندما أرضعت موسى لبنها وكلمة الله الحية ووعدوه الصداقة وروح الإيمان القوى، وكما فعلت أم القديس تيموثاوس وجدته (٢تى ١ : ٥) ولذلك بارك الله أم الأنبا بيشوى وكافأها على حسن تربيتها لأولادها فى طريق الرب (أم ٢٢ : ٦) بأن إختار الله أحد أبنائها السبعة وهو القديس بيشوى لي عمر البرية ويؤسس رهبنته ويعطر التاريخ الكنسى بزهد وإيمانه وطهارته ووداعته وصلواته وشفاعاته التى هى سند لكثيرين عبر العصور.

وهكذا فقد أرسل الله ملاكه المقدس ليخبر أم الأنبا بيشوى فى رؤيا أن أحد أبنائها سيصير قديساً لكى يفرح قلبها بعد أن حملت عبء تربية أولادها، فقالت للملاك: (كل أبنائى هم للرب). ولكن ملاك الله أمسك الأنبا بيشوى من يده وقال لأمه: هذا فاعل جيد لسيدته. ولكن الأم ردت ببساطة إيمان وقالت إختار أحد الأقوياء الكبار من أولادى لأن بيشوى أصغرهم وأنحفهم، ولكن الملاك قال لها إن الله ينظر إلى القلب وليس إلى الجسد. وهكذا كان الأنبا بيشوى يزداد فى التقوى والفضيلة والوداعة ومحبة الله.

لهبنته :

لما كبر القديس وصار له من العمر حوالى عشرون عاماً اجتذبه الله إلى إسقيط القديس مكارىوس (بوادى النظرون) حيث تتلمذ على يدى الأب العظيم فى إرشاداته الأنبا بموا الذى قبله فرحاً وألبسه الاسكيم المقدس الذى للرهبان ، وكان الأنبا بيشوى يطيع وصايا معلمه وقوانين الرهبنة بكل إتضاع قلب وإيمان ، وكان الأنبا بيشوى يسكن مع القديس أبو حنس بالقرب من معلمهما الأنبا بموا فى المنطقة المعروفة الآن بتلال أبو حنس على بعد حوالى ٣ كيلومترات جنوب شرق دير الأنبا بيشوى الحالى .

الدرس الأول :

ومن شدة إعجاب القديس الأنبا بيشوى بمعلمه القديس الأنبا بموا وبتدريبيه ووصاياهم فكان يتفرس كثيراً فى وجه معلمه الذى كان هادئاً مملوءاً بالسلام ويشع بالنور الروحانى كمثل وجه موسى النبى عقب حديثه مع الله على الجبل ، ولكن إتضاع الأنبا بموا وزهده فى المديح وعدم محبته لتكريم الناس له . كل ذلك جعله يوصى الأنبا بيشوى بأن لا يتفرس فى وجوه القديسين بل يطرق بنظره إلى الأرض ويجعل فكره عند الله كل حين ، ولقد أطاع القديس الأنبا بيشوى وصية معلمه واعتكف لمدة ثلاث سنوات لم ينظر فيها وجه إنسان على الإطلاق ، كان خلالها مداوماً على قراءة الكتب المقدسة ليرى بها نفسه الظمآن للحب الإلهى وكان يواظب على الصوم والسهرة والجهاد ، حتى أخذ وجهه يضئ بلمعان النور الروحانى مما جعل معلمه الأنبا بموا يفرح به أكثر وأكثر ويعزیه ويدعوه بلقب « الأب المشرق » أى بيشاى ΠΙΩΣΑΙ

القديس سبأ طريقه الوصية :

لما تنيح القديس الأنبا بموا لاحظ القديس يحنس القصير أن الأنبا بيشوى يميل بالأكثر لحياة الوحدة والانفراد فصارحه بهذا وإتفقاً على أن يصليا معاً طوال الليل ليعرفا مشيئة الله من جهة الوحدة . وعند الفجر ظهر لهما ملاك الله بعد صلاتهما طوال الليل

وأخبرهما بأن يسكن كل واحد منهما منفرداً لكمال التدبير الذى أراد الله الخلاص نفسيهما، وقال للقديس يحنس أن يظل حيثما هو وسيمتلىء مسكنه بالرهبان وسيدعى إسمه عليه (وهذا هو دير الأنبا يحنس القصير الذى كان يعد أكبر دير فى الاسقيط منذ القرن الرابع الميلادى حتى تخرّب) .

وأخبر الملاك الأنبا بيشوى بأن يسكن وحده وسيكون أباً لرهبان كثيرين أيضاً ولذلك إختار الموضع الذى فيه ديره الآن وعمل له مغارة فى الصخرة (وهذه المغارة موجودة إلى الآن بدير السريان) .

وشاع صيت قداسة ونسك وروحانية ومعجزات الأنبا بيشوى مما جعل الناس يتلهفون لرؤياه وسماع كلامه الشهى ويلتفون حوله مثل النحل حول الشهد، حتى تكاثر عدد تلاميذه الرهبان الذين سكنوا فى هذا الجبل كوعد الرب له (وصاروا حوالى ٢٤٠٠ راهباً على ما ذكر فى بعض المراجع) .

وتزايد القديس فى الفضائل والنسك ومحبة الله حتى صار من أعظم آباء البرية الكبار وكوكباً منيراً لهداية النفوس إلى طريق المجد المسيحى والملوكوت السماوى، وكثيراً ما كان القديس يعتكف فى مغارته لمدة ثلاث سنوات لا يرى فيها وجه إنسان، وكثيراً ما كان يذهب إلى البرارى ويعيش بنسك شديد، وكثيراً ما كان يهرب من الناس إلى مغارته بعد الكنيسة فى نفق تحت الأرض حتى لا يراه أحد (وكان هذا النفق مصنوعاً من الطوب اللبن ومغطى بجزوع وفروع النخيل) لأنه - كان مشغولاً بالتأمل فى السماويات .

ولقد ورد إسم القديس الأنبا بيشوى ضمن عظماء المتوحدين الأوائل وذلك فى خطاب باللغة اليونانية أرسله الأنبا أمونيوس الأسقف الذى من نتريا إلى البابا أثناسيوس عندما سأله البابا عن القديسين المتوحدين فى شيهيت . وهذا يدل على أن الأنبا بيشوى كان مشهوراً منذ القديم أنه من أوائل المتوحدين العظماء فى الصحراء .

القديس والصوم:

ورد في كتاب أقوال الآباء الشيوخ أن الأنبا بيشوى قال للأب يوحنا رئيس أحد الأديرة [منذ أن أصبحت راهباً لم ترانى الشمس آكلًا].

وذكر القديس يحنس القصير أن الأنبا بيشوى بدأ يتدرب على الصوم الانقطاعى الأسبوعى فما كان يأكل إلا من السبت إلى السبت ثم تدرج ليصوم عدة مرات مدة إثني عشر يوماً متصلة، وكان طعامه الخبز والملح فقط، ووصل في تدريبه على الصوم عدة مرات لمدة واحد وعشرين يوماً لا يذق فيها شيئاً ثم يأكل خبزاً وملحاً فقط.

واننا نعجب من هذه المقدرة العظيمة على الصوم الانقطاعى لمدة طويلة تصل إلى ثلاثة أسابيع، ويجدر بنا أن نتصور كيف سيكون جسد هذا القديس الناسك الذى أمات أعضائه التى على الأرض (كو ٣: ٥). وأعتقد أنه من المستحيل أن يقترب الشيطان منه ولا حتى بالفكر، لأنه أصبح أشبه بملاك نورانى، ولذلك ليس غريباً أن نسمع عنه أن سحابة حملته من جبل إسنا إلى الاسقيط، أو أنه كان يعاين كثيراً من الرؤى حتى إستحق أن يعاين السيد المسيح مرات كثيرة، وكذلك كان يظهر له أرميا النبى، وصار الأنبا بيشوى بأفعابه الكثيرة مثل الشهداء كما يُذكر ذلك فى التمجيد «وإن قلت أنك شهيد فقد صرت شهيداً باتعابك مراراً كثيرة».

وقد تدهش لاحتماله الصوم الانقطاعى طوال ثلاثة أسابيع مرات كثيرة، ولكن دهشتنا تزول إذا تأملنا صدق وعود الله وكلام السيد المسيح المحيى القائل «أنا هو خبز الحياة» (يو ٦: ٤٨). فالمسيح هو خبز الحياة وليس الطعام أنفانى، ولذلك كان الأنبا بيشوى يتناول الأسرار المقدسة ويحيا بها من السبت إلى السبت [أى من مساء السبت إلى مساء السبت حينما يجتمع الرهبان إسبوعياً حيث كان القداس الإلهى يبدأ من مساء السبت بالعشية ثم التسابيح طوال الليل ثم القداس الإلهى الذى ينتهى فجر الأحد]. وكذلك قال السيد المسيح له المجد عن جسده المحيى «هذا هو الخبز النازل من السماء لكى يأكل منه الإنسان ولا يموت، أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذى

أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم « (يو ٦ : ٥٠ - ٥١) .

فمن يستطيع أن يشك فى مقدرة الأنبا بيشوى على الصوم الطويل دون أن يموت ،
إذ أن الرب نفسه أعلن لنا بفمه الإلهى أن من يأكل جسده لا يموت !!

ولقد كان الأنبا بيشوى جوعاناً وعطشاناً إلى البر (مت ٥ : ٦) وكان مشتاقاً إلى
الحب الإلهى كإشتياق الإيل إلى جداول المياه هكذا إشتاقت نفسه إلى الله (مز ٤٢ :
١) ، فكان مشغولاً بالصلاة الدائمة والحديث مع الله ليلاً ونهاراً وتأمل كلام الله فى
الكتب المقدسة فكان لا يدرى بالجوع من أجل فرحه الروحانى وتعزية كلام الله لنفسه
العطشانة إليه . ولسان حاله يقول مع داود النبى «لأن نفسى عطشت إليك لكى
يزهر جسدى فى أرض مقفرة (دون طعام) وموضع بلا ماء ، وهكذا ظهرت لك
فى القدس (البرية) لأرى قوتك ومجداك» (مز ٦٣ : ١ - ٢) .

القديس والصلاة : «أما أنا فصلاة» (مز ١٠٩ : ٤) .

كان الأنبا بيشوى يحب الله (منذ نشأته) . من كل قلبه ومن كل فكره ومن كل
قوته فلم يبق فى نفسه قوة إلا وسخرها لله الذى أحبه ، وكانت نفسه ملتهبة شوقاً للحب
الإلهى الذى كان يجذبه من الحديث مع الناس إلى الحديث مع الله ليلاً ونهاراً حتى
كان يربط شعر رأسه بحبل مدلى من سقف مغارته الصخرية حتى إذا غلبه النعاس
كان الحبل يشد شعر رأسه لأعلى فيداوم على السهر ويداوم الصلاة ويداوم الحديث مع
خالقه وفاديه وحبيبه وعريس نفسه ، ولسان حاله يقول [يجرى حديثى معه سراً ولا
رقيب] . حتى لقبته الكنيسة «حبيب مخلصنا الصالح» إذ لم تكن الصلاة بالنسبة
له فرضاً أو قانوناً ولا حتى مجرد فضيلة ، بل كانت الصلاة شوق داخل تلقائى للقاء
الرب ، ولذة روحية تنسيه كل العالم وما فيه ، وحنين دائم من كل القلب للتأمل فى
عظمة الله وتسبيح جوده ومجده وقدرته ومحبه للبشر .

هكذا كانت صلاته أحاديث حب للمخلص وصلة قوية بالله وحضور دائم فى
حضرة الرب ليعاين مجده وقوته ويتعزى بفرح لا ينطق به ومجيد ، ولذلك كان إذا طلب

من الله من أجل تلميذه اسحق خلصه الله من فخ الشيطان ، وإذا طلب من أجل توبة القس الذى كان يحضر من المدينة ليقم القداس الإلهى للرهبان ، فاستجاب له الله ورجع نفس القس ، وإذا طلب أن يكف الشيطان عن محاربة الراهب المبتدىء ، هكذا كان ، وإذا طلب أن يعطيه الله لساناً سريانياً ليتكلم مع مارافرام ويتعزيا معاً أعطاه الله ما أراد ، «فصلاة البار تقتدر كثيراً في فعلها» (يع ٥ : ١٦) . وما زالت صلواته وشفاعاته تستجاب لخلاص كثيرين وفرحهم ونجدهم وتحقيق سؤال قلب كل من يتشفع به لدى مخلصنا الله .

إن محبة القديس الأنبا بيشوى لله جعلته ينظر إلى الصلاة كأنها حديث قلبى وروحى شيق وبدالة وب عاطفة وشوق وفرح ، يشعر فيها بكل المتعة واللذة الروحية وكل التعزيات المفرحة لذلك كان لا يريد لها أن تنتهى ، فلذلك كان يتحایل على ضعف الجسد فى النعاس بربط شعر رأسه بحبل مدلى من سقف مغارته ليجبره على التيقظ إذا ضعف الجسد وإنغلب من النوم ، وهكذا كان يقاوم لذة النوم من أجل لذة أسمى ، ويقطع حديثه مع الناس ليتحدث مع الله (كما قال الشيخ الروحانى) ويربط شعره ليحرر روحه لتسبح فى لجج النور الإلهى مسبحة متهللة مع الملائكة والقديسين .

إن فى محبة القديس للصلاة ونظرته إليها وطريقة ممارسته لها دروس روحية نافعة لنا لتعلم كيف نصلى بفرح وحب وشوق وإيمان ، لا كمن يؤدي فريضة أو كمن يرضى ضميره ، بل كمن يريد أن يشبع من الفرح الإلهى والتعزيات الإلهية ، ولذلك يتفنن ويبدع فى استغلال كل لحظة وكل نفس للصلاة والتسبيح وتمجيد إسم الله ولا يريد للزمن أن يمر حتى لا تنتهى الصلاة وحتى لا يتحول عن أنهار التعزيات الإلهية حيث غمر (أشواق النفس البشرية) ينادى غمراً (حب الله وشوقه لخلاصنا) فيما النفس تناجى الله مع المرتل «غمرينادى غمراً» (مز ٤٢ : ٧) .

وراعة القديس ومساخره الإنسانية الرقيقة تجاه الجميع :

الإنسان الروحانى رقيق ولطيف يشعر بأحاسيس الآخرين ويعتبر مشاعرهم بل ويفضلهم على نفسه «مقدمين بعضكم بعضاً فى الكرامة» (رو ١٢ : ١٠) .

وكان القديس يوصي تلاميذه أن [يترك كل واحد إهتمامه بنفسه ويعمل ما يليق (من اهتمام) بأخيه] .

ولذلك كان الأنبا بيشوى يهتم بالفقراء والمساكين والخطاة والضعفاء ، وهذا ما دفعه أن يلح على عابر طريق مسكين ليدخل عنده ويغسل رجله فإذا هو السيد المسيح .

وأيضاً رقّ قلبه النقى المملوء بالحنان والرفقة على إنسان عجوز فحمله على كتفيه فإذا هو المسيح حامل الخليفة ، وعندما طلب منه الرهبان أن ينتهر القس الذى كان يزورهم ليكف عن المزاح الباطل لم يشأ القديس أن يجرح مشاعره وقال لتلاميذه [إذا أردتم طرده يسألنى الرب عنه قائلاً رجلاً واحداً سلمته لك يا بيشوى ولم تحمله .. ؟] .

ولكن الله استجاب لصلاة الأنبا بيشوى وتغير قلب القس وبدل المزاح كان يمجّد الله فى قديسيه لإبوتهم الحانية وقلبيهم الكبير .

وعندما ذهب ليرد الهرطوقى عن ضلاله (فى إيصاى) لم يجرح مشاعره بل استخدم قففاً بثلاثة آذان ليظهر بالعيان صدق إيمانه القلبى بالثالوث القدوس ، ورجح الأنبا بيشوى ذلك الشيخ الهرطوقى وردّه للإيمان دون أن يجرح مشاعره .

وهكذا ستر الأنبا بيشوى على الأخ الذى سرق المسروقات ليتهم بها التلميذين اللذين أرسلهما الأنبا بيشوى إلى ذلك الدير، وأرشد الأنبا بيشوى عن مكان المسروقات ولم يرشد عن سارقها .

وعندما فكر أحد تلاميذه بادانة القديس لأنه يحثهم على عمل اليدين ، علم القديس بالروح بفكر تلميذه وخاطبه بمحبة وأبوة وإتضاع ولم ينتهره ، وعندما غسل أرجل المخلص لم يرغب تلميذه على شرب الماء ، بل طلب منه برفق ووداعة عدة مرات حتى خجل تلميذه من وداعة ورقة وإتضاع معلمه فى طلبه إليه ، ثم ندم تلميذه بعد ذلك على تجاهله رفق معلمه ووداعته فى النصيح والارشاد ، إذ لم يكن الأنبا بيشوى متحكماً (أو ذو حكومة) فى طلبه أو فى نصحه لتلاميذه ، ولم يكن يتمسك برأيه لفرط إتضاعه ، ولذلك لم يكن ليحتد على أحد (ولو كان مخطئاً) وذلك لفرط وداعته وكان

متمثلاً بحبيبه ومخلصه الذى قال «تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب»
(مت ١١ : ٢٩).

ومن وداعته ومحبه لأولاده لم يشأ أن يظل الأنبا بيفامون تلميذ الأنبا بولا الطموهى خارجاً بل دعاه ليدخل على الرغم من حداثة سنه .

ومن محبه للفقراء كان يوصى تلاميذه أن يجتهدوا فى عملهم وما يتصدقوا به على الفقراء ومن مشاعره الرقيقة أنه تصادق بصدق روحانى مع الأنبا بولا الطموهى ، وطلباً من الرب أن يُدفنا معاً بعد نياحتهما كما كانا معاً بالروح وهما فى الجسد ، ومن مشاعره الرقيقة أيضاً أنه كان يتعزى بسفر أرمياء النبى سفر الدموع والمشاعر الرقيقة والحزن على الخطاة ، أى السفر الذى يوضح قيمة النفس البشرية وكم ينبغى أن نحزن على هلاكها وكم ينبغى أن نجاهد لأجل خلاصها سواء كانت هذه النفس هى نفسى أو نفس إنسان آخر هو أخى فى الإنسانية التى مات المسيح لأجل خلاصها .

الأنبا بيشوى والتدبير الروحى الحكيم :

لأنه كان وديعاً ومتواضعاً وناسكاً وعطوفاً متحنناً ويعرف قيمة النفس البشرية ايقونة الله ومركز إهتمامه وعمل خلاصه ، لذلك كان أباً روحياً ومدبراً حكيماً من الطراز الأول مثل مكاريوس الكبير وأنطونيوس الكبير ولذلك يسميه السنكسار اليونانى القديس بيشوى الكبير . وهذا ما عبّر عنه المقرئى فى القرن ١٥ إذ قال [إن الأنبا بيشوى يعتبر عند الأقباط عظيماً وفى منزلة القديس مكاريوس الكبير] .

وكان الأنبا بيشوى يقدم حياته ذبيحة حب لله وقدوة حية للفضيلة تتجسد فيها محبة الله وصلاحه فكان يعلم ويدبر بقدوته أكثر مما بكلام ، وبحياته أكثر مما بتعاليمه . فكان الجميع يرون فيه ما يشتاقون إليه من سمو وفضيلة ، وتظهر حكمة التدبير الروحى للأنبا بيشوى فى لطفه وفى حزمه معاً ، فكان حازماً فى أبوة ، وكان رقيقاً فى حزم . فكان حازماً كأب مع تلميذه الذى تهاون فى مجاراته لليهودى وعتفه وكشّر فى وجهه حتى يعرفه خطاه لئلا يرجع إلى تهاونه وسذاجته مرة أخرى ، وكان حازماً فى لطف مع

الرهبان الذين جاءوا يطلبون منه كلمة منفعة وكشف لكل منهم أعماله ، وكان حازماً في الدفاع عن الإيمان المستقيم عن التالوث القدوس في إبصاي ولكن بوداعة ، وكان حازماً في إتضاع لإظهار خطر عدم الحرص في التعامل مع النساء موضحاً جزعه الشخصي من تهديدات المرأة الشريرة (التي أسقطت تلميذه) وهي على بعد مئات الأميال منه واستخدم سلاح كلمة الله والآيات الكتابية ليظهر خطرها المهلك ، وكان حازماً في زهده بخصوص المال إذ سار على رجله مسيرة ثلاثة أيام في البرية ليقابل الرجل الغنى ليرده بفضته من بعيد ، إنه إحتراس الحكماء الزاهدين العمالقة الذين يبعدون أنفسهم وأولادهم عن الأخطار الروحية المهلكة (إنكار الإيمان المستقيم- الشهوة- المال) .

وكان حازماً في هربه من السبع الباطل ، وكان حازماً في الدفاع عن الحق وعن أولاده المتهمين زوراً ، وذهب إليهم ليخلصهم ، وكان رقيقاً تجاه القديس ييفامون إذ قبله مع معلمه وتجاه تلميذه التائب إسحق فقبله فرحاً كخروف ضال ، وكان رقيقاً مع القس المتهاون حتى خلصه ، كان عطوفاً على المساكين فإستحق أن يغسل أرجل السيد المسيح ، وأن يحمله أيضاً . وكان عطوفاً في إستجابة كل من يطلب منه فلا يرده ، إنه عملاق روحى ومدبر حكيم وأمين .

الأنبا بيشوى والنسك والجهاد الروحى :

كان الأنبا بيشوى زاهداً ورعاً وناسكاً مستتيراً ولذلك لما أعلمه الله بالرجل الغنى القادم له بالذهب والفضة والأمتعة ، حالاً أسرع الأنبا بيشوى وسار في البرية مسافة ثلاثة أيام ليقابل الغنى ويرده إلى بلده قبل أن يصل إلى الاسقيط ، ولما تقابل مع الرجل الغنى ورأى معه الذهب والفضة لم يشتهيها بل في زهد حقيقى في الفانيات وتعلق ثابت بالسماويات طلب من الغنى أن يعود بها وأن يوزع كل ما أحضره على الفقراء والمساكين بمدينة وطمأنه أنه سينال رحمة الله ، وهكذا عاد الغنى بذهبه وفضته ، وأهلك الأنبا بيشوى حيلة إبليس (مثل موسى) ولما رجع الأنبا بيشوى إلى مغارته قال له الشيطان : إنك أفسدت حيلتى . فرد الأنبا بيشوى : منذ سقوطك وكل حيلك باطلة .

ومن نسكه كان يصوم فترات طويلة وصلت إلى ثلاثة أسابيع وكان طعامه بعدها الخبز والملح فقط ...

وكان يقول لصديقه الروحي الأنبا بولا الطموهى [لنتعب مادمننا فى العالم ونحن فى الجسد، قبل أن نطلب (موت) ونتوارى من هذا الموضع الغريب] .

وكان من شدة جهاده ونسكه أن ظهر له السيد المسيح له المجد وقال له : يا مختارى بشيه . السلام لك . لقد نظرت تعبك واجتهادك ووهبتك أن كل من يطلب منى بإسمك أن أغفر لهم خطاياهم (أى أقودهم إلى التوبة) .

فقال له أبونا : يا سيدى أنا أتعب لأجل إسمك القدوس لأنك أنت أيضاً تعبت عن العالم جميعه و صُلبت وقمت حتى خلصتنا . فأنعم عليه بشفاء كثيرين .

وكان أن زاد فى جهاده أكثر وأكثر بعد ذهابه لأنصنا حتى أنه قال [إن مدة إقامتى هنا تعادل مدة إقامتى فى شيهات ، أى أن الجهاد الذى جاهدته هنا فى أنصنا خلال عشرة سنوات كان شديداً وبعيداً عن مدح الناس ولذلك يعادل ما جاهدته طيلة مدة إقامتى سبعة وستين عاماً فى شيهات .

وكان القديس لا يحب مدح الناس ولا السبح الباطل لذلك أخبرنا القديس يحنس القصير أن الأنبا بيشوى إذا عرف أن فضيلته اكتشفت كان يتركها ويجاهد فى غيرها . وكان الأنبا بيشوى يقول [أنا سأنال أجرى عن السنوات التى جاهدت فيها فى البرية ، دون أن يعرفنى أو يعلم بى أحد ، ومنذ أن علم الناس بى وعرفونى فلست أتكلم عن شىء من الأجر عن جهادى لأن من يمدحه الناس فقد استوفى أجره . (مت ٦ : ٢ - ١٦)] .

وعلى الرغم من كل هذا الحذر من الكرامة لاحقته الكرامة لأن من يهرب منها تجرى وراءه ، وذاع صيته وفاحت رائحة قداسه وعمت الأرجاء .

إن نسك القديس الأنبا بيشوى وجهاده الروحي العظيم النابع من محبته لله - وليس كفرائض جوفاء - يحثنا على إستنهاض همتنا فى الجهاد لمقاومة ضعفات الجسد وحروب الشهوات وإقتناء الفضائل الروحية والتعمق فيها ، حتى تستنير أرواحنا وتتحرق فتتهلل

وتنطفئ الشهوات الجسدية كما تنطفئ النار إذا عذمت الوقود (كما قال أحد الآباء) فيصير الجهاد سهلاً ولذيذاً بل ومفرحاً أيضاً . وهكذا يتبدل حالنا من الهزيمة أمام ضعفات الجسد وحروبه إلى إنتصار ومن يأس إلى رجاء ، ومن كآبة الخطية التي تحطم كيان الإنسان إلى بهجة روحية بالخلاص الذي قدمه لنا فادينا العظيم بدمه الطاهر « لذلك قوّموا الأيادي المسترخية والركب المخلعة ... وإتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب » (عب ١٢ : ١٢ ، ١٤) .

القديس وعمل اليرين :

كان دائماً يحض تلاميذه على الاجتهاد في عمل اليرين حتى يجدوا ما يكفيهم وما يتصدقوا به على الفقراء ، وكان يوصي تلاميذه أن يأكلوا مما يكسبوه من عمل أيديهم .

ولما كان القديس يحب عمل اليرين و يقدره فكان يحث تلاميذه على العمل حتى تقمّم أحدهم من ذلك ، فعلم القديس بفكر هذا التلميذ . وقال له [يا ابني الرب عالم أنني منذ جئت إلى هذا المكان لم أفتر عن العمل الليل والنهار ، وأصنع صلاتي وشغل يدي مع ما أعذب به جسدي في هذا الموضع حتى أنجو من العذاب الأبدي ، والذي يعذب جسده ههنا بالصلاة والصوم والقراءة والسهر فهو يخلص من العذاب الأبدي] .

فلما سمع الاخوة (التلاميذ) هذا ضربوا له المطانية وقالوا : إغفر لنا يا أبانا القديس فإننا ما نستطيع أن نتعب مثلك .

ولقد كان الأنبا بيشوى يتعب في عمل اليرين بجانب جهاده الروحي النسكي الذي يفوق طاقة أى إنسان وعلى الرغم من إنشغاله في تدبير أولاده الرهبان وتلاميذه ورعاية شئونهم إذ أقامه الله مرشداً ومديراً لهم ، وكان تلاميذه منتشرين في أرجاء مصرنا الحبيبة ، بل وخارج مصر أيضاً . ولعل تكريم القديس الأنبا بيشوى للعمل نابع من إستيعابه لروح الكتاب الذي ذكر أن الله غرس جنة في عدن شرقاً ، ووضع هناك آدم في جنة عدن ليعملها ويحفظها (تك ٢ : ٨ ، ١٥) .

كما ذكر القديس بولس الرسول أن من لا يعمل لا يأكل (٢ تس ٣ : ١٠) . وكانت هذه هي القاعدة المسيحية والرهبانية ، ولذلك اختار الله الأنبياء قديماً والرسول حديثاً أثناء تأدية أعمالهم تكريماً للعمل ، كما أن النظام الرهباني القائم على الصلاة والعمل نشأ في مصر ، بعكس النظام الرهباني القائم على الصلاة فقط (المصلين) . فقد نشأ في سوريا ، وذلك لأن المصريين (الأقباط) يقدرّون قيمة العمل لتكريم الله له ولأن الله خلق الإنسان محباً للعمل بل ومحتاجاً للعمل ليحقق به ذاته ولمنفعة الجنس البشري كله ، كما أن العمل مفيد للرهبان ليحفظ نشاط الجسد الطبيعي ونشاط الذهن وليمنع الضجر ، وحتى لا يكون الراهب عالة بل يعمل ليجد حاجته وليتصدق أيضاً لأنه « مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ » (أع ٢٠ : ٣٥) .

الكتاب المقدس في حياة الأنبا بيشوى .

كان الكتاب المقدس هو حياة الأنبا بيشوى وغذاؤه وكانت حياة الأنبا بيشوى هي كتاب مقروء ورسالة حية مقروءة من جميع الناس ، عندما يرون فيه الوداعة والمحبة والتواضع وقوة الإيمان وفعل الصلاة وسائر الفضائل . وكان كلام الله يغنيه عن الطعام المادى البائد لأنه مكتوب « ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله » (مت ٤ : ٤) . فعندما كان يعتكف لمدة ثلاث سنوات متصلة كان تأمله في كلام الله هو غذاؤه وفرحه .

وكان يميل لقراءة سفر أرميا النبي لما فيه من رقة على الخطاة ، وكان أرميا النبي يظهر له ... عندما كان القديس يتأمل أو يقرأ في سفره يشرح له مكنونات أسرار السفر . حتى دُعي الأنبا بيشوى الأرمي ، منسوباً إلى صديقه أرميا النبي .

وكان الأنبا بيشوى يتمثل كلام الله في حياته كما يتمثل الجسم الطعام ويحوّله إلى دم ولحم ، ويظهر هذا جلياً في دفاع القديس عن الإيمان المستقيم فلقد أورد كل الآيات التي تثبت الأقانيم الثلاثة وإقنومية الروح القدس الرب المحيى . وكذلك عندما فزع الأنبا بيشوى من تهديد المرأة اليهودية التي أغوت تلميذه إسحق قال له تلاميذه : حتى أنت تفزع يا أبانا (من المرأة) . فأورد لهم أمثلة كثيرة من الكتاب

المقدس تبين قوة حيل النساء الشريرات وكيف أسقطن الجبابرة في حبالهن عندما إكتشفن نقطة الضعف في شمشون وفي داود وفي سليمان وكيف كانت مكيدتهن ليوسف وليوحنا المعمدان .

وهكذا ، مما يدل على أن القديس الأنبا بيشوى كان يتنفس كلام الله الذى هو أنفاس الله أيضاً والذى هو أقوى من كل سيف ذى حدين .

وهذا يظهر حاجة النفس البشرية إلى أنفاس الله (أى كلام الله) لكى تحيا وتقاوم الأمراض الروحية المحيطة فتعيش في فرح دائم وشبع دائم . « وجدت كلامك حلواً فأكلته » ولكى يضىء لنا طريق الحياة الأبدية لأن كلام الله هو كلام الحياة الأبدية « الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة » ويهدى طريقنا « سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلي » .

الأنبا بيشوى والدفاع عن الإيمان المستقيم :

قد نتعجب إذا علمنا أن القديس الأنبا بيشوى بكل رفته ووداعته عتبس وجهه أمام أحد الرهبان لأنه لم يدافع عن إيمانه بصلب المسيح أمام اليهودى الذى قابله عند ذهابه لبيع عمل يديه ، وكان اليهودى قد قال للراهب أن المسيح لم يصلب بل الذى صلب هو شخص آخر مثله ، فوافق الراهب بسذاجة أى كأنه كلام عابر، فلما رجع هذا الراهب إلى الدير رأى الأنبا بيشوى (بروح النبوة) نعمة المعمودية قد إنتزعت منه ، فتاضيق الأنبا بيشوى وحول وجهه عن هذا الراهب وهو متضايق من سذاجته وتهاونه في الدفاع عن الإيمان ، فتعجب الراهب واستفسر من القديس قائلاً : ما الذى غير وجهك من جهتي اليوم؟! فقال له القديس : من أنت ؟ فقال له الراهب : أنا فلان الأخ (الراهب) . فقال له القديس : لست أنت لأن هوذا نعمة المعمودية المقدسة قد مضت عنك . فقال الراهب للقديس : لماذا يا أبى ؟ فقال له القديس من أجل الكلام الذى قلته لليهودى . فخجل الراهب من تهاونه وإندهش لمعرفة الأنبا بيشوى بذلك الأمر . فسجد للقديس قائلاً : إغفر لى يا أبى القديس لأنى أخطأت بسذاجتى (عن غير قصد) . فحذره القديس من تكرار ذلك وصلى لأجله لله فوهبه الله نعمة المعمودية

المقدسة (دون إعادة تعميده طبعاً) .

ومرة أخرى سمع القديس عن أحد الرهبان الشيوخ في مدينة ابصاي (أو أبساي أو ابشاي أو ماإنشاي : اى المشرق ، وهى التى تحرفت إلى المنشاه حالياً) بالصعيد أنه ينكر الروح القدس ، فأرسل الله الأنبا بيشوى ليرد هذا الشيخ عن كفره ، فصنع الأنبا بيشوى قففاً من (سلال الخوص) بثلاث آذان ، وذهب إلى المكان الذى يتجمع فيه الناس حول الشيخ الهرطوقى وتظاهر أنه يريد أن يبيع القفف ، ولما سأله الناس عن سر الآذان الثلاثة بدل اثنين كالمعتاد ، شرح لهم إيمانه بالثالوث القدوس وساق لهم الآيات الكتابية التى تؤكد لاهوت الروح القدس وحتى الشيخ الهرطوقى كان يسمعه ، فآمن الجميع بكل فرح ووداعة وربح الأنبا بيشوى نفوساً كثيرة للمسيح ، دون أن يجرح مشاعر أى أحد بل ردهم عن هرطقتهم بكل تواضع روحانى .

وكان الأنبا بيشوى غيوراً على خلاص كل نفس ، لذلك جاهد كثيراً فى الصلاة لله بحرارة ليخلص تلميذه اسحق من المرأة اليهودية التى أغوته ، وبصلاة القديس ماتت هذه المرأة وعاد إسحق إلى الإيمان وإلى الرهبنة وإلى أبيه فرحاً ، كعودة الابن الضال لأبيه .

كما صارع الأنبا بيشوى فى الصلاة بحرارة لأجل الراهب المبتدئ الذى كان من تلاميذه وكان الشيطان يحاربه حتى جعله مرة يخرج بدون ثيابه من شدة الحرب . فتوسل إلى القديس ليصلى لأجله . وبصلوات القديس الأنبا بيشوى أمر الله الشيطان أن يكف عن محاربة هذا الراهب فاستراح وفرح .

+ لأجل كل هذا الجهاد العظيم والفضائل الكثيرة التى كانت للقديس الأنبا بيشوى . لذلك منحه الله مواهب كثيرة نذكر منها على سبيل المثال :

ظهورات السيد المسيح للقديس الأنبا بيشوى :

كثيراً ما كان السيد المسيح له المجد الذى هو عمانوئيل (الله معنا) يظهر للقديس الأنبا بيشوى لطهارته ووداعته وجهاداته ونقاوة قلبه تحقيقاً لوعده المقدس «طوبى

لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله» (مت ٥ : ٨). وهذا يؤكد لنا صدق المواعيد الإلهية وأن الرب قريب (في ٤ : ٥) وعن كل واحد منا ليس بعيد .

+ في إحدى المرات ظهر له السيد المسيح ليبّله أن جهاده وتعبه يرضيان قلبه ووعدته الله أنه يغفر خطايا كل من يتشفع بالقديس .

+ وفي مرة أخرى ظهر له السيد المسيح ليعده بأن الجبل كله سيكون مملوءاً بالعباد والرهبان كأبراج الحمام في الكثرة وأن الله سيعولهم لو كانوا يحبون بعضهم بعضاً .

+ وفي مرة أخرى ظهر له السيد المسيح كضيف فقير وغسل الأنبا بيشوى قدميه الطاهرتين بالماء وشرب من هذا الماء وأبقى منه جزءاً ليشرب منه تلميذه ويتبارك . ولكن تلميذه كان راجعاً مجهداً من سفر بعيد . فلما نظر إلى ماء غسيل قدمي المسيح ولم يكن رائقاً في عينيه فلم يرد أن يشرب ، فألح عليه القديس مرة أخرى حتى خجل تلميذه ، وذهب ليشرب فلم يجد الماء وعرفه الأنبا بيشوى أن الملائكة حملت الماء لعدم إيمانه لأن هذا الماء هو غسيل قدمي السيد المسيح الذي ظهر لأحد الرهبان . فندم التلميذ على عدم طاعته لمعلمه وتأسف لأنه خسر هذه البركة العظيمة ، فأرسله الأنبا بيشوى إلى أحد الأنبياء بجوار حصن مدينة أنصنا (ملوى) ليعزيه ، وهذا دليل على أن هذا الظهور بالذات حدث عندما كان الأنبا بيشوى في أنصنا ، وليس في الاسقيط .

ولما رأى النبي تلميذ الأنبا بيشوى بادره بقوله : لماذا لم تطاوع معلمك . ثم عزاه وصرفه فرحاً بعد أن أوصاه بالطاعة لمعلمه . ولما عاود فكر الحسرة يضايق تلميذ الأنبا بيشوى ثانية وطلب من معلمه أن يرسله لذلك النبي عرفه الأنبا بيشوى أن هذا النبي قد تنيح ، ويمكنه أن يذهب إليه في مقبرته التي في المدينة ويطلب منه بإسم الأنبا بيشوى أن يقوم ويعزيه . وهكذا كان إسم الأنبا بيشوى يقيم الميت فقام وعزاه بنفس الكلام الأول فرجع التلميذ فرحاً متعجباً .

+ وفي مرة أخرى ظهر السيد المسيح للأنبا بيشوى ليعرفه أنه سيصير أباً ومرشداً وقائداً للرهبان ، وحاول الأنبا بيشوى أن يتهرب من هذه المسئولية كما حاول موسى النبي من قبل ، ولكن الله وعده أنه سيعينه ، فصار الأنبا بيشوى أباً للمجمع الرهباني الثالث في برية شيهيت وذلك بعد مجمع دير القديس مكاروريوس وجمع القديس يحنس

القصير وكان رابعهم مجمع دير سيدة البراموس .

+ وظهر السيد المسيح للأنبا بيشوى (فى الاسقيط غالباً) عندما رآه الأنبا بيشوى كإنسان عجوز لم يشأ الرهبان الآخرون أن يحملوه معهم لأنهم كانوا مسرعين ليشاهدوا المسيح (دون أن يتمثلوا به) الذى كان قد وعدهم على فم الأنبا بيشوى بظهوره لهم كما للأنبا بيشوى وحسب طلبهم ذلك من الأنبا بيشوى ، وتعرف الأنبا بيشوى عليه واكتشف أنه المخلص ، وذلك بعد أن حمله وسار به ، فخجل منه إذ كيف يحمل حامل الخليقة كلها ؟ أما تلاميذ الأنبا بيشوى فقد تحسروا لما عرفوا أن الإنسان العجوز الذى أهملوه كان هو السيد المسيح ولم يلتفتوا إليه حسب وصية المسيح فلم ينالوا بركته ولقد نال الأنبا بيشوى وعداً من السيد المسيح بأن جسده لن يعاين فساداً ، ولذلك فجسده باق كما هو ، ومازالت المعجزات تتوالى من جسده الطاهر إلى اليوم لأنه مجد الله فلا بد أن الله يكرمه هنا وفى الآخرة حسب وعده الإلهى «أكرم الذين يكرموننى» ولأن الأنبا بيشوى حفظ جسده طاهراً وهيكلأ مقدساً للرب فحفظه الرب من الفساد وكرمه بالمعجزات .

ولقد ورد فى كتاب الميرون أن البابا بنيامين الثانى (الـ ٨٢) زار مغارة الأنبا بيشوى فى دير السريان الذى كان يسمى دير ثيؤطوكس الأنبا بيشوى وتبارك من الموضع الذى فيه ظهر السيد المسيح للأنبا بيشوى .

وفى الذكصولوجيا الآدام التى للقديس الأنبا بيشوى تقول الكنيسة : « من قبل طهارته وتوحده استحق أن ينظر الرب فى المغارة ، فإمتلأ بفرح لا يوصف وأخذ ماء وغسل قدميه » .

الأنبا بيشوى يقيم الميت :

تذكر الذكصولوجيا الآدام التى للأنبا بيشوى أنه أرسل تلميذه وأقام الميت بالقوة الإلهية التى بداخله . وذلك عندما لم يشرب تلميذه من ماء غسيل قدمى المخلص فندم فأرسله الأنبا بيشوى لرجل نبى بأنصنا فعزاه . وعندما تنيح هذ النبى وأراد تلميذ الأنبا

بيشوى أن يراه ثانية ليعزيه أيضاً ، أرسله الأنبا بيشوى إليه وطلب إليه باسم الأنبا بيشوى أن يعزيه . فقام الميت وعزاه ثم نام ثانية .

الأنبا بيشوى السائح :

عندما ذهب الأنبا بيشوى إلى جبل إسنا مع الأنبا بولا الطموهى وتلميذه الأنبا حزقيال ليتباركوا من أجساد القديسين والشهداء هناك إستأذن الأنبا بيشوى منهما ليعود إلى شيهيت فحملته سحابة إليها ، وكثيراً ما كان الأنبا بيشوى يعيش فى البرارى سائحاً صائماً بنفس صافية وجسد نورانى ، ولقد ورد فى تمجيد الأنبا بيشوى « وإن قلت (عنك) أنك سائح فذلك حق لأنك إذ كنت ترفع عينيك إلى السماء تنظر العرش ، وإذا نظرت إلى الأرض كنت تنظر الجحيم السفلى » وما ذلك إل لشفافيته وطهارته وإيمانه وروحانيته العظيمة .

الأنبا بيشوى والتكلم بالسنة :

عندما زار مارافرام السريانى القديس الأنبا بيشوى طلب الأنبا بيشوى من الله أن يعطيه لساناً سريانياً ليتكلم به مع القديس الزائر ليتعزيا معاً . لأن القديس الأنبا بيشوى كان يتكلم القبطية مثل سائر الأقباط فى ذلك الوقت ، ومنحه الله ما طلب وتعزيا معاً لمدة اسبوع قبل أن يعود مارافرام لبلده . وعند خروج مارافرام من مغارة الأنبا بيشوى (حالياً بدير السريان) بعد الأسبوع وجد أن عصاه التى تركها خارج مغارة الأنبا بيشوى - لأن من الأدب الرهبانى أن لا يمسك الراهب عكازاً أو عصا فى حضرة من هو أكبر منه - قد أورقت وأثمرت وهى شجرة تمر هندى Tamarindus indica . وهى باقية للآن بدير السريان بالقرب من مغارة الأنبا بيشوى .

الأنبا بيشوى النبى :

لقد منح الله موهبة النبوة للقديس الأنبا بيشوى كما تقول الذكصولوجيا الآدام :
« يا الذى توشح أيضاً بوشاح النبوة وإستحق أن يدعى بيشوى أرميا » وبروح النبوة
هذه إستطاع الأنبا بيشوى أن يعرف ويتنبأ :

- + بمجىء مارافرام من سوريا إليه .
 - + بمجىء الرجل الغنى بماله وذهبه وفضته إليه .
 - + عرف أن تلميذه إسحق فى الصعيد طلب من الرهبان أن يخبروا الأنبا بيشوى ليصلى عنه ليخلصه الله .
 - + عرف أن أحد الرهبان أنكر صليب المسيح أمام اليهودى .
 - + عرف أن أحد الرهبان يدينه بفكره بخصوص عمل اليدين .
 - + عندما زاره مجموعة من الآباء الرهبان الشيوخ وطلبوا منه كلمة منفعة كشف لكل واحد منهم أفكاره فتعجبوا ، ولما مضوا قالوا عنه للأنبا يحنس القصير إنه قديس نبى كشف لكل منا ما كان يدور بفكره . فقال لهم الأنبا يحنس : كثيراً ما كنت أزور الأنبا بيشوى فيحدثنى بما يدور فى فكرى أو بأعمالى التى عملتها .
 - + وبروح النبوة عرف الأنبا بيشوى أن التلميذين الذين أرسلهما إلى دير فى قاو بالصعيد قد سجننا ظلماً ، وعرف السارق ولم يدل عليه ، وعرف مكان المسروقات .
 - + وبروح النبوة عرف أن الأنبا بيفامون تلميذ الأنبا بولا الطموهى كان منتظراً خارج المغارة فطلب إلى الأنبا بولا ليدعوه للدخول .
- إنه بحق هو نبى .

الأنبا بيشوى الرأى :

كثيراً ما كان الأنبا بيشوى يرى رؤى روحانية لشفافيته وطهارته وقداسته ونقاوة قلبه وإيمانه وبساطته ، وإذا كان قد رأى السيد المسيح نفسه له المجد فليس بغريب عليه أن يعاين الملائكة والقديسين .

★ ففى مرات كثيرة عندما كان يفتقد الرهبان كان يرى الملائكة تحرسهم حتى فى نومهم .

★ وشاهد الملاك الذى يرافق الأنبا يحنس القصير أثناء نومه ولما استيقظ الأنبا يحنس عرف أن الأنبا بيشوى قد جاء إليه وهو نائم وعرف أنه شاهد ملاكه .

★ وكان الأنبا بيشوى ماشياً فى البرية فانفتحت عيناه الداخليتان ونظر الجبل جميعه مملوءاً بالملائكة ، فتعجب وقال فى نفسه : من هؤلاء؟! فقال له أحدهم : نحن الذين نحفظ القديسين (الرهبان) فى هذا الموضع . فمجد القديس الله على عنايته العظيمة بأولاده .

★ ولقد رأى الأنبا بيشوى مارافرام وقد حملته السحابة لتعود به إلى سوريا بعد أن تقابل معه ، فلما جاء أحد الرهبان يجرى ليلحق بالقديس لينال بركته ، عرفه الأنبا بيشوى بأنه لن يستطيع اللحاق به لأن سحابة حملته .

★ كما ظهر الملك قسطنطين بعد نياحته للأنبا بيشوى فى مغارته وحدثه عن مجد الرهبان فى الحياة الآخرة وعظمة المكانة المعدة لهم ، وأنهم عند إنتقالهم يُمنحون أجنحة كالنسور فيطفرون بها بلا عائق إلى أن يدخلوا أورشليم السماوية ، وأثناء ذلك حضر القديس يحنس القصير إلى مغارة الأنبا بيشوى وسمع صوتاً يتكلم مع الأنبا بيشوى فقرع الباب ودخل فلم يجد أحداً . فقال للقديس : من الذى كان يتكلم معك ؟ فقال له : هو الملك قسطنطين وصعد لما قرعت أنت الباب . فمجد الأنبا يحنس الله فى قديسيه .

القديس في أنصنا:

لما هجم البربر على برية شيهيت حوالى عام ٤٠٧ ميلادية ذهب الأنبا بيشوى إلى أنصنا أو أنتينوى Antinoë التى هى ملوى حالياً. وسكن فى مغارة جبلية فى المكان المعروف الآن بقرية الشيخ عبادة، وأسس ديره فى المكان المعروف بدير البرشا، وفى أنصنا تعرف الأنبا بيشوى على القديس الأنبا بولا الطموهى وتلميذه الأنبا حزقيال والأنبا بيفامون وكذلك على الأنبا أثناسيوس الأنصناوى أسقف أنصنا المحب للمسيح الذى كان كثيراً ما يزور الأنبا بيشوى ليستشيريه ويسترشد بتوجيهاته الروحية المستنيرة. وتوثقت الصداقة الروحية الصافية بين الأنبا بيشوى والأنبا بولا الطموهى لشدة تشابههما فى الفضائل وخاصة النسك حتى أن الأنبا بولا الطموهى ذكر عنه أنه صام أربعين يوماً ستة مرات. وكان فى كل مرة يموت والرب يقيمه حتى تنجح فى المرة السابعة وذكر عن الأنبا بيشوى أنه قال للأنبا بولا [ينبغي علينا أن نجاهد مادماً فى هذا الجسد قبل أن نخرج من أرض الغربة إلى الآخرة]. حتى أنه قال ليوحنا (كاسيان) [إن لى أربعين سنة لم تبصرنى الشمس آكلاً] (كما ورد فى أقوال الشيوخ).

وقال الأنبا بيشوى أيضاً [إن السنوات التى قضيتها فى أنصنا تعادل (فى شدة النسك) الستين عاماً التى قضيتها فى شيهيت].

وقد طلب القديسان الأنبا بيشوى والأنبا بولا الطموهى من الله أن لا يسمح بافتراق جسديهما بعد نياحتهما كما كانا صديقين فى حياتهما.

نياعة القديسين الأنبا بيشوى

تنيح القديس الأنبا بيشوى بشيبة طاهرة فى اليوم الثامن من شهر أبيب ١٣٣ للشهداء الموافق (بالتقويم الحالى) ١٥ يوليو ٤١٧ ميلادية عن عمر يناهز السابعة والتسعين عاماً، ودفن بإكرام فى حصن منية السقار (أو منية صقر)، ثم بعد ثلاثة شهور تنيح الأنبا بولا الطموهى فى السابع من شهر بابه عام ١٣٤ للشهداء الموافق السابع عشر من أكتوبر عام ٤١٧م فصلى عليه الأنبا حزقيال تلميذه وبقية الرهبان ودفنوه فى موضعه .

ولما علم الأنبا أثناسيوس أسقف أنصنا أن القديسين قد تنيحا أخذ سفينة ليأتى فيها بجسد الأنبا بيشوى من منية صقر ليدفنه فى دير «دير البرشا» وفيما السفينة سائرة بالجسد الطاهر الذى للأنبا بيشوى من منية صقر متجهة إلى دير البرشا وإذا بها تتوقف أمام المكان المدفون فيه جسد الأنبا بولا الطموهى . ولم يستطيعوا تحريكها، ومكثوا فى عرض البحر (النيل) يومين وإذا برجل قديس عابد اسمه أرميا كان ساكناً فى مغارة فى صخرة بالقرب من ذلك الموضع، يرشده الله ليقول لهم أن السفينة لا يمكن أن تتحرك إلا إذا وضع جسد الأنبا بولا الطموهى مع جسد الأنبا بيشوى كما طلبا من الرب ذلك، فلما سمع الأنبا أثناسيوس الأنصناوى ذلك أخذ معه الرجال وأحضروا جسد الأنبا بولا الطموهى من الموضع الذى كان مدفوناً فيه ووضعوه بجوار جسد الأنبا بيشوى فسارت السفينة إلى أن وصلوا إلى أنصنا ثم حملوها إلى دير البرشا وكفنوا جسديهما بإكرام عظيم ووضعوا كلاهما فى تابوت جديد، وقال الأنبا أثناسيوس الأنصناوى لشعبه [لقد أقمت لكم حصنين من نحاس (قويين) لإرشادكم (لهدايتكم بشفاعتهما وسيرتهما إلى الملكوت)]. ولقد ظهرت معجزات كثيرة من جسدى القديسين المباركين . بركة شفاعتهما فلتكن معنا آمين .

من أقوال القديس الأنبا بيشوى

لعل ندرة المعروف من أقوال الأنبا بيشوى ترجع لإختلاف فى نطق إسمه فى اللغات واللهجات المختلفة. ففى المخطوطات العربية نجد إسمه ينطق: بشاى، بيشاى، بشيه، بيشيه، بيشوى، والأخير هو الاسم الذى استقر الآن عليه فى اللغة العربية. وهو المستخدم فى الكنيسة وفى السنكسار القبطى المستخدم (تحت يوم ٨ أبيب) أما فى السنكسار القبطى لرنيه باسنيه فيسمى أبوبشيه. أى الأنبا بشيه.

أما فى المخطوطات الأجنبية وخاصة اليونانية فقد اختلف النطق وخاصة عند ترجمتها إلى العربية من بايسىوس أو بيسيوس إلى بائيسىوس إلى بسويس إلى بصويص أو بيصويص فقد تكون له أقوال كثيرة لكنها مدرجة تحت هذه التفريعات الكثيرة التى لإسم القديس الأنبا بيشوى. لأنه لا يعقل أن قديس عظيم مثل الأنبا بيشوى لا تكون له أقوال كثيرة. وإن كانت حياته كتاباً مفتوحاً وفضيلة متجسدة.

ومن أقوال الأنبا بيشوى الواردة فى المخطوطة العربية :

* [إن السنوات التى قضيتها فى البرية قبل أن يعلم بى أحد من الناس هى التى سأنال عنها الأجر من الله ، ومن وقت أن علم بى الناس وعرفونى فلا أتكلم عن شىء منها] لذلك كان يهرب من مديح الناس .

* كان يقول لتلاميذه [لا تكونوا محبين للشراهة فى الأكل والشرب لأن الشراهة هى التى أخرجت أبانا آدم من الفردوس ، ولتكن جميع تصرفاتكم وأعمالكم هى لمجد الله] .

* وقال للأخوة الرهبان الذين طلبوا منه كلمة منفعة [لتجتهدوا فى حفظ قوانين الرهبنة التى هى الطهارة ، الصوم ، الصلاة ، الاتضاع ، ومحبة الأخوة] .

* قال للأنبا بولا الطموهى [لتجتهد ونتعب مادماً فى الجسد قبل أن نطلب ونوافى ونخرج من العالم] .

* وقال لتلميذه لما ندم لأنه لم يستجب لطلبه في الشرب من ماء غسل قدمي السيد المسيح [يا ابني ما سقط أبونا آدم من الفردوس إلا لأجل مخالفته] .

* أخبره تلاميذه بما قالت المرأة اليهودية التي أسقطت تلميذه اسحق ففرع وتراجع إلى الورا ثلاث خطوات وفي كل مرة كان يرشم ذاته بعلامة الصليب ، فقال له تلاميذه : حتى أنت يا أبانا تخاف من هذه المرأة . فأجابهم القديس في إتضاع : [يا أولادى إن المرأة هي التي أسقطت آدم وشمشون وداود وسليمان وكانت سبباً في قتل يوحنا المعمدان . فمن يكون بيشوى المسكين حتى يقف أمامها ؟! ما من أحد غلب حيل الشيطان في النساء إلا من كان الله معه] .

* كان دائماً يقول [ليس في جميع الفضائل التي يصنعها الإنسان ما هو أعظم وأشرف من أن يؤخر الإنسان كلامه ليقيم كلام صاحبه عليه] .

* ورد في كتاب أقوال الآباء الشيوخ ص ١٦٣ (ترجمة القديس يوحنا الدمشقي - منشورات النور) أن الأب كسيانوس قال :

[زار الأب يوحنا رئيس أحد الأديرة (قد يكون يوحنا القصير) الأب بيسيوس (الأنبا بيشوى) الذى أقام مدة أربعين سنة في صحراء بعيدة ، ولما كان يحبه جداً قال له بدالة : [ماذا جنيت كل هذا الزمان وأنت بعيد عن الناس لا يزعجك أحد ؟] قال الأب بيسيوس : [منذ أن أصبحت راهباً لم ترنى الشمس آكلاً . قال الأب يوحنا : [وأنا لم ترنى الشمس غاضباً] .

عودة جسد القديس الأنبا بيشوى إلى شيهيت

لقد تباركت برية شيهيت بعودة جسد القديس الأنبا بيشوى مع جسد القديس الأنبا بولا الطموهى ، وكان ذلك في أيام حبرية البابا يوساب الأول (٨٢٣ - ٨٤٩ م) البابا ٥٢ . الذى زار البرية لعمل الميرون في أسبوع الآلام في دير القديس مقاريوس . وبعد فراغه من إعداد الميرون حضر لزيارة دير الأنبا بيشوى في يوم عيد القيامة المجيد

وكان الدير قد أصبح حصيناً بعد بناء أسواره الخارجية الضخمة التي مازالت إلى الآن .

فطلب الآباء الرهبان من البابا يوساب أن يساعدهم على إحضار جسد القديس الأنبا بيشوى ، ففرح بذلك ووعدهم بإحضاره وكتب رسالتين أحدهما إلى الأنبا يؤانس أسقف أنصنا والأخرى إلى أراخنة الإيبارشية لكي يشتركوا في مساعدة الآباء الذين أرسلهم البابا لإحضار جسد القديس ، فلما وصل الآباء إلى أنصنا وتوجهوا إلى دير البرشا (الذى كان يعرف وقتها بدير الأنبا أثناسيوس الأنصناوى لأنه ساعد في بنائه مع الأنبا بيشوى) وأخذوا بركة أجساد القديسين وطلبوا منهم مساعدتهم لإتمام مهمتهم إن كانت حسب إرادة الله . وخرجوا بعد ذلك لمقابلة الأنبا يؤانس أسقف أنصنا وسلموه رسالة البابا يوساب الأول . وفرح بها وأرسل شماسه مع الآباء الرهبان ليدهم على جسد الأنبا بيشوى الطاهر .

فدهم الشماس على جسد ما على أنه جسد الأنبا بيشوى ولكن لما فتحوا التابوت وجدوا إسمه مكتوباً : الأنبا بولا الطموهى من أهل طموه . فقالوا بالحقيقة هذا تدبير الله لكي نحمل جسده مع جسد صديقه الروحى الأنبا بيشوى كوعده الله لهما . وأرشدوا الشماس إلى الجسد الآخر وفتحوا التابوت ووجدوا إسمه مكتوباً على قرطاس ورق : أنبا بيشوى الأرمى (أنبا بيشوى أرميا) ، صاحب جبل النظرون . فحملوا الجسدين الطاهرين بخفة وسهولة إلى قلاية الأسقف بأنصنا ، ووضعوا كلاً منهما في خرج مملوء بالصوف حتى يموهوا على الحرس لئلا يستوقفوهم ، ثم استأجروا سفينة حملتهم مع الأجساد في النهر إلى ميناء بابلون مصر المعروف ببولا (ميناء رملة بولا) الشهر منذ العصور القديمة) . ومن هناك حملوها في سفينة صغيرة يمكنها أن تسير في فرع رشيد حتى وصلوا إلى ميناء الطرانة (الذى كان يعرف باسم ترنوتى Terenuthis . وكان يستخدم لنقل ملح النظرون .

ولما علم الرهبان والشيخ بوصول الجسد الطاهر خرجوا لإستقباله وحملوه على الدواب وساروا أمامه بفرح روحانى وبالصلبان والبيارق وسعف النخيل والمجامر والأطياب والشموع ، وهم يرتلون المزامير والتسابيح والمدائح حتى وصلوا إلى كنيسة الأنبا بيشوى ، وظلوا يسبحون طوال الليل وقد غلبوا النوم من فرحهم وفى الصباح الباكر أقاموا القداس الإلهى بإجتماع جميع آباء برية شيهيت وعيدوا عيداً روحانياً بهياً ومهيئاً بهيئة

السمايين مما يليق بالأجساد الطاهرة. وكان ذلك في اليوم الرابع من شهر كيهك المبارك عام ٥٥٨ للشهداء الموافق ١٣ ديسمبر عام ٨٤٢م.

ويذكر كتاب الميرون أن البابا بنيامين الثاني (٨٢) الذي كانت قلايته البطريركية في كنيسة السيدة العذراء المعلقة بمصر القديمة. قد قدم إلى برية شيهيت لعمل الميرون عام ١٠٤٦ش الموافق ١٣٣٠م بدير القديس مكاريوس وقد حضر في يوم الثلاثاء من الأسبوع الخامس من الصوم المقدس لزيارة دير الأنبا بيشوى وتبارك من الأجساد الطاهرة التي للقديسين أنبا بيشوى وأنبا بولا الطموهى ليتشفع بهما، ومازال جسد الأنبا بيشوى سليماً بغير فساد حسب وعد الرب له عندما حمله في الطريق.

بل يذكر التقليد الرهبانى أن الناس كانوا يتباركون بالأنبا بيشوى من خلال فتحة في التابوت ولكن منذ حوالى ١٥٠ عاماً أمر البابا بغلقها لعدم إساءة فهم بعض الزوار لبركات القديس. فأغلقوها بقطعة من الصاج مازالت بالتابوت إلى الآن تحت الغطاء الجلدى الحالى والذي يكسو التابوت من الخارج.

وتشير المعجزات والآيات التى تظهر من جسد الأنبا بيشوى إلى كرامة أجسادنا الموسومة بالميرون المقدس والتى هى هيكल لله إذا حافظنا على طهارتها.

ولأن الجسد الطاهر الذى للأنبا بيشوى قد تم نقله إلى ديريه في برية شيهيت في حبرية البابا يوساب الأول لذلك تُذكر الكرامة التى إستحقها هذا البابا القديس في مديح الأنبا بيشوى في تفسير طرح واطس «..يا أبانا القديس المكرم أنبا يوساب رئيس الكهنة الذى للمدينة العظمى الاسكندرية أيها البتول الملتحف بالتواضع الحقيقى أنه في أيام رئاستك أدركتنا هذه النعمة نحن غير المستحقين التى هى مجىء أبويننا اللابسى الإله أنبا بيشوى وأنبا بولا العمودين المضيئين هذين اللذين صاروا لنا معاً ميناء خلاص يضيئان لنفوسنا بجسديهما الطاهرين، أطلبنا عنا يا أبويننا القديسين من الرب يسوع المسيح ليغفر لنا خطايانا».

وفي مديح كرامة جسد الأنبا بيشوى يقال اللحن التالى: «إسمك عظيم في كورة مصر أيها المطوب القديس المكرم في جميع القديسين أبونا الطاهر أنبا بيشوى السلام لقبرك المملوء نعمة، السلام لجسدك الطاهر الذى نبع لنا منه الشفاء لكل الأمراض،

اسأل المسيح عمانوئيل لكى يغفر لنا خطايانا .

وفى تفسير طرح الآدام تقول الكنيسة « إذا اجتمع جميع المعلمين والحكماء معاً فى موضع واحد لا يقدرّون أن يقصّوا كرامتك يا الذى إستحق أن يغسل الأقدام الطاهرة التى للملك العظيم فلماذا لم تبلى ولا واحدة من عظامك من الآن وإلى الأبد كما وعدك الرب سبحانه بذلك .

المصادر الفهصلية

لسيرة القديس العظيم الأنبا بيشوى

لقد وردت قصة حياة القديس الأنبا بيشوى فى السنكسار القبطى (٨ أبيب) والسنكسار الأثيوبى ، كما ويذكر التقليد الكنسى أن القديس يوحنس (يحنس) القصير قد ترك لنا قصة حياة الأنبا بيشوى مكتوبة ، ولقد تداولتها الأيدى بالنقل والترجمة مع إضافة بعض الآيات أو التأملات كما حدث عند نقل سيرة القديس إلى السنكسار اليونانى والذى ترجمت عنه قصة الأنبا بيشوى إلى الإنجليزية فى أحد الأديرة بنيويورك . وعنوانها بالإنجليزية :

Saint PAÏSIOS The Great

Translated by Leonidus Papadopoulos and Georgia lizardos, from the greek in the great synaxaristes of Orthodox Church . Published by : Holy Trinity Monastery, Jordanville, New York .

أوصاف فضائل القديس الأنبا بيشوى كما أوردتها القديسة الكنيسة

يقول البركس (ميرى وشرح) :

حقاً بالحقيقة تذكارك الجليل قد حرك قلبى أيها القديس الأنبا بيشوى أنا المسكين غير المستحق أن أنطق بطوباويتك صارخاً قائلاً : السلام لك أيها القديس ، طوباك بالحقيقة يا أبانا القديس أنبا بيشوى لأنك صنعت عجائب فى ديرك المقدس ، فلنذهب باجتهاد إلى داخل ديرك لكى ننال شفاء أمراضنا ونجد رحمة عند الرب . أطلب من الرب يا أبانا الطاهر القديس أنبا بيشوى ليغفر لنا خطايانا .

ويقول الزكصولوبيا الآدام :

يا أنبا بيشوى البار الرجل الكامل الذى فاقت فضائله ما تحت السماء ، يا موسى الجديد الذى أهلك عماليق الذى هو الشيطان وأبالسته الرديئة .

يا الذى توشح أيضاً بوشاح النبوة وإستحق أن يدعى بيشوى أرميا من قبل طهارته وتوحده إستحق أن ينظر الرب فى المغارة ، فإمتلاً بفرح لا يوصف وأخذ ماء وغسل قدميه ، أرسل تلميذه وأقام الميت بالقوة الإلهية التى داخله وصار إسمه حلواً فى فم كل واحد من أجل محبته فى المسيح لأنه أرضاه فى كل أعماله وتنيح فى الحياة الأبدية .

بصلوات القديس العظيم الأنبا بيشوى يارب إغفر لنا خطايانا .

زكصولوبيا آدام أخرى :

حلو جداً هو إسمك المكرم أكثر من الشهد فى أفواه المؤمنين أيها المختار الثابت جداً غير المتزعزع أبانا القديس أنبا بيشوى الرجل الكامل يامن رفضت هذا العالم وأحببت المسيح مخلصنا الصالح . حملت صليبك وتبعك سيدك وبواسطته غلبت بالحقيقة . السلام لأنبا بيشوى الوكيل والعبد الحكيم الذى للمؤمنين . السلام لأنبا بولا النخلة الزاهرة

الحاملة أثماراً في بيت الله . السلام لأنبا بيشوى السراج المنير الذى يضىء للمؤمنين في المسكونة . السلام لأنبا بولا الثمرة العظمى قديس الله الواحد .

سلام أبينا القديس أنبا بيشوى في التمجيد والذى يوضح في إيجاز وعمق فضائل وكرامات ومعجزات القديس الأنبا بيشوى :

+ السلام لك يا أبى القديس أنبا بيشوى الرجل الكامل لله .
+ السلام لك يا أبى القديس أنبا بيشوى صاحب الشيبة الطاهرة والأعمال الباهرة .

+ السلام لكوكب البرية وأب جميع الرهبان .
+ السلام للذى أحبه الرب أكثر من إخوته كلهم .
+ السلام لك يا من مسحه الله ليكون خادماً لله .
+ السلام لك يا من صار أباً للمجمع الثالث الذى إختاره الرب في البرية وذاع إسمه على الأرض .

+ السلام لمقدم المجمع المقدس .
+ السلام للراعى المؤتمن أمام سيده .
+ السلام للبطل الشجاع في القديسين .
+ السلام لك يا من حمل صليبه بعزيمة صالحة وأمانة مستقيمة وتبع السيد المسيح .
+ السلام لك يا من أحب الورع والسكن في البرية مثل شبل الليث المقيم في شقوق الأرض .

+ السلام لك يا من إستحق أن تأتى إلى نفسه الملائكة الأطهار والقديسون ليحملوها إلى العلو .
+ السلام لك يا من تقدمته القوات العالية حتى سجد للمخلص الذى أحبه نفسه .

+ السلام للكوكب المنير الذى أشرق على المسكونة .
+ السلام لك يا من دعاه الرب إلى النياح السمائي وإستحققت وليمة الألف سنة .

+ السلام لك يا من جاهد الجهاد الحسن .

- + السلام للذى إرتفع بنفسه وعقله وقلبه إلى السماء ونظر الخيرات المعدة للأبرار .
- + السلام للذى صار مثل إيليا الغيور الذى أقام كل زمانه فى البرية .
- + السلام للذى ثبت على أساس الأنبياء والرسل .
- + السلام للذى صار طبيباً مختاراً يداوى النفوس والأجساد .
- + السلام للعمود المنير فى البرية .
- + السلام للملاك الأرضى .
- + السلام للمدبر الذى أقلع وأرسى فى ميناء الخلاص .
- + السلام للبتول الزاهد فى البرية .
- + السلام لك يا من ظهر له مخلصنا يسوع فى المغارة فغسلت رجله وشربت ماءهما ووعده الرب أن يكون جسده حياً إلى الأبد .
- + طوباك يا أبى القديس أنبا بيشوى لأن دموعك صارت مثل سحابة تغسل دنس خطاياك .
- + طوباك لأنك تحررت من العبودية المرة التى للمضاد .
- + طوباك يا من إقتنيت الوحدة والضيقة والطلبة إلى الله بفهم مستقيم وعدم الاهتمام بهذا الدهر الباطل .
- + طوباك لأنك جعلت فى قلبك تذكار اليوم المرهوب الذى للحاكم العادل ووجدت الدالة قدام سيدنا يسوع المسيح .
- + طوباك لأنك قد صرت أرضاً طيبة تثمر كلام مخلصنا يسوع المسيح .
- + طوباك لأنك قد وُجدت فى الزرع الذى بذره ابن الإنسان فى حقله من أجل إيمانك المستقيم .
- + طوباك لأنك قد وجدت الجوهرة الكريمة فرفضت كل شئ وإقتنيتها .
- + طوباك لأنك سعيت جيداً فى الميدان حتى نلت جائزة الدعوة المقدسة .
- + طوباك لأنك قد صرت كاملاً بكل كمال المفتخرين بالرب .
- + طوباك لأنك رفضت هذا العالم وأخذت من المسيح ما لا يفسد .
- + السلام لك لأنك أبغضت الخطية بالكمال ودمت مع الله الذى يرفع خطايا العالم برحمته .
- + السلام لك لأنك داومت التعبد والأصوام الكثيرة .

+ السلام لك لأنك دمت في الفضيلة من أجل رجاء السماء .
+ السلام لك يا الذى من أجل طهارتك أنعم عليك الرب بغذاء روحانى حتى غلبت الجوع والعطش .

+ السلام لك يا من ملأك الرب من القوة وكان معك .
+ السلام للشجرة المثمرة التى يستريح تحت أغصانها جميع القديسين .
+ السلام للعمود المنير فى قصر سيده أكثر من الشمس سبعة أضعاف .
+ طوباك يا من إنتخبه الله من بطن أمه مثل أرميا النبى . أرميا كان يبكى على شعبه وهم فى السبى وأنت يا أبى كنت تبكى على الخطاة وتخلصهم .
+ طوباك يا من طرد الشياطين من مسكنه مثل إيليا الذى أهلك البعل وأباد ذكره .

+ طوباك يا من إمتلأت من الروح القدس منذ صغرك مثل داود النبى وصرت خليل السيد المسيح مثل إبراهيم أب الآباء .

+ السلام للوديع مثل إسحق .
+ طوباك يا من أخرجت الشياطين وخلصت المأسورين مثل الرسل .
+ طوباك يا من هو كائن فى أورشليم السماوية .
+ طوباك يا من استحق بطهارته وضياء نفسه أن يرفع نفسه وجسده قرباناً مقدساً طاهراً لله .

+ طوباك يا من نظف جسده من الأوجاع النفسانية والجسدانية حتى صار هيكلًا طاهراً بلا عيب .

+ طوباك يا من استحق أن تصير الملائكة حافظة له منذ صغره .
+ ماذا أقول وقد ينصرنى الرب فإن قلت أنك رسول فأنت كذلك لأنك رددت الطاغى حيث عملت لقفافك ثلاث آذان وكرزت بالثالوث المقدس .

+ وإن قلت إنك شهيد فقد صرت شهيداً بتعبك مراراً كثيرة .
+ وإن قلت إنك سائح فذلك حق لأنك إذ كنت ترفع عينيك إلى السماء كنت تنظر العرش وإذا نظرت إلى الأرض كنت تنظر الجحيم السفلى .

+ أسألك بحق الذى قواك وأعانك فى جهادك وأعطاك الدالة حتى غسلت قدميه وشربت من مائها أن تسأله فى غفران خطايانا لأنها كثيرة جداً وهى أكثر من رمل

البحر وأثقل من الجبال .

+ أسألك بحق تعبك وصومك وصلاتك الطاهرة كما خلصت إسحق تلميذك وشفعت فيه اشفع فينا نحن الخطاة وكما عملت معه اعمل معنا .

+ لا تنسنا قدام منبره المرهوب لنجد رحمة في ذلك اليوم بطلباتك أمام هذا الذى له المجد والعز والاكرام والسجود الآن وكل آوان وإلى دهر الداهرين آمين .

وتيمناً ببركة القديس الأنبا بيشوى وشفاعته وسيرته الطاهرة

+ دعى كثير من القديسين باسم بيشوى أو بيشاى . ونذكر منهم هنا بعضاً مما ورد في كتاب الصادق الأمين في أخبار القديسين :

١ - تذكّار الأنبا بيشاى والشهيدة يوليانة يوم ٢٦ كيهك .

٢ - تذكّار الأنبا بيشاى والأنبا أبانوب صاحب المروحة الذهب يوم ٥ أمشير .

٣ - تذكّار شهادة القديسين أنبا بيشاى وأنبا بطرس يوم ٥ بؤونة وأعضاؤهما بكنيسة أنبا بيشاى بصدفا .

٤ - تذكّار شهادة القديس بيشاى أنوب (طلاء الذهب) يوم ١٩ بؤونة .

٥ - تذكّار شهادة الأنبا بيشاى الأنطاكى (شقيق أباهور) يوم أول نسي .

+ كما أقيمت كنائس ومذابح كثيرة على إسم القديس بيشوى (أو مع قديسين آخرين) في بلاد متعددة بمصر والخارج منها :

بالقاهرة :

مذبح بمسرة (شبرا) ، بالأنبارويس (عباسية) ، بشارع الجيش ، بوسط البلد ، بمدينة نصر (مذبح) ، بالجبل الأحمر (مذبح) ، بالألف مسكن (مذبح) ، بمقر دير الأنبا بيشوى بكلوت بك .

الاسكندرية :

بمقر دير الأنبا بيشوى بالاسكندرية (بولكلى) ، باللبان .

الوجه البحرى :

مذبح بمغارة الأنبا بيشوى بدير السريان بوادى النظرون ، كنيسة مزرعة دير الأنبا بيشوى بالقرب من الرست هاوس ، بحى الأربعين بالسويس ، ببور سعيد ، أبو رخم بالاسماعيلية ، مدينة البكرى بالقليوبية ، قسم يوسف بك بالزقازيق ، مينا القمح (مذبح) ، كفر السجن بطنطا .

وجه قبلى :

دير وكنيسة بدير البرشا (ملوى) ، بجرجا ، بكوم سعده بالبدارى (أسيوط) ، بالسلمية (نجع حمادى) ، صدفا ، الأقصر (مذبح) ، بالدير الأبيض غربى سوهاج (مذبح) .

بلاد المهجر :

مذبح بدير الأنبا أنطونيوس بكاليفورنيا ، كنيسة بلوس أنجلوس ، كنيسة بشيكاغو بأمريكا ، ومونت رويد بسيدنى باستراليا ، وبشوف هوفمن بالنمسا ، مدافن المسألة بأم درمان ، مذبح بالخرطوم بحرى ، دبی بالامارات العربية ، وأيضاً بجزر الكاريبى .

+ وهناك أيضاً نياقة الأنبا بيشوى سكرتير المجمع المقدس ومطران دمياط وكفر الشيخ ، والبرارى ، كما أن هناك كثير من الرهبان والكهنة سموا باسم بيشوى وبيشاى تيمناً ببركة وشفاعة هذا القديس .

ودعيت أيضاً كثير من الأسر الجامعية والمؤسسات والأنشطة الخيرية باسمه .

بركة صلواته فلتكن معنا جميعاً ، آمين .

الفصل الثاني

تلاميذ النجوم الساطعة

كان القديس الأنبا بيشوى رجلاً جاداً حكيماً مستقيماً القلب ومتواضعاً وديعاً وناسكاً عظيماً ، لذلك أحب كل من تتوافر فيه هذه الصفات السامية أو أحدها ، فهو قد تتلمذ في الاسقيط على يد القديس الأنبا بموا النجم الساطع في الاسقيط بحكمته وحزمه وروحانيته وإستنارته . والذي كان إسماع على مسمى ، لأن تفسير اسمه بالقبطية يعنى « الأسد » ، كما تصادق القديس الأنبا بيشوى في الاسقيط أيضاً مع القديس القمص يحنس القصير ، الراهب المتواضع الوديع المستقيم القلب ، الذى أصبح مثلاً للتواضع والطاعة في تاريخ الكنيسة كلها .

وفى أنصنا تصادق القديس الأنبا بيشوى مع القديس الأنبا بولا الطموهى ، (وهو غير الأنبا بولا الطيبى أول السواح - الذى من طيبة أى الأقصر) ، ناسكاً من طراز فريد ينذر أن يوجد من وصل إلى مرتبته فى النسك حتى الموت .

وهكذا تلاقت الفضائل الشهيرة التى عطر أريجها البرارى ، وتاريخ الرهبة ، والتى تميز بها هؤلاء العمالقة الثلاث - الأنبا بموا ، والأنبا يحنس القصير ، والأنبا بولا الطموهى - فى شخصية واحدة هى شخصية القديس العظيم الأنبا بيشوى لذلك دعى الرجل الكامل حبيب مخلصنا الصالح .

ويجدر بنا القول أن الأنبا بيشوى هو القديس الوحيد فى تاريخ الكنيسة الذى نال هذا اللقب الفريد « الكامل » لأنه تجمعت فيه فضائل الكمال متشبهاً بخالقه ، ولذلك يدعونا الكتاب قائلاً « كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » (مت ٥ : ٤٨) .

وفيما يلى سنعرض لمحة خاطفة عن كل واحد من هؤلاء العمالقة الروحانيين الذين إرتبطت سيرتهم بسيرة القديس العظيم الأنبا بيشوى .

القديس الأنبا بمو الكبير

يدعى اسمه بمو . وهو إسم قبطى معناه الأسد . وينطق باللغات الافرنجية بامبو Pambo أو بامو Pamo أو باليونانية بامفو Bamfou . وهو غير الأنبا بمو الذى ذكر عنه إنه كفن القديسة إيلارية ابنة الملك زينون فى النصف الثانى من القرن الخامس .

نشأته ورهبته :

ولد فى مدينة سخا فى أوائل القرن الرابع الميلادى ، وكان أمياً ، ولكنه تعلم فيما بعد أثناء رهبته إذ قد ترهب وهو صغير السن أى فى شبابه المبكر ، وكانت رهبته فى جبل نتريا . وهو يعتبر زميل القديس أمونيوس (آمون) مؤسس الرهبة فى جبل نتريا الذى هو البرنوج أو البرنوجى بالقرب من مدينة حوش عيسى (بالبحيرة) .

وبعد أن قضى الأنبا بمو مدة كبيرة فى نتريا رسم قساً حوالى عام ٣٤٠م ثم إختاروه لنسكه وحكمته وحنكته ليكون أحد قادة الرهبان فى نتريا حوالى عام ٣٥٠م . وقد حضر القديس مكاريوس الكبير إحتفال تسليمه القيادة الرهبانية ، وكان القديس مكاريوس يزور القديس بمو فى نتريا ، وكان القديس بمو يزور القديس أنطونيوس الكبير بالقلزم ليستشيريه فى أمور كثيرة ، ثم إنتقل الأنبا بمو إلى الاسقيط وصار من أعلام الرهبة المشهورين ومن الآباء المرشدين المحنكين الذى تتلمذ وتدرّب على يديه قديسان عظيمان هما الأنبا يحنس القصير والأنبا بيشوى .

وقد تحلى هذا الأب الكبير بفضائل عظيمة تأثر بها تلميذاه العظيمان الأنبا يحنس والأنبا بيشوى ومن هذه الفضائل :

محبته للصمت :

● فمئذ أن إنخرط فى سلك الرهبة فى شبابه المبكر ابتدأ أن يحفظ المزامير وإتفق

أحد الرهبان أن يعلمه المزامير وكان أول مزموّر يتعلمه هو (مزموّر ٣٩) الذى مطلعته «قلت أتحفظ لسبيلى من الخطأ بلسانى» فقرر أن يمارس هذا التحفظ عملياً فى حياته وكف عن تعلم المزيد من المزامير حتى يتقن تنفيذ ما تعلم .

● وكان الصمت الدائم أحد الفضائل الثلاثة العظمى التى إشتهر بها الأنبا بموا كما أخبرنا القديس بيمن الذى قال [ثلاثة أعمال رأيناها للأب بموا ، صوم إلى المساء كل يوم ، صمت دائم ، وعمل اليدين] .

● وقبل أن يتنحى قال للشيخ الذين كانوا حاضرين نياحته [الشكر لله أننى منذ خرجت من العالم (ترهبت) لم أندم على كلمة تلفظت بها] .

● لم يكن يتسرع فى الاجابة على أى سؤال يوجه إليه بل كان ينتظر أياماً وأحياناً شهوراً حتى يعطى جواباً لسأله . وكان يتعلل بأنه لا يعرف الاجابة وأحياناً بأنه لم يفهم السؤال .

● ومرة سأله إثنان من المتوحدين أن يرشدهما إلى الصواب فيما يعملان فقال أحدهما : إنه يصوم يومين يومين ، وعندما يأكل يتناول خبزتين فقط . فهل أنا أهلك نفسى بذلك أم أخلصها ؟

عمل اليدين :

لقد إمتدح الأنبا بيمن ضمن ما إمتدح فى الأنبا بموا حماسه ومواظبته على عمل اليدين كل أيام حياته ، ولقد قال الأنبا بموا لمن هم حوله عند نياحته إننى منذ دخولى هذه البرية ... ما إنقضى علىّ يوم واحد بدون عمل . ولا أتذكر أنى أكلت خبزاً من إنسان (أى لم أصنعه أنا) .

وللتأكيد على أهمية عمل اليدين فلقد أهدي لأحد زملائه زنبيلاً (قفة) من الخوص كان قد صنعه بيديه وقال له إحتفظ بهذا الزنبيل تذكيراً لى وعندما زارته الأميرة ميلانيا الكبيرة إستقبلها وهو مستمر فى صفر الخوص .

الصوم والنسك :

وهذا أيضاً ما شهد به الأنبا ييمن عن الأنبا بموا أنه كان يصوم كل يوم من المساء إلى المساء ، وهذا ما تعلمه منه الأنبا بيشوى فلقد قال الأنبا بيشوى ليوحنا كاسيان : إن لى أربعين سنة فى البرية لم تبصرنى فيها الشمس آكلاً (أى لم آكل أبداً أثناء النهار) . وهكذا أيضاً الأنبا يحنس تلميذه إذ قيل عنه إنه لم يكن ليملأ بطنه أبداً من الخبز والماء . وذكر الأنبا إسحق أن الأنبا بموا كان يلبس ملابس من الخرق القديمة وسعف النخل .

وعند الأنبا بموا أن النسك يعادل فعل الخير وإضافة الغرباء وهذا ما حكم به عندما إحتكم إليه آباء نتريا فى أمر القديسين الأسبانيين الأنبا باسيسيديس والأنبا اشعياء ، اللذان ورثا ثروة كبيرة من والدهما واقتسماها . فوزع أحدهما نصيبه على الفقراء وعاش فقيراً ناسكاً ، يأكل من عمل يديه ، بينما الآخر إحتفظ بنصيبه وبنى ديراً ليستضيف الغرباء ويعالج المرضى ويأوى العجائز ويساعد الفقراء . ويعد الموائد لكثيرين أيام السبت والآحاد . فلقد حكم الأنبا بموا بأن الأول شابه إيليا (فى نسكه) والثانى شابه إبراهيم فى إستضافة الغرباء . ولقد أراه الله أن هذين القديسين الأنبا باسيسيديس والأنبا اشعياء أخاه ينعمان بالسعادة فى منازل متماثلة فى الفردوس .

وقال الأنبا بموا [يجب على الراهب أن يرتدى لباساً حقيراً بحيث إذا ألقى خارج القلاية ثلاثة أيام لا يلتفت إليه أحد] .

الطاعة والارتضاع :

عندما سأله بعض المتوحدين من برية شيهيت عن أسمى الفضائل التى يتميز بها كل واحد منهم ، فواحد يتميز بالتقشف والتجرد الكامل . والثانى بالصوم . والثالث بالمحبة . والرابع ظل لمدة إثنين وعشرين عاماً تحت طاعة أحد الآباء الشيوخ .

فقال لهم أنبا بموا [إن فضيلة الأخير (أى الطاعة) هى الأعظم ، لأن كل واحد من الثلاثة الأول قد عمل الفضيلة التى رآها موافقة لإرادته ، أما الذى أطاع معلمه إثنين وعشرين سنة فقد تخلى عن إرادته الخاصة وتمسك بإرادة آخر] .

الدهيب الأنبا بمواجداً عظيماً:

كان الأنبا بموا يتضرع إلى الله لمدة ثلاث سنوات ويقول: [يارب لا تمجدنى على الأرض]. إلا أن الله مجده كثيراً حتى أن الناس ما كانوا يقدرّون أن ينظروا إلى وجهه من شدة المجد الذى كان يسطع منه. ولقد قال الآباء عن الأنبا بموا [كما أن موسى أخذ صورة مجد آدم الأول (قبل السقوط) عندما تمجد وجهه، هكذا تماماً كان وجه الأنبا بموا يلمع. فكان كالملك على عرشه، وهذا ما يفسر تطلع القديس الأنبا بيشوى إلى وجه القديس أنبا بموا كما ورد فى سيرة الأنبا بيشوى.

ولذئوع صيته ومجده زارته إحدى أميرات روما وتدعى ميلانيا الكبيرة. واستقبلها القديس وهو مستمر فى ضفر الخوص وقدمت إليه إناءً فاخراً من الفضة وزن حوالى ٣٠٠ رطل، أى حوالى ١٠٠ كيلوجرام. فباركها ودعا أمين الصندوق (تلميذه أوريجانوس) أن يأخذه ويبيعه ويعطى ثمنه للمحتاجين. فقالت له أتعرف قيمة ما قدمت لك. فقال لها الأنبا بموا: من هو الذى قدمت إليه الإناء أليس هو الله الذى وزن الجبال؟! هل هو فى حاجة لأن تخبريه عن قيمته!

وكان أباً حكيماً صاحب مدرسة فى القيادة الروحية والارشاد والتدريب، وكان قديساً مشهوراً حتى أن القديس إيسيدورس كان يقول لنفسه إذا هاجته أفكار العظمة [أعلى شابته القديس أنطونيوس أو الأنبا بموا]، وقد ذكره القديس جيروم كواحد من الثلاثة العظماء من آباء الأسقيط مع القديس مكاريوس والقديس ايسيدورس.

غيرة الأنبا بموا على الإيمان الأرثوذكسى:

كانت سيرة القديس قد إنتشرت فاستدعاه القديس أثناسيوس الرسولى بابا الاسكندرية العشرون ليتشاور معه بشأن مقاومة بدعة أريوس الكافر، ولما نزل الأنبا بموا إلى الاسكندرية رأى امرأة راقصة. فإمتلأت عيناه بالدموع. ولما سأله مرافقوه عن سبب بكائه قال [إننى تأثرت لأمرين، أولهما هلاك هذه المرأة. والثانى لأننى لا أملك الحماس والغيرة الكافية لإرضاء الله كما تفعل هذه المرأة لإرضاء الناس].

ولقد تأثر كل من الأنبا بيشوى والأنبا يحنس القصير تلميذه، بمعلمهما الأنبا بموا في الدفاع عن الإيمان. فذهب الأنبا بيشوى إلى مدينة إبصاي بالصعيد وهو يحمل القفف ذات الثلاث أيدى ليرد المتوحد الذى أنكر الروح القدس، وكذلك ذهب الأنبا يحنس القصير إلى الاسكندرية عندما إستدعاه البابا ثاؤفيلس ليحضر له أجساد الثلاثة فتية القديسين. وهذا يبين أهمية دور الرهبان والرهبنة في الدفاع عن الإيمان المستقيم ومساندة آباء الكنيسة.

نياحته :

قاسى الأنبا بموا مرضاً شديداً ألزمه الفراش لمدة إثني عشر عاماً كان يخدمه فيها الأنبا يحنس، وتنيح القديس الأنبا بموا حوالى عام ٣٧٣م، وكان له من العمر حوالى سبعون عاماً. وكانت الأميرة ميلانيا الكبيرة حاضرة نياحته. وذكر بلاديوس أن تلميذه أوريجانوس (أمين الصندوق) وأمونيوس كانا أيضاً موجودين وقت نياحته.

ولقد سمعه الآباء الذين حضروا نياحته وهو يقول [إننى منذ دخولى إلى البرية وإنشائي القلاية وسكنى بها ما إنقضى علىّ يوم واحد بدون عمل. ولا أتذكر أننى أكلت خبزاً لم أصنعه أنا، وإلى هذه الساعة ما ندمت على كلمة واحدة تلفظت بها. وها أنا الآن ذاهب إليه (الله) وكأنى لم أبداً تعبدي له بعد]. وسلم لزميله هدية ثمينة وهى زنبيلاً من الخوص كان قد ضفرها هو وقال له [إحتفظ بهذه تذكيراً لى وعندى لك شئ آخر أتركه لك].

وعند هذه الكلمات أغمض عينيه ونكس رأسه وتنيح بسلام. بركة شفاعته تكون معنا، آمين.



القديس العظيم الأنبا يحنس القصير

يحنس بالقبطى الصعيدى تعنى يؤنس بالبحيرى ، أو يوحنا بالعربى ، أى الله حنان . وهو الذى تتلمذ مع القديس الأنبا بيشوى على يدى القديس الأنبا بموا ، وصارت شهرته تطبق الآفاق لقداسته وطاعته النابعة من تواضعه واستقامة قلبه . وتجمع أولاده من بعده وأنشأوا ديراً عظيماً يقع فى المنطقة الواقعة بين دير أبى مقار ودير الأنبا بيشوى . فى المكان الذى غرس فيه شجرة الطاعة وتسمت المنطقة كلها بإسمه . وهى تضم حوالى ستة أديرة (دير الأرمن - دير الأحباش - دير مارإيليا - دير أبانوب - دير مار يحنس كاما - دير الأنبا يحنس القصير) ، بجانب مدفنة الرهبان الكبرى . وقد تخربت هذه الأديرة جميعها بعد القرن الرابع عشر الميلادى . ولكن دير القديس يحنس القصير كان أكبر الأديرة ، وظل عامراً حتى القرن الثامن عشر الميلادى . وبقيت به شجرة الطاعة (وهى شجرة نبق ضخمة) حتى منتصف هذا القرن العشرين إذ قطعها أحد الأعراب الذين يعيشون فى الصحراء .

وقد بدأت هيئة الآثار المصرية بطلب من قداسة البابا شنودة الثالث بعمل حفائر للكشف عن هذه الأديرة التى جمعت رهباناً من جنسيات مختلفة فى منطقة واحدة فى قلب صحراء مصر الغربية ، التى إنطلقت من آلاف أديرتها موجات الحضارة والإيمان والمعرفة والروحانية حتى غطت آفاق العالم كله ، ومازال العالم يشهد بذلك ، وكل يوم تظهر الدراسات الأثرية والمخطوطات وأقوال الآباء أبعاداً أسمى للحضارة القبطية وتأثيرها العالمى والمحلى على السواء .

ولقد ذكرت المخطوطة ٥٢٨ ميامر بدير الأنبا بيشوى فى نبذة مختصرة عن عظمة روحانية هذا القديس العظيم فى الميمر الذى وضعه الأنبا زخارياس أسقف سمندو بمناسبة الاحتفال بعيد نياحة القديس فى ٢٧ بابه .

نشأته :

ذكر هذا المير أن القديس ولد في بلدة «تنسا» التابعة لكبرى مدينة جابا بالصعيد . وأنه أثر في أخيه الأكبر حتى صيره راهباً أيضاً .

لحيته :

ساقته العناية الإلهية وأشواق الرهينة للحضور من الصعيد إلى وادى النطرون لما سمع عن روحانية قادة الرهينة فيه . فجاء إلى القديس الأنبا بموا ليرهنه . فبادره الأنبا بموا بقوله : ماذا دفعك إلى تحمل مشقة السفر وكل هذا العناء لحضورك إلى هنا ؟ أجاب الأنبا يحنس : إن كانت هى إرادة الله فأنا أريد أن أترهب وأكون محسوباً أنا أيضاً مع جماعة قدسكم لأنكم (الرهبان) جنس مبارك فى الرب دون الأرض كلها .

فوضح له الأنبا بموا صعوبة طريق الرهينة قائلاً [إن من يقوم على هذا الأمر (الرهنه) يحتاج قبل كل شىء إلى همة مستقيمة دون تردد وينسى بالكمال جميع الأعمال الباطلة . وتكون جميع أعماله مضيئة بمعرفة حسب مشيئة الله وبطهر يليق ويتناسب مع الطقس (الرتبة) الملائكى السامى ، ويرفض جميع الملذات الدنيوية الفانية من أجل شوق الخيرات العتيدة .

فتركه الأنبا بموا وذهب إلى قلايته ليصلى طوال الليل لتظهر مشيئة الله من جهة قبوله للرهنه . فظهر له ملاك الله فى نهاية الليل ، وأخبره أن الله يأمره بقبول الأنبا يحنس بفرح ، فاستقبله الأنبا بموا فى الصباح ووعظه عن جهاد الرهنه وحروبها وما يلزمها من تعب وأحضر ثياب الرهنه ، وقاما كلاهما يصليان عليها ثلاثة أيام بلياليها وهما صائمان ، وفى تمامها وقف ملاك الله أمامهما ورشم علامة الصليب المحيى ثلاث مرات على ثياب الرهنه الموضوعة أمامهما وتوارى عنهما . وفى صبيحة اليوم الرابع ألبسه الأنبا بموا ثياب الرهنه هذه بفرح روحانى .

وفما الأنبا يحنس بعد رهبنته في الجهاد والتواضع والطاعة تاركاً هوى نفسه تابعاً
تعاليم معلمه مثل طاعة تيموثاوس بين يدي بولس وأليشع مع إيليا ويشوع مع موسى .
لدرجة أن الأنبا يحنس لم يعد (يحسب) نفسه شيئاً بالجملة .

تدريب واختبارات الطاعة :

أراد الأنبا بموا أن يدرب تلميذه وإبنة الروحاني الأنبا يحنس على الطاعة ، ولكي
يكون مثلاً يحتذى به الآخرون في الاسقيط وعلى مدى الأجيال . فامتحنه بأمور صعبة
في الطاعة لا يقوى على إحتمالها إلا المتواضعون الذين وصلوا لدرجة نكران أنفسهم
والكفر بذواتهم كما قال السيد المسيح « إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه
(أى يكفر بها) » (مت ١٦ : ٢٤) .

مثال لذلك :

+ طرده خارج القلاية بعد أن ضربه بجريدة نخل وقال له لا استطيع السكنى
معك ، فظل الأنبا يحنس يضرب مطانيات لمعلمه وهو ملقى على الأرض أمامه بإتضاع
عظيم كلما رآه خارجاً من قلايته وبقي خارجاً لمدة سبعة أيام وهو يعزى نفسه بما ذكره
الكتاب المقدس « أى ابن لم يؤدبه أبوه » (عب ١٢ : ٦) ، وأيضاً « بصبركم
إقتنوا أنفسكم » (لو ٢١ : ١٩) « ومن يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص »
(مت ٢٤ : ١٣) . وبعد كمال سبعة أيام وفيما كان الأنبا بموا ذاهباً إلى الكنيسة في
فجر الأحد رأى الأنبا يحنس مازال واقفاً مكانه وحوله سبعة ملائكة نورانيون كل واحد
معه إكليل ويضعون أكاليلهم على رأس الأنبا يحنس بالتتابع واحداً تلو الآخر ،
فتعجب الأنبا بموا وقبله فرحاً دون أن يخبره بما رأى حوله .

+ وفي مرة ضربه أحد الرهبان الشيوخ وطرحه أرضاً عند حضوره إلى الكنيسة قائلاً
له : ما الذى أتى بك إلى الكنيسة الآن ؟ هل هذا موعد المجيء إلى الكنيسة يا قصير يا
منحوس ؟ وكان هذا بالاتفاق مع الأنبا بموا ليعرفوا مقدار تواضعه وإحتماله . وساروا
وراءه بعد طرده حتى دخل قلايته وهو لا يراهم فسمعوه يرتل مع الملائكة قطعاً من
المزامير « إحفظ عدم المكر وأنت تعالين النور الذى وعد به الله المستقيمين » .

وأيضاً «المجد والنعمة يعطيها الله للذين يسعون بغير مكر، ولا يدعهم الرب يعوزون إلى شيء من الخيرات». فدهش الشيوخ! طرخوا الباب ففتح لهم فوجدوا وجهه يضيء مثل ملاك نوراني... ولم يناقش معهم ما أصابه بل على العكس حينما ذكروه بما حدث وبأسفهم لذلك أطرق إلى الأرض خجلاً وقال لهم: إن هذا الأب الذى ضربنى هو قديس ولم يقصد إهانتي بل نفعى. إذ عمل معى عمل خلاص بسماح من الله فعظم الأنبا يحنس فى نظرهم جداً. إذ ارتفع فوق ضعفات البشر والذات.

+ ومن فرط طاعته ذهب مرة ليملاً الجرة ماء من بئر بعيدة جداً حسب أمر معلمه. ولما وصل إكتشف إنه نسي الحبل الذى يديها به فى البئر فلم يشأ أن يعود بها فارغة حتى لا يخالف أمر معلمه، فخاطب البئر بإيمان وثقة وإنسحاق قائلاً: أيها البئر إن أبى أرسلنى لأملأ هذه الجرة ماء. فللوقت صعد الماء فى البئر إلى حافتها، فملأ الجرة وعاد الماء إلى قاع البئر كما كان، ومجد الله.

+ وفى مرة أخرى أمره معلمه أن يغرس عصاة جافة (من فروع النبق) ويسقيها كل يوم من بئر بعيدة يصلها مساء ويعود منها صباحاً لمدة ثلاث سنوات وكانت الشجرة تبعد عن قلايته نحو إثنى عشر ميلاً. فأطاع وتحمل بفرح المشقة التى صهرته فى بوتقة الحب الإلهى، وقطعت هوى ذاته، وقيود الأنا، فبعد ثلاث سنوات أثمرت العصا، وجمع الأنبا بموا الرهبان وأعطاهم ليدوقوا ثمر الطاعة اللذيذ، فقال الشيوخ: لولا أن الرب حال فى الأنبا يحنس ما جرى على يديه هذا السر العجيب أن العصا تثمر!!

+ مرض معلمه الأنبا بموا بمرض شديد طرحه فى الفراش مدة إثنتى عشرة سنة. فظل الأنبا يحنس يخدمه بفرح وإتضاع دون كلل، خدمة شاقة لمريض طويلاً هذه المدة دون أن يسمع من معلمه المريض كلمة تطيب نفسه، بل كان معلمه جافاً معه بسبب آلام المرض ولأنه يثق فى صلابة عوده ونورانيته التى لا تنتظر كلمة مديح إنسانى يضع أجره السمائى.

وعندما إقتربت نياحة الأنبا بموا تجمع حوله الرهبان والشيوخ فقال الأنبا بموا

للقديس يحنس القصير [طوباك . طوباك . طوباك ، يا شجاع الملك المسيح ، إسكن في الموضع الذى أثمرت فيه شجرة طاعتك (دليلاً على أن القفر اليابس (مثل العصا) سيخضر ويزهر بالرهبان ويمتلئ بشمار نسكهم] .

وقال الأنبا بموا للشيخ عن الأنبا يحنس [هذا ملاك وليس إنسان] .

+ فلما تنجح معلمه أطاع وترك قلايته وبنى قلاية صغيرة في الموضع الذى غرس فيه الشجرة وعمل مغارة أخرى تحتها ليختبئ فيها صائماً مصلياً لابساً ثوباً خشناً من ليف النخيل ويخرج منها مرة كل إسبوع .

تسكبه ومحبة لجميع فليقة الله :

+ لما هجم البربر (عام ٤٠٧م) على البرية قال للأنبا بيشوى صديقه الروحي [هيا بنا نهرب من هنا لئلا يقتلنى أحد البربر فيذهب إلى الجحيم بسببى لأننى لا أريد أن أتعم في الفردوس وأخى يتعذب في الجحيم بسبب قتله إياى] .

وهكذا ذهب إلى القلزم (البحر الأحمر) وسكن بالقرب من موضع العظيم أنطونيوس على مسيرة يوم واحد من ديره . وهياً الله له أحد المؤمنين الأتقياء ليعلمه من ماله .

+ كان الأنبا يحنس يضع أمام عينيه المخافات الثلاثة :

● خوفه من ساعة خروج نفسه من جسده .

● وخوفه من لقاء الله .

● وخوفه من يوم الدينونة .

+ ولم يملأ بطنه أبداً من الخبز ولا الماء ، ولم تخرج من فمه قط أى كلمة هزء أو هزل . لهذا لم يملكه فكر الجسد بل كان مثل الملائكة في طهارة القلب .

+ لم يكن يدين أحداً وإذا سمع عن أحد أنه أخطأ كان يطلب من الله لأجله . ويقول لنفسه [هو سقط اليوم وأنا قد أسقط غداً] .

+ كان يقول [إنه ينبغي أن نحتمل رفيقنا (أخانا) مثلنا ونقدمه في الكرامة فإذا ما أرحت أنا أخى فالله يريحني أنا أيضاً] .

+ كان يفرح إذا ما شتمه إنسان أو أهانه ، وكان يقول [إن احتمال الشتيمة والهوان بمعرفة يعمل على تطهير القلب ويجلب الاتضاع الحقيقي حتى تنمو النفس في الفضيلة أما مديح العالم وكراماته فإنها تهدم الفضيلة .

+ حمل مرة قففه لبييعها في المدينة ولكن لانشغاله بالصلاة والهذيد ذهب بها إلى البرية . فقابلته رجل راكباً جلاً . وأخذها منه ليحملها عنه . وأخذ الرجل في الغناء بطريقة أهل العالم ، فترك الأنبا يحنس القفف وعاد إلى قلايته بدونها وهو يقول «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه» .

+ ومرة أتاه لصوص ليسرقوا قلايته وهو بها . فلم يتكلم ولما حزموا ما بها سأله أن يساعدهم على حمل الأمتعة ففعل وودعهم وجلس في قلايته كأن شيئاً لم يحدث .

+ طلب منه أخ ثلاث مرات أن يبيع له قففاً فكان في كل مرة ينشغل بالهذيد في الصلاة ، وينسى أن يحضر القفف لشاريها ، وفي المرة الرابعة أمسكه من يده وأدخله إلى قلايته وقال له [خذ ما تريد فأنا غير متفرغ للقفف الآن (لأنه كان شغوفاً بما لا يرى)] .

أعماله العظيمة ومعجزاته :

+ أحضروا إليه إنساناً أبرص ليصلي عليه ، فصلى على ماء باسم السيد المسيح وسكبه عليه فشفي في الحال .

+ وفي مرة أخرى أخرج شيطاناً من صبي كان يعذبه .

+ وكان يعرف أن ملاك الله يلازمه ويظل قائماً فوق رأسه عند نومه ، وعلم بالروح بحضور صديقه الأنبا بيشوى وهو نائم فلما استيقظ استقصى من تلميذه إن كان أحد قد حضر أثناء نومه . فقال له : الأنبا بيشوى . فعرف أن الأنبا بيشوى رأى الملاك الذي يحرسه لأنه يعرف شفافية الأنبا بيشوى .

+ وفى أثناء القداس الإلهى كان الكاروبيم يتنافس أحدهما مع الآخر ليظل على القديس قائلاً : دعنى أنا أضع جناحى عليه لأنه طاهر لرب القوات .

+ ولما رُسم قمصاً سُمع صوت من السماء يقول مستحق ، مستحق ، مستحق ، فجاهد أكثر ليوفى دين هذه الرتبة الجليلة ، حتى منحه الله ضياءً وبريقاً يعادل جمال صورة الله فى الإنسان الأول ، وكان يعرف ما فى الناس كمن ينظر إلى داخل إناء زجاجى ، وكان يعاين الروح القدس علانية أثناء تحول الأسرار ، وكان الله يكشف له من هو مستحق للتناول ومن هو غير مستحق .

+ فيما كان سائراً فى الطريق رأى امرأة تقود طفلها الأعمى وسمع الطفل يقول لأمه لعل الله يرزقنا خبزاً اليوم يا أمى . فتحنن قلب القديس ودعاها وأعطاه قفة العيش بكل ما فيها ، أما هو فتوكل على الله الذى لا يخزل أصفياه ، ولما خرجت فرحة شعرت أنه قديس فرجعت إليه ليصلى على ابنها المولود أعمى ، فتهد القديس من عمق قلبه بإيمان عظيم وصلى بإنسحاق ورشم عينى الطفل بعلامة الصليب فأبصر للوقت ، وفرحت أمه به وأخذت تهلل من الفرح فتجمع الناس فهرب القديس من السبع الباطل .

+ حملته فى مرة سحابة من الاسكندرية إلى أورشليم ليحضر أجساد الثلاثة فتية القديسين (سدراك وميساك وعبدنغو) حسب طلب البابا ثاوفيلس إليه ليضعها فى الكنيسة التى بناها على أسمائهم بالاسكندرية . وإختاره البابا شخصياً لما يعرف عنه من غيرة الإيمان وشجاعة القلب وقوة العزيمة ، ولكن لما وصل إلى قبرهم وسجد وصلى . أبلغوه بصوت مسموع أن الله لا يريد لهم أن يفارقوا مكانهم ولكنهم سيحضرهم روحياً فى الكنيسة التى بناها البابا بالاسكندرية ، فحملته السحابة إلى الاسكندرية ثانية وأبلغ البابا بذلك . وفى منتصف الليل أثناء تدشين الكنيسة رأى الجميع نوراً عظيماً بها يضىء الكنيسة أيضاً والقناديل أضيئت بغير زيت ولا سرج (كما وعدوه) وإمتلأت الكنيسة برائحة بخور عطرى طيب جداً فاح منها فى المدينة كلها ، كعلامة على حضور الثلاث فتية القديسين فى الكنيسة ، فبهت الجموع ومجدوا الله .

+ ولما سكن الأنبا يحنس في القلزم كان في القرية المجاورة إنسان غنى عابد أصنام يضطهد المسيحيين ، فضربه الله بمرض عضال لم يستطع أحد أن يشفيه . فصلى له القديس بعد أن وعده أنه سيكف عن شره فتحطمت أصنامة وشفى . فلما شفى آمن هو وأهل بيته (سبعون نفساً) وعمدهم القديس وصاروا بركة للكنيسة وصار الأنبا يحنس سبب خلاص لكثيرين من أهل المنطقة .

+ أرسل له شيوخ برية شيهات ليخلص بائيسة التي كانت تنفق مالها على الرهبان والغرباء . ولما نفذ مالها حوّلت بيتها بغواية الشيطان وبمشورة الأشرار إلى وكر للخطية ، فطلب القديس صلوات الرهبان وتوجه لمنزل بائيسة ، وهو يرتل المزمور «إذا سرت في وادى ظل الموت فلا أخاف شراً ، لأنك أنت معي» .

ولما قابلته على أنه أحد عملائها بادرها قائلاً : لماذا إستهنت بدم المسيح حتى صرت إلى هذا الحال الرديء . إننى أرى الشياطين تلعب على وجهك .

فقالت له : هل لى خلاص ؟ فقال لها : نعم ولكن ليس في هذا المكان . فتركت كل شيء وتبعته إلى البرية . وفي المساء انفصلا ليصلى هو ولتنام هى بعيداً عنه . فرأى نوراً من مكان نومها يصعد إلى السماء . ولما ذهب إليها وجدها قد ماتت ، فطلب من الله أن يعلن له آخرتها ، فعرفه الله أن توبتها قبلت منذ أن قررت بقلب خالص ترك الخطية . فمجد الله وأبلغ الشيوخ في البرية بأمرها .

نيامته :

لما مرض جداً كان يخدمه الرجل المؤمن الذى دبره الله له . وظهر للقديس ثلاثة قديسين أنطونيوس ومكاريوس وعموا معلمه ووعدوه أنهم سيحضرون فجر الأحد ليأخذوه معهم إلى السماء ، فأرسل هو الرجل الذى يخدمه إلى المدينة لأمر ما حتى لا يعاين نياحته ، وفي فجر الأحد جاءت الملائكة وحملت روحه الطاهرة ، وكان خادمه المحب للمسيح قادماً في الطريق إليه ، فرأى روحه مع الملائكة صاعدة في موكب رائع يتقدمهم من يضىء كالشمس ، وعرفه الملاك أنه الأنبا أنطونيوس والذين خلفه هم آباء الرهبنة جاءوا ليصطحبوا القديس الأنبا يحنس لأنه سار في طريقهم فنال مجازاة كريمة مثلهم وأخذ نصيباً معهم ، وباركه الملاك وتوارى ، ولما وصل الخادم للمغارة وجد

القديس راعياً كأنه يصلى وبخور طيب يملأ المكان . فكفنه بثياب قديمة وهو يرتل وتركه فى المغارة وأخبر أهل القرية فجاءوا جمعاً عظيماً وحملوه بإكرام جليل إلى قريتهم . وظهرت من جسده الطاهر عجائب كثيرة ، وقد تم نقل جسده من القلزم إلى شيهات فى اليوم السابع والعشرين من شهر مسرى عام ٥١٥ ش إلى دير القديس مكاريوس للتبرك منه ثم إلى ديره ، وذلك فى رئاسة البابا يوانس (٤٨) .



القديس الأنبا بولا الطموهي

تعيد له الكنيسة يوم ٧ بابه ويذكر إسمه في مجمع القديس الإلهي مع حزقيال تلميذه بعد القديس الأنبا بيشوى مباشرة.

والأنبا بولا الطموهي سمي كذلك لأنه من مدينة طموه . وعاش في القرن الرابع . وهو غير الأنبا بولا أول السواح صديق الأنبا أنطونيوس . الذي عاش في القرن الثالث الميلادي .

نشأته :

في المخطوطة التي كتبها تلميذه الأنبا حزقيال عنه أن الأنبا بولا الطموهي كان محباً للغلظة والنسك منذ صباه ، وكان يجاهد ضد حروب الشهوة في شبابه حتى إنه كان يذهب إلى النيل ويقضي الليل كله في الماء ليطفىء شهوة الجسد ويعود في الصباح الباكر دون أن يعلم أحد ولا حتى والديه . ومن مهابته عندما كان يراه أهل القرية المجاورة لقريته يكفون عن محاربة أهل قريته لخوفهم من قداسة الأنبا بولا .

رهبنته :

دعاه الرب للرهبنة ولبس الاسكيم وأراه مغارة في جبل طوخ (بالقرب من بنى سويف) حيث قدم عبادات كثيرة بنسك شديد وكان يأتي إليه ثلاثة من الاخوة الرهبان المقيمين بالقرب منه ليستشيروه وليتباركوا منه . وأرسل الرب الملاك ميخائيل للأنبا حزقيال في منتصف النهار وهو يرعى الغنم وأشار عليه أن يذهب للأنبا بولا بجبل طوخ ليلبسه الزي الرهباني . ولما ذهب إليه وقرع الباب الحديد لمغارته قبله الأنبا بولا فرحاً ورهبته .

وكان الأنبا حزقيال ملازماً للقديس في معظم تنقلاته في البراري والجبال من بنى
سويف حتى المنيا وحتى أسيوط وإسنا وأسوان .

والأنبا حزقيال هذا هو الذى شاهد أرميا النبي يظهر للقديس الأنبا بيشوى عندما
كان الأنبا بيشوى يقرأ سفر أرميا النبي .

نسكه وجهاده :

كان الأنبا بولا يهتم بقراءة الكتب المقدسة وعمل اليدين والصلاة والصوم
الانقطاعى لمدة طويلة ، حتى إستحق أن يظهر له السيد المسيح ويقول له « كفالك تعباً
يا حبيبى بولا » . فأجابه الأنبا بولا : دعنى يا سيدى أتعب جسدى من أجل اسمك
القدوس كما تعبت أنت عن جنس البشر .

ولقد تعرض الأنبا بولا للموت بل مات فعلاً ست مرات بسبب صومه أربعين يوماً
متصلة ، وفى كل مرة كان الرب يقيمه ويقويه .

وأرشد الرب الأنبا بولا الطموهى والأنبا حزقيال تلميذه إلى جبل أنصنا حيث
تقابلا مع الأنبا أثناسيوس أسقف أنصنا (أنتنوى) ثم لما هرب الأنبا بيشوى من
هجمات البربر فى وادى النظرون حوالى عام ٤٠٧م وذهب إلى أنصنا تعرف على الأنبا
بولا الطموهى وصارا صديقين روحيين ، وكان الأنبا بيشوى يقول للأنبا بولا
الطموهى : لتتعب قليلاً مادمننا فى هذا الجسد قبل أن نطلب ونتوارى (فى التراب) عن
موضع الغربة ولنعمل فى الخمس وزنات . فيجيبه الأنبا بولا الطموهى قائلاً : أطلب
من الرب لأجلى لكى أعمل طاقتى .

ولشدة محبتهما وعدهما الرب أن جسديهما سيدفنان معاً ، ليكونا مثلاً للصداقة
الروحية الطاهرة التى فى الرب .

وتتلمذ الأنبا بيفامون أيضاً على يدى الأنبا بولا الطموهى ، وكان بيفامون شاباً
صغيراً ، ولكنه كان مشابهاً للشيخ فى حكمته وقداسته وروحانيته فكانوا يسمونه الشاب
الشيخ ، ولما تحدث الأنبا بولا الطموهى أمامه عن لقائه بالقديس الأنبا بيشوى

وقداسته ، إشتهى الأنبا بيفامون أن يتبارك من الأنبا بيشوى بالروح برغبة الأنبا بيفامون وطلب من الأنبا بولا تلبية رغبته لأنه قديس وسيكون سبباً لخلاص كثيرين .

وفى احدى المرات ذهب الأنبا بيشوى والأنبا بولا والأنبا حزقيال إلى جبل إسنا المقدس ليتباركوا من أجساد القديسين (الشهداء) . وبعد أن تباركوا منها إستأذنها الأنبا بيشوى فى الرجوع إلى أنصنا فسمحا له . فصار الأنبا بيشوى يطير فى الهواء بأجنحة نورانية .

الفيرة المقدسة على الإيمان :

سمع الأنبا بولا عن غواية الشياطين للناس فى موضع جبلى إذ يرفع الشياطين حجراً رخامياً كبيراً فى الهواء دون أن يراهم أحد . فيتعجب الحاضرون ، ويحضرون خمراً جيدة ويصبونها فى حوض حجرى كبير فيأخذها كهنة الأوثان . فجاء الأنبا بولا والأنبا إسحق الذى من جبل ناوات (وخلفهما الأنبا حزقيال يتبعهما من بعيد) إلى مكان اجتماع عبدة الأوثان دون أن يراهما أحد إلاّ الأنبا حزقيال ، وضربا الشياطين بعلامة الصليب أثناء رفعهم الحجر وأمرهم باسم الرب يسوع المسيح أن يذهبوا بالحجر الرخامى إلى دير الأنبا شنوده رئيس المتوحدين لينشره ويصنع منه بلاطاً لتبليط أرضية البيعة التى بالدير . وقلب القديسان حوض الخمر وإنشقت الأرض وابتلعت الأوثان وبعد ذلك ظهر القديسان للناس ووعظاهم وأخبراهم بأمر الحجر الكبير وكيف أنه يمكنهم أن يشاهدوه فى دير الأنبا شنوده . فتعجب الناس وآمنوا بالسيد المسيح له المجد .

نياحة القديس الأنبا بموا الطموهى

ذهب القديس الأنبا بولا الطموهى وتلميذه الأنبا حزقيال إلى الغابة التى بأسوان . وبعد مدة استدعى الأنبا بولا تلميذه الأنبا حزقيال وطلب إليه أن يكتب وصاياه الأخيرة لتلاميذه ويكتب سيرته وعمل الله معه وطلب إليه أن يعمل على دفن جسده مع جسد الأنبا بيشوى وكان الأنبا بولا قد علم بالروح بنياحة الأنبا بيشوى . وبعد

حوالى ثلاثة شهور من نياحة الأنبا بيشوى تنيح الأنبا بولا فى السابع من بابه عام ١٣٤ش الذى يوافق السابع عشر من اكتوبر عام ٤١٧م فى الساعة الثالثة من النهار (أى التاسعة صباحاً) فجاء كثيرون ليتباركوا منه وكفنوه ودفنوه فى مغارته . وشهد الأنبا حزقيال أن الرب وضع على رأس الأنبا بولا سبعة أكاليل لإستحقاقه وجهاداته .

وبعد مدة من الزمن نقل الأنبا حزقيال جسد الأنبا بولا الطموهى إلى جبل أنصنا فى موضع يدعى (منية صقر) بجوار جسد الأنبا بيشوى حتى تم نقلهما إلى دير الأنبا بيشوى فى وادى النظرون عام ٤٨٢م .

شفاعتها تكون معنا آمين .



الفصل الرابع :

معجزات معصرة القديس العظيم الأنبا بيشوى

عجيب هو الله فى قديسيه ، والله هو هو أمس واليوم وإلى الأبد ، يعمل العجائب والمعجزات بشفاعه قديسيه الذين لهم دالة ومنزلة كبيرة عنده .. حتى وإن رقدوا يعمل بهم معجزات شفاء وإخراج شياطين وإقامة موتى .. إلخ . كما قام الميت بمجرد أن لمس جثمانه عظام أليشع النبى وهو فى قبره (٢مل ١٣ : ٢٠) .

حقاً إن القديس العظيم الأنبا بيشوى وإن مات فهو يتكلم بعد (عب ١١ : ٤) ، وتُعمل به قوات ، وها هنا نحن نورد بعض المعجزات القليلة من المعجزات الكثيرة التى تحدث فى أيامنا هذه وذلك على سبيل المثال وليس الحصر .

حقاً ما أروعها لحظة حينما يتجه الناس بقلوبهم إلى الله وصفيه الأنبا بيشوى ، يفتحون قلوبهم ويبسطون أيديهم ويرفعون وجوههم إلى السماء .. لحظة يعرف فيها الإنسان نفسه بنفسه ويدرك قدرة روح الله العامل فينا ، فنسكن بين أحضان الرب يسوع المسيح ، وتجد نفوسنا راحة وسلاماً كقول الرب له المجد « تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم » (مت ١١ : ٢٨) ، لأن « كل ما تطلبونه فى الصلاة مؤمنين تنالونه » (مت ٢١ : ٢٢) .

بركة صلواته وشفاعته عنا فلتكن معنا ، ولربنا المجد والاكرام والعزة والسجود إلى الأبد آمين .

١- الله المستريح فى قديسيه

كثيراً ما يسمع الآباء الرهبان تحركات صادرة من التابوت الذى يحتوى على جسد الأنبا بيشوى وخصوصاً فى أثناء صلاة نصف الليل وفى القداس الإلهى .

وقد حدث ذات مرة أن أحد الآباء الرهبان كان واقفاً بجانب أيقونة السيدة العذراء التي بجوار جسد القديس، وفي أثناء القداس الإلهي عندما كان الكاهن المصلّي يتلو مجمع الآباء القديسين ويقول «... وأبانا القديس الأنبا بيشوى الرجل الكامل حبيب مخلصنا الصالح»، وإذ به يسمع هذه التحركات تصدر من التابوت. وكأن في قلب القديس وتحركه يريد أن يعبر عن إرتياحه ورضاه على أولاده المباركين العائشين في ديرهم العامر.

٢- يتحرك في التابوت

حدث أن صبية تبلغ من العمر عشر سنوات كانت قد حضرت إلى الدير لتشفع بقديسنا العظيم وتنال بركته، وبينما هي واقفة أمام جسد القديس في رهبة وخشوع سمعت فجأة صوت تحركات صادرة من داخل التابوت المحتوى على الجسد الطاهر، فإندبهشت وإرتجفت من الخوف وأسرعت بالخروج من الكنيسة، فقابلت أحد الآباء الرهبان وقالت له مرتجفة: الأنبا بيشوى يتحرك في التابوت. وبعد أن هدأ الراهب من إتفعلها أراد أن يستفسر منها عما حدث فسألها: يعنى إيه؟ هل التابوت يتحرك؟ فأجابته لا، التحركات صادرة من الداخل وكان واحد بيتقلب.

٣- يتنفس من التابوت :

سمع أكثر من راهب هذه الظاهرة وهي صوت تنفس «شهيق وزفير» منبعث من التابوت الذى يحوى جسد القديس. وفي إحدى المرات إقترب أحد الزوار من التابوت فسمع صوت تنفس شهيق وزفير... ولم يصدق نفسه، فكتّم أنفاسه ظناً أنه يتخيل أو لعل هذا الصوت صادر منه شخصياً.. ثم أنصت من جديد. فسمع نفس الصوت. وعندئذ أشار إلى صديق له قريب منه ليأتى بسرعة ويقترب من الجسد، فلما حضر طلب منه أن يكتّم أنفاسه وينصت. وفعلاً كتّم أنفاسهما معاً فى وقت واحد وأصغيا... وكم كانت دهشتهما وذهولهما. فقد تحقّقوا أنه ليس خيالاً بل حقيقة واقعية، وكأن القديس العظيم يريد أن يقول [لا تنزعجوا يا أولادى من أى شىء ولا تضطربوا، فلازلت موجوداً حياً بينكم].

٤ - القديس يمامى عن أبنائه الرهبان :

كان أبونا المنتيح القمص صليب الأنبا بيشوى أميناً للدير فى الخمسينات (حوالى سنة ١٩٥٦) واختلف مع أحد الأعراب الذين يعملون بالدير إسمه «جبالى». لذلك قرر جبالى أن يقتل أبونا صليب، وكان أبونا صليب كأمين للدير يستلم مفتاح بوابة الدير مساء كل يوم من الأب المسئول عن البوابة. وإذا طرق أى زائر جرس الباب ليلاً يقوم أمين الدير بفتح البوابة بنفسه، وكان جبالى يعرف هذا، ولذلك أحضر جبالى بندقيته ونجاء ليلاً يقرع جرس بوابة الدير ليفتح له أبونا صليب فيقتله، ولكن حدث فى هذه الليلة أن القديس الأنبا بيشوى هو الذى فتح البوابة. وقال لجبالى «عاوز أيه يا جبالى»، فارتاع جبالى إذ وجد هذا الأب الجليل المهيب ذو الشيبة الطاهرة «الأنبا بيشوى» يفتح له، فسقطت البندقية من يديه من الرعب وأغمى عليه، ولما أفاق عاد إلى بيته ليأتى فى الصباح ويعتذر لأمين الدير ويحكى له ما حدث ويقرر عدم الرجوع لمثل هذا الشر مرة أخرى. وهو يقول: شهدنا لك يا أنبا بيشوى.

٥ - القديس يهتيم بطعام أبنائه الرهبان

حكى لنا المنتيح القمص غبريال الأنبا بيشوى أنه عندما كان أميناً للدير فى منتصف خمسينات هذا القرن. أن القمح والمواد الغذائية الأخرى قد نفذت من الدير، والقافلة «الجمال المحملة بالطعام» التى تنقل الطعام من عزبة الدير فى كفر داود (بحيرة) إلى الدير تأخرت كثيراً عن موعدها. ولم تكن هناك أى وسيلة مواصلات أخرى لاحتضار الطعام حيث أن الطرق كانت رملية لا تصلح لها غير الجمال التى تقطع المسافة فى عدة أيام سفر. ولما لم يجد الرهبان أى طعام كانوا يبحثون عن كسر الخبز الجاف اليابس مما يكون قد تبقى من الأيام الماضية ويبلونه بالماء، ويأكلونه بالملح أو بغسيل جرة الجبن الفارغة.

فذهب أمين الدير (المنتيح القمص غبريال) إلى حيث جسد القديس الأنبا بيشوى ليتشفع به، وطرق على التابوت الذى يحوى جسد القديس ثلاث مرات وفى كل

مرة كان القديس يجاوبه من الداخل بطرقات مماثلة . ولكن في المرة الثالثة كانت طريقة القديس من داخل التابوت قوية ففزع منها أمين الدير وأقشعر شعر رأسه ، وخرج مسرعاً إلى خارج الكنيسة ، ليجد جرس بوابة الدير يدق . وعندما فتح الباب وجد أن القافلة المحملة بالطعام قد وصلت . ففرح الرهبان ومجدوا الله في قديسه العظيم الأنبا بيشوى الأب الحنون محب أولاده .

٦- شهدنا لك يا أنبا بيشوى

جاء أحد الأعراب على جملة وقرع جرس البوابة الخارجى . وفتح له الأب المسئول . ورحب به كمعاداته دائماً في الترحاب بجميع الزائرين وخاصة من جيراننا الاعراب . وترك الإعرابى جملة خارجاً ودخل إلى الدير ، فاحضروا له خبزاً وجبناً ليأكل . فأصر على أن يقدموا له لحماً ليأكل لأن الجبن ليس من مقامه ، وكان الدير في ذلك الوقت (منذ ثلاثين عاماً) فقيراً جداً لا يملك حتى القوت الضرورى للرهبان ، وكان أمين الدير يستدين ليشتري لحماً للرهبان يوم العيد فقط ، وكان الرهبان يأكلون المش فقط ويتركون الجبن لتقديمه للضيوف والزائرين . ولما قال له الرهبان إن هذا الأكل بركة من الدير ، تلفظ الأعرابى بكلمات غير لائقة عن القديس العظيم الأنبا بيشوى ، فنصحه الرهبان أن لا يتكلم عن القديس فقال : وايه يعنى يكون هو . وخرج الاعرابى غاضباً فوجد جملة قد مات خارج الدير . فحمل متاعه على كتفه ورجع إلى خيمته ليجد بقرته قد ماتت أيضاً . فعرف أن ذلك بسبب ما أساء به إلى القديس والرهبان . فجاء إلى الدير معتذراً يقول : « شهدنا لك يا أنبا بيشوى » .

٧- أشرف يعود صياً مع والديه

دخلت الأسرة التقية إلى الكنيسة بدير القديس الأنبا بيشوى ليحضرُوا القداس الإلهى أما الطفلان أشرف وإيهاب (٣ ، ٥ سنوات) فأخذوا يلعبان خارج الدير . وكان ذلك خلال احتفالات عيد القديس في عام ١٩٨٠ م .

وإذا بالطفل أشرف (٣ سنوات) يسقط في طرنش المجارى (حجرة تحليل مياه

المجارى) غربى الدير من الخارج. فذهب أخوه إيهاب بكل هدوء ليخبر أحد الرهبان، ولكن الراهب ظنه يمزح لما رآه هادئاً، فذهب الطفل إلى خاله فى الكنيسة ليقص له ما حدث. وكان خاله يعرف صدقه وهدوءه، فذهب معه ليشير إليه على المكان الذى سقط فيه أخوه. فنظر خاله من فتحة الطرنش فلم يشاهد الطفل فتشكك فى كلام إيهاب. ولما أكد له إيهاب ذلك. فأخذ حجراً صغيراً وألقاه فى مياه الطرنش، فانقضت الشوائب وظهرت يد أشرف فوق سطح ماء مجارى الطرنش. فخلع خاله ثيابه وأخرج الطفل أشرف ميتاً منتفخ البطن من كثرة ما شرب من مياه المجارى وجسمه أزرق. وأخبر خاله الراهب المسئول عن بوابة الدير فاستدعى الراهب الطبيب (هو حالياً نيافة الأنبا سراييون، الذى كان وقتها المسئول عن عيادة الدير). فأفرغ ما فى بطنه من مياه المجارى، وعمل له تدليك قلب ونظف جسده بماء نظيف ووضعوه بجوار مقصورة الأنبا بيشوى شبه ميت.

وكان والداه مذهولين من هول الفجعة غير مصدقين لما يشاهدان، وبشفاعة القديس الأنبا بيشوى أقام الله الطفل أشرف وخرج به والداه سالماً من الكنيسة يمجدان الله الذى لم يخب رجاءهما. فقابلهما رئيس الدير (نيافة الأنبا صرابامون) وهما على سلامته مجدداً الله معهما. ولكن رئيس الدير لما له من روحانية وشفافية وتقوى سألهما: هل عليكما نذر لم توفياه؟ فأجابا نعم. نذرنا للقديس الأنبا بيشوى ولبعد المسافة من القاهرة إلى الدير وصعوبة الطريق (لم يكن الطريق إلى الدير مرصوفاً وقتها) فسلمنا النذر إلى الكنيسة المجاورة لمنزلنا. فنصحهما أن يوفيا النذر لصاحبه، وبعد حوالى شهر جاءت الأسرة ومعها أشرف يمسك بخروف يصيح ويدخل به إلى الدير مجدداً الله شاهداً بصنيع الله الذى يظهر قوته فى قديسيه.

٨- يشفى من اضطاره

حضر إلى الدير عميد فى القوات المسلحة وبصحبتة ابنه الذى يبلغ من العمر عشر سنوات، وكان يشكو من مرض غريب إحتار الأطباء فى تشخيصه.. ودخلا معاً إلى الكنيسة لينالا بركة الأنبا بيشوى. وكان حضور هذا العميد بترتيب وسماح من الله نظراً لإنشغاله فى عمله وكثرة إرتباطاته... وعندما تقدما نحو جسد القديس الطاهر.

أراد الصبي أن يلمس الجسد ، ولكن لقصر قامته وعلو المقصورة لم يتمكن . فحمله أحد الآباء الرهبان . وما أن اقترب من الجسد حتى إحتضنه بذراعيه الصغيرتين في حب وشوق شديدين ، بينما والده بجواره يتضرع بدموع مُرّة للقديس ليشفى ابنه المريض ... وبعد ذلك ينصرف من الدير .

وتمر الأيام وإذ بالعميد يأخذ أجازة من عمله ليذهب إلى الدير ، وعندما حضر أخذ يردد بفرح وتهليل قائلاً : لقد شفى ابني من مرضه ببركة القديس العظيم الأنبا بيشوى وأنا حضرت بنفسى اليوم لأوفى بالنذر . هنا إقترب الأب الراهب الذى حل ابنه في المرة الأولى وتكلم مع الصبي ليعرف منه ما حدث بالتفصيل . فقال له الصبي بإنفعال شديد : أنا كل يوم وأنا نائم بالليل أستيقظ حوالى الساعة الثانية أو الثالثة صباحاً فجأة في فزع وخوف شديدين وأصرخ بأعلى صوتى بصعوبة لشعورى بضيق تنفس وأكاد أختنق ، فيسرعوا نحوى ويعطونى حقنة أفقد بعدها الوعى تماماً ... وكل يوم تتكرر معى هذه الحالة . ثم استطرد قائلاً : ولما حضرت للأنبا بيشوى وإحتضنته وطلبت منه أن يشفينى من هذه الآلام . فاستجاب على الفور لندائى ... ولم يحدث لى بعدها أى شىء علشان كده أنا جيت أشكره وأطلب منه طلب لمدة سنتين وهأعطيه خمسين قرشاً من مصروفى الخاص فى كل سنة لأننى أنا فى سنة رابعة إبتدائى وعاوز أنجح وأجيب مجموع كبير فى القبول .

٩ - شفى من ذبحة صدرية

حضر أحد المؤمنين إلى الدير وبعد أن تبارك من جسد قديسنا العظيم أخذ زيتاً مُصلى عليه بركة من الدير لأن صديقه الدكتور «ف» قد أصيب بذبحة صدرية . وعندما عاد من الدير ذهب إلى صديقه المريض وأخرج زجاجة الزيت ورشم علامة الصليب بالزيت على صدره ، وفى الحال قام المريض من سريره وهو يشعر بالصحة والعافية تدب فى بدنه ، وكأنه لم يصب بأى مرض .

١٠- يشفى من سرطان الرئة

حضر الدكتور «م.ع.ر.» إلى الدير وبعد أن نال بركة قديسنا العظيم والرشم بالزيت المصلى حصلت معه المعجزة التالية :

يقول : أنا طبيب مفتش صحة شبرا الخيمة . لقد عمل معى الأنبا بيشوى معجزة كبيرة عام ١٩٧٨م وهى أننى أجريت أشعة على الرئتين لكثرة الكحة ، وقال لى الأطباء أنه إشتباه فى سرطان بالرئة اليسرى . فذهبت إلى أخصائى فى الأمراض الصدرية هو الاستاذ الدكتور سيد الوراقى ، فإشتبته هو أيضاً فى أن يكون هناك سرطان بالرئة . وأشار علىّ بعمل «فحص بصاق» ، وكانت نتيجة هذه التحاليل وجود خلايا سرطانية فى عينة البصاق ، وبعد ذلك عملت إشعات كثيرة وكذلك منظار للقصبة الهوائية والرئتين وتحليل لبعض خلايا القصبة الهوائية ... وقد تم هذا التحليل فى أكبر معملين متخصصين فى هذا النوع من التحاليل ... وكانت النتيجة واحدة وهى وجود خلايا سرطانية من نوع شديد الفتك بالانسان ... ولابد من إجراء عملية جراحية فى أسرع وقت ممكن لإستئصال الأجزاء المصابة .

وقبل إجراء العملية زرت دير الأنبا بيشوى ، وبعد الصلاة والتضرع إلى الله وطلب بركة القديس الأنبا بيشوى أخذت من زيت القنديل وبإيمان قوى دهنت جسمى ...

وفى يوم الأحد ١٥ يناير ١٩٧٨م دخلت غرفة العمليات ... وكم كانت دهشة الجراح حينما إكتشف عدم وجود أى أثر للورم السرطانى .. واعترف هذا الطبيب الجراح الأستاذ الدكتور أنور بلبع بأن هذه معجزة من السماء .

١١- طفل يضرر بمقنة فيساعده يعود للحياة

حدث هذا فى عيد القديس العظيم الأنبا بيشوى فى ١٥ يوليو ١٩٧٦م ، حيث أذيع فى الميكروفون الخاص بالاذاعة من كنيسة الأنبا بيشوى الآتى :

[يوجد طفل عمره ثلاث سنوات في حالة خطيرة، فالرجاء من السادة الأطباء الحضور فوراً عند باب الكنيسة للأهمية القصوى وشكراً].

تكرر هذا النداء ثلاث مرات، ولكن هل يسمح الأنبا بيشوى أن تحدث حالة وفاة لأحد الحاضرين المحتفلين بتذكار نياحته؟!

فتدخل القديس حيث تصادف مرور أحد المشتغلين بالدير في ذلك الحين ومعه أمبول فيتامين «ج»... ونظر إلى الطفل باشفاق وحنان وقال لأمه الحزينة الباكية بكل ثقة وإيمان «ما تخافيش... الأنبا بيشوى حاشفيه». كانت حرارة الطفل فوق الأربعين وهو ممدد على ذراعى أمه في إغماء. فأعطاه أمبول الفيتامين... وما هى إلا لحظات وإذ بالطفل يفيق من إغمائه وتنخفض حرارته ريقف على قدميه ويمشى... لقد تدخل الأنبا بيشوى ومسح الدمع من العيون... وتم الشفاء ولم يكن ذلك صدفة بل بسماع وترتيب من الله.

١٢- مُخْرِجُ الْحَصُوةِ مِنَ الْكَلَى

وحدث أيضاً في عيد قديسنا العظيم في ذلك العام (١٩٧٨م) أن حضر أحد المؤمنين إلى الدير وكان يشكو من حصوة في الكلى تسبب له آلاماً مبرحة. وبعدما أخذ بركة القديس أحس بمغص شديد جداً وشعر كأنما الحصوة تتحرك في الكلى أو الحالب بألم مضمّن.. فأسرع إلى خارج الكنيسة ليجث عن الراهب المختص بإعطاء الحقن... وفى طريقه تقابل مع أحد الآباء الرهبان وطلب منه ألا يتركه لشدة الزحام في المكان بالزوار المحتفلين بالعيد... أنه يود لو يأخذ حقنة لتسكن آلام المغص الشديد وربما توسع مجرى الحالب فيسهل نزول الحصوة... فقال له الأب الراهب: إذهب الآن إلى الأنبا بيشوى وقل له زى ما حركت الحصوة كمل جميلك ونزلها.

وبإيمان قوى صمت برهة برغم شدة ما يعاينه من ألم نتيجة تحرك الحصوة. وذهب على الفور ليرفع هذه الطلبة بحرارة وتضرع ودموع.. واثقاً في وعد السيد له المجد «كل ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تنالونه» (مت ٢١ : ٢٢). وفعلاً تحقق الوعد وتمت المعجزة والشاب في ذهول يقول (الأنبا بيشوى حرك الحصوة ونزلها).

١٣- يشفى من تضخم الطحال

حضر الخادم (أ.ع.م.) وهو من خدام كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة مع والده وبعض أصدقائه إلى الدير يوم الجمعة العظيمة ٣٠ أبريل ١٩٧٨ لحضور صلوات ذلك اليوم العظيم بكل ما فيه من رهبة وخشوع... وبعد إنقضاء اليوم وفي فجر سبت النور عاد إلى منزله .

وفي مساء ذلك اليوم أصيب والده بوعكة صحية لزم معها الفراش وساعت حالته ودخل في غيبوبة... وبالكشف عليه إتضح أن الطحال متضخم ويلزم إجراء جراحة، ولكن صحته لا تحتل ذلك لمرضه بالسكر، وتقدم سنه، لذلك فقد الأطباء الأمل في إنقاذه .

وبعد مرور اسبوع على هذه الحالة وصحته في تدهور مستمر تذكر إبنه الخادم الزيت المصلى الذى أخذه بركة من الدير.. وعندئذ أسرع ودهن والده به بعلامة الصليب المقدس في مكان التضخم، وفي الصباح استيقظ الجميع على صوت الوالد وهو يردد بصوت عال هذه العبارة: (اذكرنى يارب ملى جثت فى ملكوتك). ثم قام من سرير مرضه معافى تماماً.. والجميع حوله فى ذهول شديد يسبحون ويمجدون الله وقديسه .

١٤- يشفى من صراع نصفى مزمن

حدث لخادم آخر من نفس الكنيسة وإسمه (ن.ش.) إنه كان يعانى من صراع نصفى مزمن إستمر معه أكثر من ثمانى سنوات لا يفارقه من يوم لآخر. ويسبب له آلاماً مبرحة لا تفارقه إلا قليلاً... وقد ذهب إلى أطباء كثيرين، ولكن بلا جدوى... وبعد أن أجروا عدة تحاليل وأشعات كثيرة عجزوا عن تشخيص الحالة أو معرفة السبب، فما كان منهم إلا أن كتبوا له على بعض المسكنات لتخفيف حدة هذه الآلام الشديدة شفقة به . ولكن دون أن تعالج .

وفي يوم ٢٥ مايو ١٩٧٨م أتى إلى الدير ورُثِمَ بالزيت المصلى وبعدها لم يشعر بهذا الصداق ولا بهذه الآلام... وحيثما عجز الطب تدخل الله بطريقته الخاصة. والأكثر من هذا أن والدته كانت تشكو من آلام قاسية في ضرسها فأخذت من الزيت المصلى ورشمت علامة الصليب المقدس على ضرسها فذهب عنها الألم في الحال.

١٥- تطلب مولوداً.. فضع اثنين

حضر زوج وزوجته وهى اخت أحد الآباء الرهبان، وكانا قد نذرا للأبنا بيشوى مبلغ خمسين جنيهاً إذا رزقا مولوداً لأنهما لم ينجبا منذ أكثر من ثمان سنوات.

وقر الأيام والشهور واذ بالزوجين يحضران إلى الدير في فرح وتهليل، لقد إستجاب الله الدعاء بشفاعة صفيه، إنه الذى يعطى الجميع بسخاء ولا يعير (يع ١ : ٤). لقد طلبا مولوداً فأعطاهما اثنين، وبدل ما يقدم نذرهما خمسين جنيهاً.. يتبرعان بمائة جنيه، ويسرعان فرحين لتقديم المولودين للمعمودية المقدسة في الدير ويطلق على أحدهما إسم بيشوى.

١٦- يُرَاعِبُ صَبِي

حدث أن حضر شاب وبصحبته أخوه الصغير «ممدوح» الذى لم يبلغ السادسة من عمره بعد... وفي الدير عندما إقتربا من جسد قديسنا العظيم الأنبا بيشوى لنوال بركته، لاحظ الصبى على أخيه الكبير أنه يقف في خشوع وتذلل يتضرع في حرارة بدموع لمدة ليست بقليلة، ثم ينصرف في هدوء وسكون إلى خارج الكنيسة. فإقترب ممدوح من الجسد الطاهر وفي براءة الأطفال وبساطتهم ظن أن أخيه كان يتكلم مع الأنبا بيشوى والقديس يكلمه... فلما تقدم الصبى كلم القديس. ولكن القديس لم يُجبه... فإنهيار الصبى بالبكاء والنحيب قائلاً في بساطة (أنت ليه ما بتكلمنيش زى ما كلمت أخويا... هو علشان أنا صغير). فأجابه القديس في حنان وحب قائلاً «ما ترعلش يا ممدوح، وأنا حأعطيك بركة كبيرة خالص» ثم طيب خاطره. وكما قال رب المجد «من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله» (لو ١٨ : ١٧)،

وفرّج الصبى وشكر القديس الذى مسح الدموع من عينيه، ثم خرج ممدوح من الكنيسة متهللاً وإمارات الفرّج بادية على وجهه الصغير الملائكى، فلما تقابل مع أخيه الكبير قال له: (الأنبا بيشوى اتكلم معاى وباركنى) فإندهش الأخ الأكبر وقال لأخيه باستغراب وفى ذهول: بتقول الأنبا بيشوى كلمك؟! فأجابه الصبى فى براءة الطفولة: زى ما كلمك أنت! وفى الحال أخذه من يده وأسرع به إلى الكنيسة ليقدمها تمجيداً للقديس العظيم.

١٧- يحفظ من المزالك

إستقل الأولاد الصغار الذين لم تتجاوز أعمارهم الثانية عشر عاماً ميكروباس مدارس الأحد.. فى طريق عودتهم من زيارة الدير، وبينما الجميع يرتلون بفرح وسرور يسبحون ويمجدون الله بأصواتهم الملائكية، إذ بالسائق يرى أمامه عربة نقل كبيرة بمقطورة متجهة نحوه خارجة عن مسارها وتكاد تدهم الميكروباس بمن فيه، ويبدو أن سائقها كان نائماً أو فى غير وعيه، فإستنجد صارخاً بصوت عال بالأنبا بيشوى شفيعه، وعند ذلك أصيب السائق بذهول لما يرى ولم يصدق أنه نجا من موت محقق. لقد وجد الميكروباس ينحرف فى الوقت المناسب عن الطريق الأسفلت ويسير بنفس السرعة على الرمل دون أن ينقلب نتيجة هذه السرعة والانحراف المفاجئ!! لم يكن السائق فى الحقيقة سوى متفرج يتابع ما يحدث ولا يصدق نفسه؟! وبعد ذلك إتجه الميكروباس إلى طريق الأسفلت من جديد وبنفس السرعة... صحيح أنه مُمسك بعجلة القيادة، لكن الأنبا بيشوى تسلمها منه (أى عجلة القيادة) وتولى هو السير بها بطريقته الخاصة. وبذلك أنقذهم من كارثة محققة كانت ستقضى عليهم حتماً.

١٨- يحفظ الياق من الرقة

بعد أن قضى الشاب يوماً جميلاً هادئاً فى الدير وسط البرية التى تقدست بأنفاس القديسين عاد إلى منزله فى فرح روحى وسلام قلبى.

وحدث أنه بعد منتصف الليل بقليل والجميع مستغرقون فى النوم إذ به يستيقظ

على صوت إستغاثة صادرة من الشارع «حرامى... حرامى... حرامى»، فلم يُعط إهتماماً لهذا الأمر وإستغرق فى نومه من شدة ما حل به من إرهاق وإجهاد . وفى الصباح وبعد أن إستيقظ أراد أن يستطلع عن سبب تلك الضجة، فإذا بمفاجأة لم تخطر على البال كانت فى إنتظاره.. لقد وجد جميع السيارات التى فى الطريق بدون إستثناء مُهشمة ما عدا سيارته..! وهنا أدرك السبب وهو أن شارة الأنبا بيشوى المعلقة على المرأة الأمامية قد حجبت وأخفت السيارة عن أعين الحرامى، وإزدادت دهشته وتضاعفت حينما إكتشف أنه كان قد نسى الريكورد بالسيارة ولم يُمس . فشكر الله وصفيه على هذه العناية .

١٩- سيارَة نَقَطع ١٣٠ كم بدون نقطة ماء

حضر والد أحد الآباء الرهبان وأسرتَه إلى الدير لنوال بركة القديس العظيم الأنبا بيشوى، وبعد أن قضوا النهار فى البرية، وإمتلأوا نشوى روحية وتغزيات سمائية، إستقلوا سيارتهم الخاصة (موديل نصر ١٣٠٠) وقت الغروب فى طريق العودة .

ولم تمض سوى كيلومترات قليلة وإذ بهذا الوالد يجد مؤشر السيارة ينحرف ويشير إلى ضوء أحمر، دلالة على وجود عطب أو خلل ما... ومن الخطورة متابعة السير بها بهذه الحالة . فالتفت إلى شارة القديس المعلقة فى المرأة الأمامية أمام عجلة القيادة، وإستنجد به صارخاً بإيمان قوى : (بركتك يا أنبا بيشوى.. داإحنا أول مرة نيجى نزورك) وفى الحال عاد المؤشر إلى وضعه الطبيعى مُعطياً ضوء أخضر علامة الأمان وزوال الخطر. ولكن عندما وصلت هذه الأسرة إلى المنزل إذ بالمؤشر يشير إلى ضوء أحمر من جديد. فأخذ الوالد السيارة فى الحال وذهب إلى الميكانيكى الذى لم يكن يبعد سوى مائة متر عن المنزل . وكم كانت دهشته وذهوله حينما أخبره الميكانيكى قائلاً : الحمد لله إن الموتور سليم . لكن الغريب والعجيب أن الرادياتير المسئول عن تبريد الموتور مسدود على الآخر وإزداد الميكانيكى دهشة وإستغراب عندما علم أن السيارة بهذه الحالة قد قطعت أكثر من ١٣٠ كم من دير الأنبا بيشوى بوادى النظرون إلى المنزل بالقاهرة وإستغرقت أكثر من ساعتين بدون نقطة ماء واحدة تبرد الموتور.. (ومعروف طبعاً إنها لو سارت بهذه الحالة أكثر من نصف كيلومتر لاحترق الموتور على الفور) .

٢٠- ينقذ من الموت

كان سائق الميكروباس كثير التردد على الدير، وحدث أنه في إحدى رحلاته بينما كان يقود سيارته في طريقه إلى الدير مساءً وفي منطقة مُعينة كان عليه أن يصعد مرتفعاً يليه منحدر كبير... ومع خبرته (كسائق قديم) وحيطته إزاء ذلك فوجيء بما روع كل كيانه إذ به وهو يهبط من هذا المرتفع يجد عربة جيش كبيرة رابضة في عرض الطريق وعلى مسافة قريبة منه وتختفى وراء هذا المطلع... ربما أهمل سائقها أن يركنها على جانب الطريق أو حتى يضيء أنوارها أو ربما تعطلت لعطب مفاجيء أصابها؟! ولا يمكنه أن يقف فجأة ويتحاشاها مع سرعة الميكروباس وانحدار الطريق، ولا توجد أمامه أية حيلة، وعربة الجيش الكبيرة أمامه بأمتار قليلة... فأدرك أن هذه هي نهايته لا مفر وأنه هالك لا محال... فإستنجد صارخاً بكل مشاعره بالأنبا بيشوى ثم أغمض عينيه من هول هذه الكارثة المحققة... وما أن فتحتها حتى إختفت عربة الجيش من أمامه تماماً وصارت خلفه ليواصل طريقه في أمان وسلام قلبى عميق وهو يلهج بالشكر لله!!

هنا نقف لحظة لتبين ما الذى حدث؟ هل قفز الميكروباس؟! أو كيف إنحرف وتجنب عربة الجيش هذه؟!... السائق في ذهول لا يعرف كيف يعلل ما حدث ولا يتذكر سوى أنه أخذ يردد الشكر والحمد والتسبيح طول الطريق لله وقديسه العظيم سريع النجدة الذى لا يسمح بهلاك أحد أولاده الآتين لنوال بركته.

٢١- يحفظ المسافرين من المخاطر

إعتاد السائق - وهو ميكانيكى أيضاً - أن يعلق شارة القديس العظيم الأنبا بيشوى فى الأتوبيس الخاص بالرحلات... وفى إحدى المرات وهو فى طريقه إلى الدير حدث خلل مفاجيء وتخلخلت عجلة القيادة بين يديه ولم يستطع التحكم فيها وفقد السيطرة عليها... فإستنجد صارخاً ومن معه بالأنبا بيشوى، وما هى إلا لحظات حتى عاد

الهدوء والسلام للركاب، واستطاع السيطرة على السيارة. لم تكن يد السائق بل يد القديس القابضة على عجلة القيادة... إنها اليد الحانية المترفة على أولاده. وما أن وصل الأتوبيس إلى الدير حتى قص السائق ما حدث له وعلق قائلاً: أصل أنتم ما تعرفون الأنبا بيشوى كويس دا أجده واحد يربط صواميل.

٢٢- يربط بنور المسافرين

رغبت مجموعة من الشبان زيارة دير القديس العظيم الأنبا بيشوى. وفي الطريق ضلوا وأمسى عليهم الليل، فرفعوا أيديهم بالصلوات والتضرعات إلى الله معينهم وصفيه القديس العظيم، ولم تمض سوى لحظات معدودة وإذ بنور ساطع يتراءى أمام عيونهم فجأة من بعيد، فاتجهوا إليه ووصلوا الدير بسلام. وحينئذ إختفى النور. لم يصدقوا أعينهم وتساءلوا ماذا حدث؟! ... ومن هو هذا الشخص المرتدى لباس أبيض كالثلج وممسك بيده فانوس مضيء وواقف على سور الدير في تلك الساعة المتأخرة من الليل.

إنها عادة قديسنا العظيم الأنبا بيشوى الذى ينير للمسافرين الضالين الطريق.

٢٣- يشفى طفلاً من مرض خطير

كان الطفل وحيد أبويه ويبلغ من العمر ثلاث سنوات قد تعرض لمرض خطير أصاب جميع أجزاء جسده بقروح وبثور ينزف منها الدم بكثرة... وعندما عرض على مجموعة من الأطباء فشلوا في معالجته... وأخيراً حضر أبواه إلى الدير حاملين وحيدهما في حالة إغماء ودرجة حرارته قاربت الأربعين... ووضعاه على جسد القديس العظيم الأنبا بيشوى داخل المقصورة، وظلوا يتضرعون ويصلون بحرارة لله ويتشفعون بقديسه أن يفعل ما فيه الخير... إما أن يأخذ وديعته ويضع حداً لعذاباته وآلامه الكثيرة فيكون قد تبارك من جسد القديس ويدفناه في تراب الدير مرددين بإيمان «الرب أعطى والرب أخذ فليكن إسم الرب مباركاً» (أيوب ١ : ٢١). وإما أن ينال الشفاء فيعودوا به سليم الجسد معافى من مرضه... فلتكن مشيئتك يارب!

قالا هذه العبارة وخرجا من الكنيسة إلى مضيقة الدير، حيث قابلوا رئيس الدير والآباء الرهبان يهدئونهما ويطيبون خاطرهما ... ولم تمض سوى لحظات مرت كالدهر. وإذا بالطفل يقرع باب المضيقة منادياً بصوت عال « ماما ... بابا » ثم يجري نحوهما وقد شفى تماماً من مرضه. ماذا حدث؟! ليت هذا الطفل الصغير يستطيع أن يقص ويصف لنا ما رآه. كيف شفاه الله بشفاعته الأنبا بيشوى؟ وكيف ظهر له القديس، وأنزله من أعلى المقصورة؟! وكيف أرشده إلى مكان والديه؟!

أسرع والداه بعد ذلك إلى الكنيسة شاكرين وممجدين الله وقديسه، ومن حنان الله عليهما أيضاً أنه رزقهما بمولود آخر سمى بإسم بولا فأصبح لهما طفلان « بيشوى وبولا » ... الله دائماً يعطى بسخاء ولا يعير.

٢٤ - يقوى ويسيطر على الأرواح الشريرة

كان أحد المشتغلين بالدير لا يطيق مجرد المرور أمام كنيسة القديس الأنبا بيشوى، فشك زملاؤه وظنوا أنه تحت سيطرة وتسلب الأرواح الشريرة عليه ... وفي ذات مرة أخذوه بالقوة وأدخلوه الكنيسة فثار وغضب وهجم على مقصورة قديسنا العظيم محاولاً تحطيمها ... ولكنه عندما إقترب منها وقف فجأة عن الحركة وتسمر في مكانه، وإذا بأصوات لطمات تنهال على وجهه وتلوى ذراعيه الممتدين فينطرح على الأرض ويخرج الروح الشرير منه ويعود إلى حالته الطبيعية ويمجد الجميع الله وقديسه العظيم.

٢٥ - يسرع على عاية أولاده

حدث أن أحد الآباء الرهبان بعد ما انتهى من القراءة في قلايته خفض إضاءة لمبة الجاز ونام ... ولكنه بعد قليل شعر بلمسة يد خفيفة تلمس جسده ففتح عينيه قليلاً وسرعان ما إستغرق في نومه ثانية من شدة التعب ... وبعد قليل شعر بيد تمسكه من ذراعه وتجذبه بقوة وتقيمه من نعاسه ... فقام منزعجاً ليحضر لمبة الجاز. ولكنه إكتشف أنها قد تحولت إلى كتلة مشتعلة من النار بسبب أن فتيلتها المشتعلة قد سقطت في إناء الجاز.... وبسرعة فتح باب قلايته وأخرجها، وأطفأها بالرمال، ثم جلس يفكر فيما

حدث ؟! من يا ترى هذا الشخص الذى أيقظنى من نومى مرتين ... وما هى اليد التى أمسكت بى وأقامتنى من نعاسى ؟! .. إنه بلاشك القديس العظيم الأنبا بيشوى الذى يرعانى ويسهر علىّ ... فبينما أنا نائم ولكنه هو ساهر علىّ يحرسنى ويعتنى بى .

٢٦- يعيد البصر من صير

أصيب رجل متزوج وله طفلان صغيران بالعمى فجأة دون أى سبب يذكر، وعُرض على مجموعة كبيرة من الأطباء، وبعد الكشف والفحص الدقيق تبين لهم أن قاع العين والعصب البصرى سليمان، بل وكل ما يختص بالعين فى حالة سليمة وجيدة... وتحيروا فى تعليل السبب، وفقدوا كل الأمل والرجاء فى إعادة البصر إليه مرة أخرى، «ولكن غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله» (لو ١٨ : ٢٧).

فقد حدث أن زار أحد أقاربه الدير وبعدما تبارك من جسد قديسنا العظيم، أخذ معه زيت مصلى بركة وعاد إلى منزله... ثم أسرع بالذهاب إلى قريبه فاقد البصر وقال له بكل إيمان (لا تحزن لا تخف، الأنبا بيشوى سيُعيد لك البصر من جديد). وبسرعة أخرج زجاجة الزيت المصلى ودهن به عينيه بعلامة الصليب المقدس، وفى الحال عاد له البصر!!... ويصرخ ويصيح وهو غير مصدق نفسه... إنه يرى كل شئ أمامه بوضوح... يرى زوجته الحبيبة وطفليه الصغيرين... فيحتضنهم بقوة والدموع منهمرة من عينيه...

٢٧- يشفى من مرض الصفراء

أصيب (ز.م.ز) وهو طالب بكلية الهندسة بمرض الصفراء (إلتهاب كبدى وبائى) وارتفعت درجة حرارته فاستدعوا له الطبيب الذى أعطاه علاجاً على أساس أن الحالة إنفلونزا حادة.. وعندما انخفضت حرارته ذهب إلى الكلية واستأنف دراسته، ولكنه شعر فى نفس اليوم بإرهاق شديد فعاد إلى منزله ولزم الفراش .

ومرت الأيام دون أن تتحسن صحته بل زادت تدهوراً.. فاستدعوا الطبيب مرة

أخرى ليكتشف أنه مصاب بتضخم في الكبد، وأن حالته خطيرة نتيجة التأخر في علاج هذا الالتهاب الكبدي .

وعندما زار أحد المؤمنين الدير طلب له الشفاء من قديسنا العظيم الأنبا بيشوى وأخذ معه زجاجة زيت مصلى بركة من الدير، ولما عاد إلى منزله زار هذا الشاب المريض ودهنته بالزيت .. وفي الحال قام من مرضه مُعافى وتم له الشفاء .

٢٨ - يَنْقُذُ طِفْلاً مِنَ الْمَوْتِ

حضر شاب مع عائلة أحد الآباء الرهبان، وبعد أن قضاوا يوماً ممتعاً في ربوع البرية حيث الهدوء والسكينة والجو المقدس المبارك في أحضان القديسين، أخذ زيتاً مُصلى بركة من الدير وتبارك من جسد القديس، وعاد إلى منزله فرحاً مسروراً مردداً قول داود النبي «واحدة سألت من الرب وإياها أَلْتَمَسُ أَنْ أَسْكُنَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي» (مز ٢٦) .

وفي المساء بعد ما إستغرق الجميع في النوم، وعند منتصف الليل إستيقظ من نومه فجأة مذعوراً على صوت صراخ زوجته، فأسرع إليها ليتبين الأمر. فوجدها تبكي بدموع غزيرة وهي تحمل مولودها الرضيع الذي لم يبلغ من العمر سوى أربعة شهور على ذراعيها. وكان الطفل في غيبوبة لا يتحرك وعيناه مفتوحتان وينسكب من فمه «ريم» أبيض وقد تغير لون جسده وانخفضت درجة حرارته ... فأسرع الزوج إلى جارته ليستدعيها لخبرتها بشئون الأطفال ... فلما حضرت أغمضت عيني الطفل بعد أن أدركت أن الطفل في النزع الأخير، ثم همست بصوت منخفض قائلة: البركة في أولادكم . ولكن الزوج المؤمن قال لها بكل إيمان: لا يمكن أن يحدث هذا بعد أن زرت اليوم دير الأنبا بيشوى . ثم أسرع وأحضر زجاجة الزيت ودهن بها جسد الطفل وفي الحال عادت الحياة له من جديد .

٢٩- يشفى من التراب صديقي بالكلى

أصببت زوجة أحد المؤمنين بالتهاب حاد في الكلية اليمنى ، وبالرغم من الجهود المضنية والعناية الفائقة التى أحيطت بها هذه السيدة إلا أن الطبيب المعالج قرر أخيراً إستئصال الكلية ، وبعد إجراء العملية تحسنت صحتها . ولكن بعد فترة قصيرة أصببت الكلية اليسرى بصديد وأصبحت فى خطر خصوصاً لأنها تعيش بكلية واحدة... وفى المساء وبينما هى نائمة فى حزن شديد إذ ترى فى حلم الليل شخصاً نورانياً يرتدى جلباباً أبيض ووجهه يتلألأ كضياء الشمس ، وله لحية بيضاء طويلة ، وممسك بعكازه فى يده اليمنى... إقترب إليها متحدثاً إليها بصوت عذب وإبتسامة هادئة بادية على وجهه الملائكى الجميل قائلاً : اذهبى إلى ديرى وأنت تشفين لأن كل المرضى اللى بيزورونى الله يشفيهم... ثم إختفى عنها .

وعندما إستيقظت فى الصباح قصت على زوجها هذا الحلم ، وأضافت قائلة إنها لا تعرف هذا الشخص النورانى ولم يسبق لها أن زارت أديرة من قبل.. ، ولكن زوجها المؤمن طمأنها وقال لها : لابد أن هذا الشخص هو القديس العظيم الأنبا بيشوى شفيعى . ثم أخذها معه إلى الدير .

وفى الدير عندما دخلا كنيسة القديس الأنبا بيشوى ووقع نظر الزوجة على أيقونة الأنبا بيشوى صاحت فى فرح وتهليل وفى ذهول وقالت لزوجها : هو ده نفس الشخص اللى ظهر لى فى الحلم بالأمس وإتكلم معايا . ثم إستطردت قائلة : أنا عندى إيمان قوى إنه سيشفينى كما وعدنى من قبل... ورشمها أحد الآباء الكهنة الرهبان بالزيت المصلى وعادت إلى منزلها .

وعندما أجريت لها التحاليل بعد ذلك إكتشف الأطباء المعالجين عدم وجود أى أثر للصديد وخلو الكلية منه... وكان الشفاء كاملاً .

٣٠ - يشفى من نزيف دموى

نقلت امرأة في العقد السادس من عمرها إلى المستشفى في حالة خطيرة وإغماء بسبب نزيف دموى حاد. وبعد الكشف الأولى عليها لم يهتد السادة الأطباء إلى السبب... واستمر النزيف لمدة خمسة أيام والأطباء في حيرة من أمرها ينقلون لها دم مستمر مع تغذيتها بالمحاليل.. وأخيراً قرروا إجراء عملية جراحية لادخال منظار ليوضح لهم مصدر أو سبب النزيف. وبدأوا بتفريغ الدم من جوفها إعداداً لعملية المنظار، وكان هذا الدم كثيراً جداً حتى أنه ملأ وعاءاً كبيراً وإذ أخذ زوجها من هول منظر الدم وكثرته إبتهل إلى الله وقديسه بنفس حارة وتضرع في لاجاة قلبية صارخاً لكي يُسرّع وينقذها لأن صحتها العلية لا تحتمل مجرد إجراء عملية جراحية بسيطة نظراً لتقدمها في العمر ونحافتها وإصابتها بانيميا حادة...

واستجاب الله الدعاء على الفور بشفاعة صفيه القديس الأنبا بيشوى، فقد أحضر إليها أحد الأحباء زيتاً مصلّى وصليب بركة من الدير، وعندما رشمت بالزيت علامة الصليب المقدس إستعادت وعيها وأفادت من إغمائها وتوقف النزيف فجأة بعد أن ظل خمسة أيام متواصلة. وتكلمت مع زوجها للمرة الأولى منذ أن دخلت المستشفى وسألته عن سبب مجيئها إلى هذا المكان. ثم طلبت منه أن يعود بها إلى المنزل فوراً لأن صحتها جيدة.

أما الزوج المذهول فأراد أن يتأكد ويطمئن على حالتها الصحية بإجراء بعض التحاليل، ولكنها بكل إيمان قالت له: الرب شفاني بشفاعة الأنبا بيشوى ولست في حاجة لأجراء هذه التحاليل. وعاد الجميع إلى المنزل يسبحون الله ويمجدون اسمه في قديسه.

وحتى الآن لم تشك بأى تعب أو حتى بأى مرض آخر ... !

٣١- يمد يد يبارك الجميع

وحدث يوم إنعقاد المجمع المقدس في ٢٠ فبراير ١٩٧٩م وفي حوالى الساعة الثانية عشرة ظهراً أن دخلت إلى الكنيسة بالدير رحلة قامت بها إحدى الكنائس القبطية بالاسكندرية لابنائها الأخوة الفقراء والمساكين لزيارة الأديرة المقدسة بوادى النطرون.. ووقفوا أمام التابوت المحتوى على جسد القديس يقدمون صلواتهم وطلباتهم، ولكنهم أحسوا بقطرات من الماء تتساقط عليهم ولم يعرفوا مصدرها؟!.. فاتجهت أنظارهم فى كل مكان من الكنيسة بحثاً عن سبب هذا الماء المتساقط. وبينما هم فى ذهول شديد إذ بيد قديسنا العظيم تظهر فجأة من التابوت... وقد شاهدها كل الحاضرين، بلون أبيض كالثلج، وترحب بهم وتلوح لهم وتمنحهم البركة، ثم فج نور أبيض ذهبى فى المقصورة يخطف الأنظار ويخلب الأبواب، وهنا إرتفعت الأفواه بالصياح والصراخ المزوج بالحمد والتسبيح، وامتلأت العيون بالدموع من شدة الفرح والبهجة التى غمرت الجميع.

حضر الأب الراهب المختص بالزوار مسرعاً إلى الكنيسة على أثر هذا الهتاف والصراخ، فشهد النور منعكساً على سقف المقصورة، ثم رأى سيدة منهم تصرخ بشدة لأن بها روح شرير. فمسكها الآباء الكهنة الحاضرون وإقتربوا بها إلى حيث جسد القديس... وفى الحال خرج منها الروح الشرير. وعادت إلى حالتها الطبيعية وهدوئها.. ومجد الجميع الله وقديسه... واستمر التمجيد أكثر من ساعة والفرحة تدب فى النفوس.

لقد أراد الأنبا بيشوى أن يعبر عن تأييده وإبتهاجه بإنعقاد هذا المجمع المقدس فى ذلك اليوم المبارك، وأن يشارك أولاده الفقراء فرحتهم لأنه مكتوب «طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله» (مت ٥ : ٨).

٢٢- ينقذ من ضيقة

حضر إلى دير القديس العظيم الأنبا بيشوى وقت الغروب قريب لأحد الآباء الرهبان وفى طريقه إلى الدير انحرفت سيارته لسبب ما ، وغرزت فى رمال الصحراء الكثيفة ، ولم يستطع أن يفعل شيئاً فقد أمسى عليه الليل ، وصار فى ضيقة .. ماذا يفعل ؟ وكيف يتصرف ؟

وأخيراً سلم أمره لله واستشفع بقديسنا لكى ينقذه من هذا المأزق .. وبينما هو يفكر وجد أمامه عربة جيش صغيرة (جيب) وبسرعة نزل سائقها وربط سيارته وجذبها وأخرجها من الرمال ، حدث هذا الأمر بسرعة عجيبة دون أن يسأله شيئاً ، والتفت إليه ليشكر سائق الجيب على هذه المعونة ، ولكنه لم يجده بل ولم يجد أى أثر لعربته الجيب ... لقد إختفى فجأة كما ظهر؟!!

أخذته الحيرة وأخذ يفكر فيما حدث وكيف!! من أين جاء هذا الرجل ؟ وكيف أنقذه وأعانه ؟ إنه فى ذهول شديد ولكنه أدرك أنه بلا شك شفيعه القديس العظيم الأنبا بيشوى الذى مد له يده غير المنظورة فى الوقت المناسب .

٣٣- يشفى من شلل الأطفال

حضر أحد المؤمنين إلى الدير فى فترة الصوم الأربعينى المقدس عام ١٩٧٩م وبعد أن تبارك من الجسد الطاهر أخذ زجاجة زيت مصلى بركة من الدير ثم عاد إلى منزله والفرح والسلام يملآن قلبه .

وذات يوم زاره أحد أقاربه وكان يشكو له من سوء حالة ابنه المصاب بشلل الأطفال والذى لم يبلغ من عمره سنتين .. لقد ذهب والده إلى أطباء كثيرين ولكن دون جدوى إذ قالوا له : إن شفاء ابنك من هذا المرض لا يتم إلا بمعجزة من السماء ، لأن الطفل له فى هذا المرض أكثر من ثلاثة أيام .. (ومعلوم طبيياً أنه يمكن علاج المرض

إذا اكتشف خلال أربعة وعشرين ساعة فقط) ... أما قريه فبكل الرجاء والإيمان ابتسم قائلاً: أنا عندى العلاج.. ثم أخرج له زجاجة الزيت المصلى وقال له بلغة الأطباء: ما عليك إلا أن تدهن رجله بهذا الزيت بعلامة الصليب المقدس مرتين فى اليوم صباحاً ومساءً، وسوف ترى بركة الأنبا بيشوى .

وعلى الفور أخذ منه الزجاجة وشكره على هذا «الدواء» العجيب وذهب إلى قريته . وبمجرد أن وصل ووقع نظره على ابنه المريض أخرج زجاجة الزيت وقال للطفل: أنا جيت لك الدواء... وما أن دهن رجله بالزيت المصلى إذ بالطفل يحرك رجله فى الحال ويتم له الشفاء... وكم كانت دهشة الجميع ووقع هذه المفاجأة عليهم التى عقدت ألسنتهم، فأخذوا يكون من شدة الفرح ويسبحون ويمجدون الله وقديسه العظيم «لأن الغير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله» (لوقا ١٨ : ٢٧).

٣٤- يرزقان بطفلين بعد زواج دام ١٤ سنة

أثناء الزيارات المتكررة لدير القديس الأنبا بيشوى بوادى النظرون ومن ضمن الزائرين شاهدنا أربعة زائرين من الصعيد من بلد بجوار الأقصر. منهم رجلان وسيدتان . وكان الرجلان اخوين والسيدتان أختين .

وكانوا يصلون بحرقة شديدة ودموع أمام جسد القديس العظيم الأنبا بيشوى . ولما شاهدهم الأب الراهب المسئول عن الزوار، وسألهم عن سبب بكائهم، أجابوه بأنهم متزوجون منذ أربع عشرة سنة، ولم ينجبوا نسلًا وأخبروه بأنهم ذهبوا إلى أماكن متعددة، وزاروا أماكن مقدسة، بالإضافة إلى أنهم ذهبوا إلى أطباء كثيرين، لأجل غرض الانجاب . ولكنهم لم يستفيدوا شيئاً .

ولما سمعوا عن معجزات القديس الأنبا بيشوى بديره فى وادى النظرون، حضروا ليتشفعوا به حتى يرزقهم الله نسلًا .

وطلبوا من الأب الراهب المشرف على الزوار أن يصلى من أجلهم، ويضع أسماءهم على المذبح المقدس وتحت التابوت الذى به جسد القديس الأنبا بيشوى .

وبعدما استضافهم الدير وعمل معهم الواجب انصرفوا ، وبعد حوالى سنة عادوا إلى الدير مرة أخرى وهم فرحين ، قادمين من بلدهم المذكور، وتحمل كل سيدة طفلها في حضنها طالبة عماد ابنها بالدير العامر دير القديس الأنبا بيشوى ، الذى بشفاعته رزق الرب الطفلين للسيدتين وزوجيهما .

وبعد العماد قضى الجميع اليوم كله ، فى رحاب الدير ببرية شيهيت ، التى تشبعت بالناس القديسين ، ثم عادوا إلى بلدهم ، وهم فى نشوة روحية وسلام قلبى عميق .

٣٥- ظهور البابا بنيامين الثانى (٨٢)

كان أحد عمال الكهرباء واسمه (أ.أ.م) يشتغل فى توصيل أسلاك الكهرباء بكنيسة الأنبا بيشوى ، وذلك فى أحد أيام الصوم الأربعينى المقدس عام ١٩٧٩م . وعند الظهر غلبه النعاس فأراد أن يستريح ويغفو قليلاً . فأخذ يبحث عن مكان مريح هادئ فى الكنيسة ، وأخيراً وقع إختياره على ركن هادئ بالقرب من مقصورة البابا بنيامين الثانى البطريك (٨٢-١) حيث يدفن جسده هناك فى الخورس الثالث بالكنيسة .

كان على المقصورة ستر يستر جزءاً منها . فأخذه ولفه ووضعته تحت رأسه على هيئة وسادة ، وما كاد يستلقى بجسده المتعب ويضطجع حتى أبصر أمامه رجلاً ذا هيئة ووقار وجلال متوسط القامة يميل إلى القصر ، وجهه يضئ وتحيط رأسه هالة عظيمة من النور وله لحية طويلة بيضاء ، ويرتدى جلباباً أبيضاً .. تقدم منه وطلب أن ينهض من هذا المكان المقدس ولا ينام فى الكنيسة .. فاعتقد الأسطى أنه أحد رهبان الدير المباركين فأطاعه وترك المكان خصوصاً أنه لم يكن قد نام بعد .

وأخذ بعد ذلك يبحث له عن مكان آخر أهدأ فوقع إختياره على كنيسة الأنبا بنيامين ، فدخل إلى الهيكل ورقد ونام من شدة التعب والإرهاق طول اليوم . فظهر له نفس القديس مرة أخرى ولكن فى حلم هذه المرة وعرفه بنفسه أنه البابا بنيامين الثانى وخاطبه برفق ولين وقال له بابتسامة هادئة : أنا مش قلت لك ألا تنام فى الكنيسة ، هو أنا أتركك هناك فى الخورس الثالث بجوار مقصورتى أقوم الآن أراك تنام فى كنيستى ،

وفي هيكلي !!.. ثم أراه مكاناً فسيحاً مضيئاً وعليه صليب عظيم يفوق ضوءه ولمعانه ضوء الشمس ، وأخذه من يده في هذا الطريق وأخذ يكلمه عن قوة وفاعلية الصليب وأنه لا يستطيع أحد مهما كان جبروته ومكانته أن يقف أمامه أو يعترض سبيله .

وبينما هو في فرح بهذا المنظر وهذا الحديث إذ يستيقظ فجأة على صوت أحد العمال المشتغلين معه يناديه قائلاً : يا أسطى أنت نائم ولا إيه ..؟

فاستيقظ من نومه وهو يقول : مليش حظ دا أنا كنت مع واحد من أصفياء الله المختارين وكنت سعيداً ومبتهجاً جداً به .

٣٦- سُرقَ سيارته وبيعها

كان المهندس (ن.هـ.) يعمل في المركز المصرى للتصميمات . وسُرقت سيارته النصف نقل ماركة «هوندا» وهو يستعملها في نقل طعام العمال . حدث هذا يوم ١٩٧٩/٦/١٣ الساعة الثانية بعد الظهر. ولما لم يعثر على السيارة رجع إلى المركز وأبلغ الحادث لصاحب العمل ، فأخبره زميله أن يذهب إلى قسم الشرطة ويعمل محضر سرقة ضد السائق الذى لم يعرف مكانه حتى الساعة الحادية عشرة مساءً.. وصلى هذا الزميل وطلب من الأنبا بيشوى أن يتدخل في الأمر. وفي نفس الوقت وأثناء الصلاة وبينما المهندس في طريقه إلى قسم البوليس شاهد السيارة تسير في إتجاه مُضاد . فساروا ورائها بتاكسى ولحقوا بها وأمسكوا السائق وأرجعوا السيارة في نفس اليوم ببركة قديسنا العظيم الأنبا بيشوى .

٣٧- يشفى من مصوة بالكلى

أصيب الطالب (ز.هـ.ر) بكلية الهندسة جامعة عين شمس بمغص كلوى حاد وصار يصرخ ويتلوى من قسوة الألم.. فذهب قريب له ويدعى نجيب إلى دير الأنبا بيشوى وطلب من أحد الرهبان أن يصلى من أجله وأخذ معه زيت مصلى بركة من الدير. حدث ذلك يوم ١٩٧٩/٦/٣٠م ، وعندما رجع زاره في منزله ودهنه... وما هي

إلا نصف ساعة وزال الألم منه تماماً وطلب أن يتبول وعندئذ نزلت حصوة كبيرة .
لقد كان الأمر يستدعى إجراء عملية جراحية ، ولكن قديسنا العظيم الأنبا بيشوى
تدخل وقام باللازم .

٣٨- ينقذ من حادث طريق

بينما كان أحد الآباء الأساقفة في طريق العودة بعد زيارة الدير في يونيو ١٩٧٩م
إنكسر شكرمان السيارة فضغط على الفرامل فجأة ، ولكن بتدخل قديسنا العظيم الأنبا
بيشوى لم تنقلب السيارة ولم تصب بأى سوء بل وقفت على عجلتيها الخلفيتين ، أما
عجلتاها الأماميتان فالتجها إلى أعلى نحو السماء وكأنها تستنجد بمن يعيدها إلى حالتها
الأولى .

لقد كان كل من يعبر هذا الطريق ويشاهد هذا المشهد العجيب ويعرف سبب
هذا الخلل يندهش ويتعجب من محبة الله وعنايته بأولاده ويمجد الله ويسبحه بشفاعته
قديسنا العظيم .

٣٩- يكسب القضية

رُفعت قضية زور على زوج وزوجته من المؤمنين الأبرار الطاعنين في السن (وكان
أحد أولادهما راهب بأحد الأديرة القبطية) بدعوى أنهما يؤجران الشقة لأغراض
شريرة .

وكان القصد من ذلك وضع الأيدي على الشقة وإيجاد أى حجة لطرد سكانها
الآمنين . حدث ذلك بعد أن حضرت إحدى المؤمنات إلى دير القديس الأنبا بيشوى في
مايو ١٩٧٩م ، وبعد أن تباركت من جسد القديس العظيم تضرعت إليه بانسحاق
وتذلل أن يدافع عن هذين الزوجين البارين ، ثم كتبت ورقة باسميهما ووضعتها في
داخل مقصورة القديس

مرت الأيام وإذ بهذه المؤمنة تأتي إلى الدير وهي في فرح وسرور وتلجأ على الفور إلى القديس لتشكره على صنيعه ثم تقول للحاضرين « الأنبا بيشوى كسب القضية » .

٤٠- تلكس عاجل

حدث ما لم يخطر على بال لهذين الزوجين إذ كانا يجتازان تجربة صعبة أفلقت منامهما، فالزوج يعمل بالقاهرة وكيل إستيراد لمجموعة شركات أجنبية، وقد إستورد جهازاً طبياً ثمنه ثلاثون ألف دولار لحساب إحدى الهيئات العلمية بالاسكندرية، التي إكتشفت بعد تسلم الجهاز أنه لا يعمل.. وبعد عدة محاولات فاشلة لإصلاحه إنتقل الموضوع إلى النيابة التي وضعت أمام هذا الوكيل عدة إختيارات، إما إصلاح الجهاز، وإما رد ثمنه، وإما السجن . وحددت مهلة ثلاثة أيام لذلك .

وكانت هذه الخيارات صعبة ومؤلة فإصلاح الجهاز بالامكانيات المحلية غير ممكن كما أن استقدام خبير أجنبى يكلف مبلغاً يقترب من ثمن الجهاز. ثم أن رد ثمن الجهاز غير متوفر... ويبقى الخيار الثالث وهو السجن ! ويتبع ذلك إغلاق المكتب وتشريد الأسرة من عائلها .

كانا يرفعان - الرجل وزوجته - الصلاة القلبية ليتدخل الرب ، وأثناء عودتهما من الاسكندرية سألوا عن الأديرة التي بالمنطقة ، فأرشدتهما أحد الأعراب إلى مزرعة دير الأنبا بيشوى التي تقع قبل الرست هاوس بعشرة كيلومترات للقادم من الاسكندرية... ودخلا المزرعة وتقابلا مع راهب طيب، وعرضا مشكلتهما التي وعدهما بالصلاة من أجلها وأعطاهما زيتاً للبركة من الدير، وإنصرفا في طريق عودتهما إلى مدينتهما القاهرة .

وهناك في القاهرة في صباح اليوم التالى فوجىء الزوج وهو في مكتبه بتلكس من الشركة المصنعة للجهاز المعطل تخبره بأن خبيراً من الشركة سيمر على القاهرة في طريقه من هونج كونج إلى المانيا لمدة ٢٤ ساعة، ويمكنه الاستعانة بخبرته في أى أمر... وفعلاً تقابل مع الخبير الذى أمكنه إصلاح الجهاز خلال ساعة واحدة دون أية تكلفة... وهكذا إنحلت المشكلة بصورة إعجازية ببركة الأنبا بيشوى .

٤١ - القديس يوحنا الزبدي

في أثناء قيام الأب الراهب المسئول عن الزيارات والرحلات بالدير بالشرح لإحدى الرحلات في الكنيسة في يوم ٨٨/٩/١٦ طلب منه بعض أفراد الرحلة أن يخبرهم عن بعض معجزات للقديس . ولكن سيدة بدينة تجاوز عمرها السبعين عاماً طلبت الكلمة لتقص قصتها وما حدث معها :

أعلنت الكنيسة منذ عام عن رحلة للأديرة . وكان بودى الاشتراك فيها إذ لم أزرها من قبل ولكن المرض الذى أقعدنى عن الحركة منعنى . ولكننى طلبت من كاهن الكنيسة أن أذهب معهم ولا أنزل من الأتوبيس .. فقط أريد مشاهدة الدير ولومن الخارج ، وهو - أى الكاهن - يرسل لى أخت خادمة تساعدنى على النزول من سكرنى وركوب الأتوبيس .

وجاء يوم الرحلة وركبت معهم ... وبعد ساعتين تقريباً وصلنا الدير الشامخ ونزل الكبار والصغار ماعداً أنا .. إذ بقيت بمفردى أتابع جمال الدير الخارجى .. ولكن مشاعرى تحركت فى أعماقى وأنا أشاهد من نوافذ الأتوبيس الذى أجلس فيه بمفردى أعداد الزائرين وتألمت وبدأت الدموع تنساب من عينى وأنا أعاتب صاحب الدير بصمت قائلة : بقى أنا أجيء لغاية هنا ، لحد بابك ومعرفش أدخل ؟! فسمعت صوتاً يهمس فى أذنى وكأن أحداً يحدثنى : هو أنت حاولتى تدخل ومعرفتيش ؟. ودون أن أشعر أجبت : دا أنا شبه عاجزة وماعرفش أتحرك بغير مساعدة من الناس ؟ فعاد الصوت يقول لها : طيب جربى وقومى واستندى على كراسى الاتوبيس .. !!

وفعلاً قمت ووجدت نفسى أستطيع الحركة والمشي داخل الاتوبيس ، ثم النزول منه دون مساعدة من أحد .. ودخلت الدير وكنت أشعر بخفة جسمى وكأننى فتاة فى العشرين من عمرها !! ووصلت إلى الكنيسة وتقابلت مع أعضاء رحلتى الذين دهشوا لحضورى معهم وكلهم يعلمون قصتى ، وعندما سألونى : من أحضرك هنا ؟! أجبت وقلت لهم : الأنبا بيشوى سلام الرب عليه .

٤٢ - القديس يشفى طفلة من عروق فطرية

أخبرنا السيد / أنيس خليل كبير الأخصائيين النفسانيين بوزارة الصحة ويسكن بجوار كنيسة السيدة العذراء بمسرة- شبرا القاهرة. أن ابنة ابنته واسمها إنجي كمال (١,٥ سنة) حدث لها حادث خطير يوم ١٢/٥/١٩٨٨م إذ سقطت (أثناء إنشغال والدتها ببعض الأمور المنزلية) في بانيو الحمام الممتلئ بمياه ساخنة... فأصابتها الحروق في أكثر من ٩٠% من جلدها الرقيق. وأمكن إسعافها ولكن حاول أكثر من عشرة أخصائيين في جراحات التجميل علاجها دون جدوى. بل وساءت حالتها بالأكثر.

وفي اليوم العاشر من الحادث أشارت إحدى جاراتها على والدتها بمسحها (دهنها) بالزيت البركة الذي أحضرته من دير القديس الأنبا بيشوى، وفعلاً دهنتها بالزيت بعلامة الصليب مع الصلاة... وفي الصباح قامت الأم من نومها بجوار ابنتها المصابة فوجدتها قد شفيت تماماً وعاد إلى الطفلة جمال جلدها الرقيق... وبعد أيام حضر الجميع إلى الدير مع عدد من الجيران ليمجدوا الله على ما صنعه معهم بشفاة هذا القديس العظيم.

٤٣ - جورج يقلع عن التدخين

في زيارته لدير الأنبا بيشوى يوم ٢٣/١٠/١٩٨٧ تشفع السيد جورج تامر خير (محاسب من روض الفرج- شبرا- القاهرة) وعمره ٣٥ عاماً بالقديس الأنبا بيشوى أمام الله لكي يقلع عن عادة التدخين الرديئة التي لازمته أكثر من ١٦ سنة...

واستجاب الله، وخرج من الدير وهو يميقت هذه العادة المدمرة... ومن يومها صار القديس صديقه الشخصي ويتردد على زيارته مرات كثيرة خاصة في مثل هذا اليوم من كل عام... وقد سجل لنا هذه المعجزة أثناء زيارته للدير في أكتوبر ١٩٨٩م.

٤٤- أين أنت يا أنبا بيشوى

حكى لنا القمص بولس الأنبا بيشوى أنه عندما كان راهباً حديثاً (فى أوائل الستينات) ذهب إلى الهوكارية ليحضر طلبات الدير على الحمار الخاص بالدير. وفى طريق عودته إلى الدير هبت عاصفة رملية هوجاء، فلم يستطع التعرف على الطريق لأنه لم يكن وقتذاك قد أنشئ الطريق الاسفلتى ولم تكن هناك مواصلات ميكانيكية متوفرة، فضل الطريق فى الصحراء، وغابت عليه الشمس وهو لا يعرف إلى أين يمضى أو فى أى اتجاه يسير، فاستنجد بالقديس الأنبا بيشوى معاتباً إياه: أين أنت يا أنبا بيشوى... وأخذ يبكى. وفيما هو يبكى أغمض عينيه ليجفف دموعهما ثم فتحهما فوجد نفسه أمام بوابة الدير وحاره بجانبه، فلم يصدق عينيه من الاندهاش والذهول، وأفاق على صوت أمين الدير المتنيح القمص غبريال وهو يناديه أين كنت يا أبونا بولس. لقد إنشغلنا عليك كثيراً، الحمد لله على سلامتك. وهكذا يدافع الأنبا بيشوى عن أولاده ويخف لنجدتهم سريعاً بل وفى لمح البصر. فليتمجد الله فى قديسيه.

٤٥- الحصوة تنزل طبيعياً بشفاعة القديس

طبيب من أحياء الدير بادرني بالقول : لم أكن أتوقع أننى سأحضر فى موعدى الشهرى (الأحد الثالث من شهر مارس ١٩٩٠م) لأننى كنت أعانى من آلام مبرحة بالكلية. وكنت سأتوجه اليوم للمستشفى لإجراء عملية جراحية لاستخراج الحصوة. وفى مساء أمس قلت مناجياً القديس : سامحنى يا أنبا بيشوى لعدم ذهابى غداً لدير كالمعتاد. وإذا بى أجد أن الحصوة قد نزلت طبيعياً فى دورة المياه، فحمدت الله وشكرت القديس وجئت اليوم كالمعتاد، فقلت له : الله لا ينسى تعبك وربنا يكافئك على خدماتك الطبية لنا. فقال لى : أنا مديون للقديس فى أمور كثيرة، حتى الضرائب الخاصة بعيادتى لم أكن أتوقع أنها ستكون بهذا الاعتدال. وهذا بشفاعة الأنبا بيشوى البار.

٤٦ - معجزة أخرى من الصعيد

سيدة من الصعيد كانت تعاني من آلام مبرحة بالكلية وتخاف من إجراء العملية وسمعت بمعجزات كثيرة بشفاعة الأنبا بيشوى ، فأرسلت خطاب لأخيها الراهب بدير الأنبا بيشوى ليذكرها على مذبح الأنبا بيشوى ، ثم أرسلت خطاب شكر للأنبا بيشوى وتقول فيه : إن الحصوة نزلت في يوم الأحد الثانى من شهر كيهك ١٧٠٦ ش (ديسمبر ١٩٨٩م) واتضح أن هذا التاريخ هو تاريخ ذكر إسمها أثناء القداس الإلهى على مذبح الأنبا بيشوى وليتمجد الله في قديسيه .

٤٧ - معجزة للطفل بيشوى من المعادى

كان الطفل بيشوى يلعب مع أخيه في أوائل مايو ١٩٩٠م ، بمنزله بالمعادى ولوح له أخوه (الأكبر منه قليلاً) بزجاجة حامض مركز . فقال له بيشوى : إضربنى بها فأنا لا أخاف . فضربه أخوه بماء النار في وجهه . فنقل إلى المستشفى في حالة خطيرة ، وتورم وجهه وكان يخشى على سلامة عينيه ، وكان إخوته يخافون من شكله المتورم والمتفحم ، وقرر الأطباء أنه قد يتحسن قليلاً بعد ستة شهور . ولكن بشفاعة القديس الأنبا بيشوى شفى بعد ستة أيام فقط وبدون أى أضرار للعينين ، وبدون أية آثار في الوجه ماعدا نتوء صغير غير ظاهر في حاجب العين اليسرى ، وعادت له بشاشته وطلعته الملائكية البريئة وفرحت أسرته ، وحضروا يوم الجمعة ١٩٩٠/٥/٢٥ إلى الدير ليشكروا القديس على بركة شفاعته في الطفل المسمى بإسمه . وقصوا لنا ما حدث وهم يمجدون الله .

٤٨ - نجبان طفلة أخرى بشفاعة القديس

زوجان لم ينجبا إلا طفلة واحدة فقط ، ثم أصيب الزوج في حادثة منعت الإنجاب حسب تقارير الأطباء ، وبعد أن زارا دير القديس الأنبا بيشوى وتشفعا به ،

رزقهما الله طفلة أخرى وعمداها في الدير بعد أن شعرا أن القديس يريد منهما أن يعمداها في الدير عند زيارتهما للدير لشكر القديس ، فدبر الدير ملابس العماد للطفلة ، وتعمدت بالدير تيمناً ببركة القديس وتشكراً لشفاعاته المقبولة لدى الله .

٤٩ - مائدة برون أضراس

كان الطبيب وزوجته قادمين من الاسكندرية إلى الدير ثم فوجئا بسيارة ضخمة مسرعة تقذف بسيارتهما بعيداً عن الطريق الصحراوي ، وكم كانت دهشتهما عندما وجدا أنهما سليمان تماماً وسيارتهما سليمة تماماً بدون أية خدوش . فأكملا رحلتهم إلى الدير ومجدا الله وشكرا القديس لبركته وشفاعته القوية التي نجتهم من موت محقق .

٥٠ - تسقى من سرطان بزيت الأنيابيشوى

في أبريل ١٩٩٠م زارت الدير سيدة متوسطة العمر مريضة بالسرطان في الصدر . وطلبت بكل مسكنة من الأب المسئول عن البوابة قطنة (قطن) مبللة بالزيت المصلى عليه . فأعطاها كيس بلاستيك به القطنة المبللة بالزيت ، وعندما رجعت إلى منزلها ، وضعتها على صدرها قبل النوم ، وعندما استيقظت وجدت أن الكيس البلاستيك مفتوح والقطنة التي بداخله مبللة بالدم ، فذهبت للطبيب المعالج الذي فحصها وطلب عمل أشعة أخرى وتحاليل أثبتت كلها المعجزة وأنها سليمة تماماً ولا يوجد بها أى أثر للسرطان ، وفرحت ومجدت الله .

الباب الثالث :
دير الأنبا بيشوى
في مرحلة
مآقبل التعمير المعاصر

الفصل الأول :

نشأة الرهينة بولوى النطرون

١- وادى النطرون :

كان وادى النطرون معروفاً منذ العصور الفرعونية وكان منطقة مقدسة منذ حوالى ألفى سنة قبل الميلاد، وبنى فيه الفراعنة المعابد الوثنية والمحميات العسكرية اللازمة لتأمين الحدود الغربية لمصر ولتأمين القوافل التى تمر من الواحات عبر وادى النطرون إلى الدلتا لبيع منتجات الواحات وخاصة من البلح، وكذلك إستخرج الفراعنة ملح النطرون الجيد من بحيرات وادى النطرون والذي لا نظير له فى الجودة وإستخدموه فى التحنيط وصناعات كثيرة مثل الزجاج والصبغة والكحل وبعض الكيماويات، وكان ينقل بالقوافل إلى ميناء الطرانة (Terenothis) الواقع على نهر النيل فرع رشيد مقابل وادى النطرون لنقله بالسفن إلى بلاد الوجه القبلى والوجه البحرى حيث منطقة بيعه أو إستخدامه أو لتصديره عبر الاسكندرية. كذلك إستخدموا نبات الحلفا النامى حول البحيرات فى صناعات كثيرة أهمها الحصر والسلال.

وإستمرت أهمية منطقة وادى النطرون الاستراتيجية والاقتصادية عبر العصور لذلك كانت الحكومات المتعاقبة تولى وادى النطرون إهتماماً خاصاً وخاصة لشئون الأمن والطرق والنطرون، وهو يقع فى الصحراء الغربية بين خطى طول ٣٠، ٣١ شمالاً.

وعن موقعه يقول الأمير عمر طوسون فى كتابه عن وادى النطرون (١٩٣٥م) «وهو واد مستطيل منخفض فى صحراء لوبية (الصحراء الغربية) يتجه من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى ويبلغ طوله ٦٠ ألف متر (٦٠ كيلومتر)، وطول البحيرات التى فيه ٣٠ ألف متر (٣٠ كيلومتر) ومتوسط عرضه بالأمتار ١٠ آلاف متر (١٠ كم) وأحط (أدنى) منسوب فيه - وهو بالطبع منسوب بحيراته - ٢٢ متراً تحت سطح البحر

٣ - الاسقيط (Scetis) وهى مشتقة من الكلمة اليونانية Σκητις أو Ἀσκητις أى مكان النسك أو النساك وهى التسمية اليونانية أو الهلينية المرادفة للتسمية القبطية «شيهيت» وقد يكون مصدرها قبطى من الكلمة القبطية ḲḲṯṯṯOC أو ḲḲṯṯṯHC التى تعنى منطقة جلد أو سير جلد أو إنسان زاهد أو ناسك أو ضعيف من النسك . (عن القاموس القبطى لإقلاديوس لبيب) .

ولذلك عندما يمتدحون الرهبان يقولون عنهم إنهم حقاً إسقيطيون أى نساك أو يشابهون نساك الاسقيط فى نسكهم ، لأن رهبان الاسقيط كان مشهوداً لهم بالنسك والتقوى فى العالم كله حتى ذاع إسم الاسقيط فى كل لغات العالم وكل بلاد العالم لشهرة آبائه ولقربه من الاسكندرية مركز الحضارة والاتصال بالعالم الخارجى آنذاك .

كما يسمى وادى النظرون أيضاً «الجبلى الملائكى وبرية النسك ويعرف أيضاً بـجبلى جرار» كما ذكر أبو المكارم عن الكنائس والأديرة .

٤ - وادى هبيب : على الرغم من أن المقرئ يرى يرجع هذه التسمية إلى أمير عربى مهاجر سكن فى هذه المنطقة فسميت بإسمه ، ولكن هذا التعليل غير مقبول منطقياً لأن وادى النظرون لم يكن مأهولاً بالسكان بل بالرهبان ، وحتى إذا سكن فيه أمير عربى غريب فكيف عرف ذلك وكيف ذاع بين الناس وما دليل ذلك ، وأين أقام فى وادى الرهبان ، فلا يعقل أن تسمى هذه المنطقة الشاسعة باسم شخص واحد مغترب سكن فيها مدة وجيزة من الزمن إن كان هذا قد حدث فعلاً .

ولذلك فالتعليل الأقرب إلى المنطق العلمى واللغوى السليم وإلى الواقع هو أن وادى هبيب كان ممتلئاً بالمغارات الخاصة بالعباد والرهبان والمتوحدين ولذلك سمي وادى المغاير الكثيرة : أو الوادى الممتلئ بالمغاير لأن كلمة «ها: ٢ح» القبطية تعنى كثير وḤBḤ تعنى مغارة أو سرداب فىكون معناها الوادى الكثير المغارات أو الوادى الذى يحوى مغارات كثيرة «والواقع العمل والتاريخ يثبتان ذلك إذ يحوى هذا الوادى المئات من المغارات التى كانت كلها مأهولة بالمتوحدين والعباد على مر التاريخ . والتى مازالت آثارها وأطلالها باقية إلى الآن تحكى قصة مجد تليد .

وعلى الرغم من أن التسمية «الاسقيط» و«شيهيت» تنطبقان فقط على منطقة

الأديرة الأربعة الحالية إلا أن التسمية «وادي النطرون» أو «وادي الملح» أو «وادي هبيب» قد ترد أحياناً في بعض المخطوطات متضمنة نتريا والقلالي (لوجود الملح والمغارات فيهما) وإن كان هذا خطأ جغرافياً.

والعرب الرحل يسمونه منطقة وادي النطرون بجبل الأديرة (جبل الديورة) أو وادي الرهبان لأنه كان ومازال عامراً بالأديرة والرهبان عبر السنين.

ج - نتريا والقلالي :

أما نتريا فهي منطقة سكن الرهبان بجوار جبل نتريا وهي على بعد حوالي ٤٠ ميلاً من الأسقيط . وهي تسمية يونانية لهذه المنطقة نسبة إلى ملح النثرون أو النطرون الذي كان يستخرج أيضاً من بحيرات قريبة منها ، تقع نتريا بين وادي النطرون وبحيرة ماريا (مربوط) إذ كانت نتريا ميناء يربط فرع النيل (فرع رشيد) وبحيرة ماريا (أو مربوط) لتسهيل نقل وتجارة ملح النطرون إلى الاسكندرية ومنها إلى اليونان فلذلك ذاعت تسميتها اليونانية .

أما التسمية القبطية لنتريا فهي «برنوج» وهي المسماء الآن «البرنوجي» على بعد حوالي ١٤ كم جنوب غرب دمنهور . والتي أسس فيها القديس آمون أول رهبنة قوية في هذه المنطقة . وعندما زار القديس أنطونيوس نتريا قادماً من القلزم ، أخبره القديس آمون (أمونيوس) أن العمران زحف على نتريا وبدأنا نفتقر إلى الهدوء خاصة أن عدد الرهبان قد زاد جداً بصلواتك ولذلك أفكر في الدخول إلى البرية لبناء قلالي وأديرة فما هي المسافة المناسبة . فقال له القديس أنطونيوس : دعنا نتناول طعام الافطار الساعة التاسعة أى الثالثة بعد الظهر حسب عادة الرهبان) وبعد ذلك نذهب لنحدد الموقع المطلوب . وبعد الافطار رحلا كلاهما إلى البرية (جنوب غرب نتريا) وقبل مغيب الشمس حددا المنطقة التي وصلها (على بعد حوالي ١٢ ميلاً من نتريا) لبناء قلالي منفردة للرهبان وصليا ورفعوا الصليب وباركا المكان الذي يمكن لأي راهب من نتريا أن يبنى قلايته فيه ، لأن أي راهب سيذهب إلى هذه المنطقة لابد أن يأكل أولاً (الساعة ٣ بعد الظهر في نتريا) حتى يستطيع المشي ، ثم يجب أن يصل إلى

القلالى قبل مغيب الشمس لثلا يفضل الطريق ، وهذه هى حكمة وإفراز آبائنا العظماء الأوائل . وهكذا أقاموا فيها حوالى ٦٠٠ قلالية أو دير صغير باقية أطلالها إلى الآن تشهد بعظمة الذين سكنوها زهاء سبعة قرون أو أكثر.

وتسمى منطقة «القلالى» بهذه التسمية المأخوذة من الكلمة اليونانية تاكيليا τα κελλία أى حجرة أو خزانة ومنها إشتقت كلمة «قلالية» الحالية والخاصة بسكنى الرهبان ، وتسمى منطقة القلالى باللاتينية سيليا Cellae أو Cellia وتعنى أيضاً حجرة أو خزانة ومنها كلمة Cell الانجليزية وتعنى خلية أو حيز محدود .

ولقد استخدمت كلمة كيليا كثيراً فى الأبوثنجماتا اليونانية (أقوال الآباء) ومنطقة القلالى تسمى بالقبطية niri لأن P١ القبطية تعنى حجرة أو قلالية وجمعها niri وهذه تسميتها فى المخطوطات القبطية .

كما تسمى أيضاً بين عامة الأقباط بالـ «مونا» أو الـ «مونى» لأن كلمة moni القبطية تعنى مرفأ أو مرسى (ومنها كلمة «ميناء» الحالية) ، حيث يحل الرهبان ويسكنون هناك ومنها كلمة موناستري Monastery الانجليزية بمعنى دير . وعندما زار روفينوس منطقة نترى والقلالى عام ٣٩٠م وجد بها حوالى خمسة آلاف راهب !!! عدا متوحدى منطقة القلالى .

د - ولقد كانت منطقة الاسقيط أو شيهيت بعيدة تماماً عن العمران السكانى ولذلك احتفظت بقوتها وثباتها وإستمرارها كمستعمرة رهبانية بعكس نترى أو البرنوجى التى كانت قريبة جداً من العمران وكان هذا أحد أسباب تدهور الحياة الرهبانية فيها بجانب دخول الأفكار الغريبة الهلينية والعقلانية (السفسطائية) إلى المجتمع الرهبانى بنترى وخاصة عن طريق الرحالة الغربيين مثل مارأوغريس ، وذلك لقربها من الاسكندرية منفذ مصر على الغرب . مما أدى إلى عدم إنسجامها مع الفكر الكنسى القبطى وبالتالى إندثرت الرهبة فيها حوالى القرن التاسع وأوائل العاشر على الرغم من أنها كانت بعيدة نسبياً عن هجمات البربر بعكس الاسقيط الذى كان عرضة لهجمات شرسة من البربر والأعراب منذ حوالى عام ٤٠٧م حيث أول هجوم للبربر على البرية والذى هاجر فيه الأنبا بيشوى إلى أنصنا والأنبا يحنس القصير إلى القلزم .

واستمرت الهجمات البربرية والبدوية على الأديرة بشراسة ووحشية، حتى أن الاسقيط تعرض على الأقل لخمس هجمات مدمرة من البربر عليه خلال الخمسة قرون الأولى لنشأته (من الرابع حتى التاسع) وكان في كل مرة يرسل الله يد المعونة لتعميره عمرانياً ورهبانياً. وهذه الهجمات البربرية المتكررة على الاسقيط حدثت لقربه من الطرق الصحراوية المؤدية من شمال أفريقيا (ليبيا والمغرب) عبر الواحات إلى وادي النطرون ثم إلى الدلتا وسيناء ثم إلى المشرق، إذ كان الاسقيط مركز تقاطع الطرق الصحراوية لقوافل الجمال. وما زالت هذه الطرق الصحراوية موجودة إلى الآن ويعرفها الاعراب، كما أنها استخدمت بواسطة قوافل الحجاج القادمين من شمال أفريقيا في طريقهم إلى الحجاز، ولذلك سمي هذا الطريق الصحراوى بدرب الحاج إلى اليوم، وكان الحجاج يتزودون بالطعام والماء والمؤن مجاناً من أديرة وادي النطرون نتيجة لروح المودة التي يتميز بها الرهبان الأقباط عامة ورهبان الاسقيط خاصة، والتي ماتزال موجودة حتى اليوم، إذ أن هذه الأديرة استمرت على مدى التاريخ تقدم الطعام والماء والعلاج والحضارة لكل من يفد إليها أو يسكن بقربها أو يمر بجوارها حتى وإن كانوا من البربر الذين كانوا يقتلون الرهبان. لأن هذه هي مبادئ المسيحية في أصالتها «أحبوا أعدائكم» (مت ٥ : ٤٤)، «إن جاع عدوك فاطعمه، وإن عطش فاسقه» (رو ١٢ : ٢٠).

ومن ناحية أخرى كانت هناك طرق صحراوية تربط المجتمعات الرهبانية بالاسقيط والجيزة والقلمون وطرا (كانت تسمى سابقاً تروجا) وأنصنا والقلم. فكان من يهاجر من الرهبان من الاسقيط يتجه عند الفجر جنوباً عبر الصحراء إلى دير نهيا وأبورواش غربى الجيزة ليصلها مساءً، ويبقى هناك ثم إما يتجه إلى أديرة الفيوم والقلمون جنوباً أيضاً عبر الصحراء، أو يصل إلى دير طموه ثم يعبر النيل (ويقال بأنه كان هناك نفق أرضى تحت النيل بين طموه وطرا أو المعادى) إلى دير طرا وشهران والمعادى (مثل دير القصير أو دير البغل) ثم يتجه جنوباً إن أراد إلى أنصنا أو إلى القلم (البحر الأحمر) في مسيرة تستغرق حوالى ثلاثة عشر يوماً من نتريا إلى القلم كتلك التي قطعها القديس أنطونيوس عندما زار نتريا حسبما ذكر القديس أنثاسيوس في كتابه عن حياة الأنبا أنطونيوس، أو كتلك الطريق (الدرب) الذي سلكته العائلة

المقدسة من الدلتا إلى وادى النطرون ثم من وادى النطرون إلى الفسطاط (مصر القديمة) وعندما هرب القديس أرسانيوس معلم أولاد الملوك أثناء غارة البربر الثانية عام ٤٣٠م على الاسقيط ذهب عبر الصحراء إلى دير طرا وسكن فيه حوالى عشر سنوات قبل نياحته هناك .

هـ- نشأة الرهبنة بوادى النطرون :

كانت فكرة الرهبنة المسيحية قد بدأت في مصر في منتصف القرن الثانى الميلادى حسب المعلومات التى أمكن معرفتها عن قصة خروج القديس فرنطونيوس وجماعته من الاسكندرية للسكنى فى نواحي نتريا التى أسس فيها القديس آمون بعد ذلك رهبنته الشهيرة حوالى عام ٣١٥م، مقتفياً آثار القديس أنطونيوس الذى يعد المؤسس الأول للرهبنة المسيحية المنظمة فى العالم كله منذ حوالى عام ٢٧٠ ميلادية . ومن نتريا انتقلت الرهبنة إلى كيليا أيضاً، ثم فى حوالى عام ٣٢٠م أسس القديس باخوميوس نظام الشركة الرهبانية الباخومية التى امتدحها القديس أنطونيوس كنظام واقعى وعملى يناسب أكثرية الرهبان، وهذا ما تحقق بالفعل إذ إنتشر النظام الباخومى فى جميع أرجاء صعيد مصر، ومنها إلى أوروبا (البندكت) ثم ما لبثت أن سارت معظم الأديرة القبطية بعد ذلك على النظام الباخومى باستثناء بعض المتوحدين الذين يسكنون داخل أو خارج الأديرة .

أما وادى النطرون فقد باركته العائلة المقدسة فى زيارتها لمصر عند مرورها عبر وادى النطرون هرباً من جنود هيرودس الذين تتبعوها إلى الدلتا لذلك هربت العائلة المقدسة من الدلتا إلى وادى النطرون فى طريقهم إلى الفسطاط . أو قد تكون زيارة العائلة المقدسة لوادى النطرون بقصد إلهى لتدشين المنطقة كلها لتتحول الصحراء المقفرة إلى فردوس على الأرض . فلقد بارك السيد المسيح له المجد فى رحلته هذه مع القديسة مريم العذراء والقديس يوسف النجار الأركان الأربعة لوادى النطرون وقال إنه فى هذا الجبل (جبل النطرون) ستكون أديرة وكنائس كثيرة وعامرة بالرهبان وبكل من يشاق إلى خدمة الرب ، وسيقطن فيه شعب يسرنى ويعمل مرضاتى ، وسيأتى أناس

من كل مكان ليتباركوا منه ولن أسمح لأى وحش بالسكنى فيه ، بل سيكون مكاناً مباركاً لقداستى إلى الأبد (عن كتاب الأنبا زخارياس أسقف سخا عن ميامر وعجائب السيدة العذراء مريم ، القاهرة ١٩٠٢ ص ٤٩) .

وتحقيقاً لرغبة ووعده وبركة السيد المسيح له المجد اجتذب الله من المنوفية القديس مكاريوس الكبير حوالى عام ٣٣٠م إلى الاسقيط ليؤسس أول جماعة رهبانية فى وادى النطرون ، وكان عمر القديس مكاريوس عندئذ حوالى ثلاثين عاماً ، ولقد تقابل مع القديس أنطونيوس عدة مرات عندما ذهب ليزوره لأول مرة حوالى عام ٣٤٣م واستشاره فى تأسيس النظم الرهبانية والحياة الرهبانية وليستمد منه الدفعة الروحية لتعزيمته ، وعندما زار القديس مكاريوس القديس أنطونيوس للمرة الثانية حوالى عام ٣٥٣م ألبسه القديس أنطونيوس الزى الرهبانى كالذى إستلمه من الملاك وسلمه العصا التى كان يستخدمها ، وطلب منه الإقامة فى وادى النطرون لتأسيس الحياة الرهبانية ، ولقد أتى إلى القديس مكاريوس كثيرون ممن أعجبوا بنسكه وروحانيته أو ممن شغفوا بتعاليمه أو سمعوا عن معجزاته وصاروا تلاميذه وسكنوا حوله كمتوحدين ، ولكن قريبين من بعضهم فيما يشبه المنجى Laura . وكانوا يجتمعون معاً من مساء السبت حتى صباح الأحد للتسابيح والاستفسارات الروحية والقداس الإلهى الذى تعقبه مائدة أغابى (محبة) ، وبهذا كان نظام القديس مكاريوس متوسطاً بين نظام القديس أنطونيوس التوحدى الصرف ، وحياة الشركة الباخومية ، وبينما رفض كل من أنطونيوس وباخوميوس قبول الكهنوت ، سيم القديس مكاريوس قساً حوالى عام ٣٤٠م . وقد تزايد عدد الرهبان فى الاسقيط يوماً بعد يوم ، وكان منهم الأسماء الشهيرة التى تدوى عبر التاريخ فى أرجاء المسكونة مثل القديس مكاريوس المصرى والقديس مكاريوس الاسكندرى (الذى كان يسكن غالباً بنتريا والقلالى) والقديس شيشوى والقديس بامو (أو بامفو أو بموا) والقديس بفتوتىوس الإسقيطى ، والقديس بيشوى والقديس يحنس القصير ، والقديس إسحق القس ، والأنبا بيمن ، وأبانوب ، والقديس أشعيا الاسقيطى ، والقديس موسى الأسود ، القديسين مكسيموس ودوماديوس ، والأنبا أرسانيوس ، والأنبا دانيال قمص شيهيت ، والقديس سلوانس ، والقديس إيسيدوروس قس الاسقيط ، والأنبا يحنس كاما ، وغيرهم كثيرون .

تأسيس الأديرة الأربعة بالأسقيط

وكان قد تأسست أربعة تجمعات رهبانية (أى أديرة صغيرة متناثرة أو سياق جمع سيق أى مستعمرة رهبانية Laura) فى حياة القديس مكاريوس الكبير إذ تشكلت تلقائياً وبدون قصد أو تخطيط لذلك، أولها هو دير البراموس (با «أو فا» القبطية = ينخص، روميؤس = الروميين). نسبة للقديسين الروميين مكسيموس ودوماديوس إبنى الملك فالنتينوس، إذ سكنا هناك حوالى عام ٣٨١م وحفرا لنفسيهما المغارة التى حدد لهما مكانها القديس مكاريوس نفسه، ثم بعد نياحتيهما حوالى عام ٣٨٣م أو ٣٨٤م كان القديس مكاريوس يصطحب ضيوفه لزيارة مقبرتهما على أنهما شهداء وأمرأء غرباء، وبنى كنيسة صغيرة على إسمهما تخليداً لذكراهما العطرة، ومن هنا إشتهر هذا المكان وسكن فيه كثيرون فى مغارات وقلالى متناثرة فى الصحراء، ولكن تحت إرشاد القديس مكاريوس نفسه والقديس إيسيدورس قس الأسقيط، وهكذا تكون دير أو سيق البراموس، وأطلاله مازالت موجودة بجوار دير سيدة البراموس الحالى. كما سكن كثيرون حول مغارة القديس مكاريوس التى حدد له الشاروبيم موقعها إذ تبعه إلى قمة الصخرة (مرتفع أو هضبة بسيطة) فوق الوادى إلى الجنوب من المستنقع، وقال له: ابتدء هـىء لنفسك مسكناً هنا وإبتنى كنيسة لأنه فى الحقيقة بعد مدة من الزمن سيأتى أناس كثيرون يستقرون فى هذا المكان.

وهكذا تجمع كثيرون من الرهبان حول القديس مكاريوس (الذى لم يكن يقصد مسبقاً تكوين جماعة أو سيق) حتى إنه عندما أتى إليه أحد الأثرياء بمال كثير ليوزعه على الرهبان فجمعهم القديس مكاريوس فكان عددهم ألفين وأربعمائة راهب وطلب منهم القديس مكاريوس أن يأخذ كل راهب ما شاء من المال، فرفضوا جميعاً أخذ أى شىء منه مما حدا بالقديس أن يشكر الله.

أما دير القديس يحنس القصير (حيث غرس شجرة الطاعة) ودير القديس الأنبا بيشوى، فلقد تأسسا فى حياة القديس مكاريوس الكبير عندما كان شيخاً على ما يذكر سراييون حوالى عام ٣٨٠م - ٣٨٥م، والملاك نفسه هو الذى حدد موقعهما لكل من

القديسين بعد نياحة أبيهما القديس بموا . وهكذا أصبح بالاسقيط أربع تجمعات رهبانية كل منهما يحتوى على كنيسة وبئر ومجموعة مغارات أو قلالي محيطة بهما ، ويخضع رهبان كل تجمع (سيق) لأب مرشد محنك من الشخصيات الروحية العملاقة ، ولم تكن للأديرة أسوار حينئذ لأن الأسوار انشئت لأديرة الاسقيط خلال القرن التاسع فقط وليس قبله ، وإن كانت أديرة القديس باخوميوس قد نشأت منذ بدايتها داخل الأسوار أما أديرة كل من الصحراء الشرقية والصحراء الغربية فلم تكن لها أسوار قبل القرن التاسع لإتساع المنطقة المقامة عليها القلالي ، ولكن بدأ بها بناء الحصون منذ القرن الخامس الميلادى لصد هجمات البربر .

وفي المخطوطة المنسوبة للقديس يحنس القصير عن قصة حياة الأنبا بيشوى ورد قوله [وهكذا يا أحباي فهذه الأربعة أديرة (السابق ذكرها) هى النجوم التى تتلأأ على جبل شيهيت المقدس مثل الجواهر والأحجار الكريمة فى مكان مظلم ، إنها تشبه الأناجيل المقدسة الأربعة التى تشع على العالم كله] .

وكان دير القديس يحنس القصير أكبر الأديرة الأربعة وأكثرها إتساعاً وظل عامراً كدير عظيم حتى القرن الخامس عشر حيث سقط جالون الكنيسة الخشبي لتعرضه للحشرات (النمل الأبيض) فهجره الرهبان إلى أديرة أخرى ، ولكن ظل بعضهم مقيماً فيه لعدة قرون بعد ذلك حتى حوالى القرن السابع عشر أو الثامن عشر وظلت شجرة الطاعة بالدير بعد هذا - كما فى الصورة ص ٣٦ حتى قطعها أحد الاعراب .



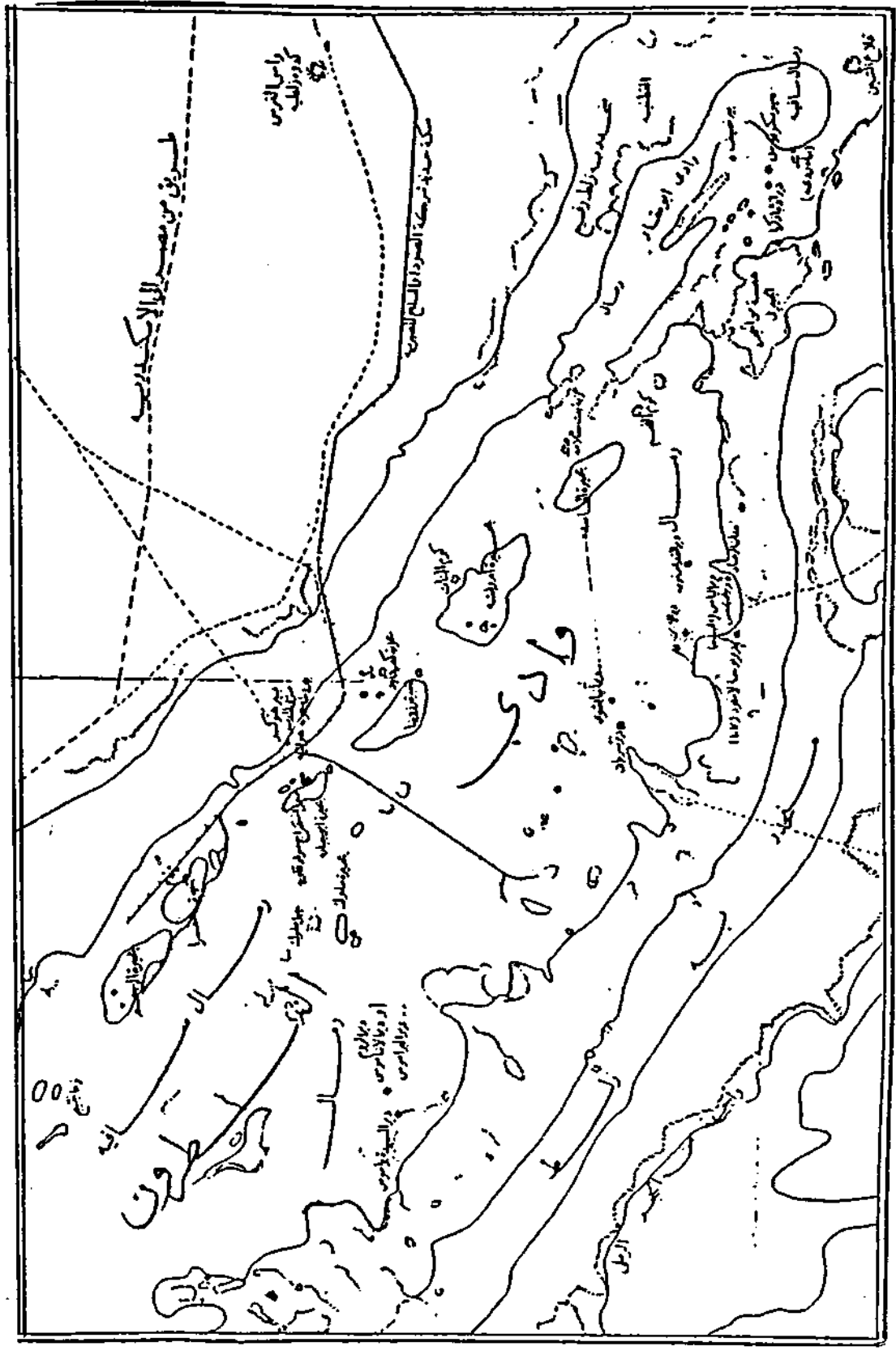
حدود الديورة والرهباة فى وادى النطرون

+ عندما زار روفينوس Rufin برية شيهيت عام ٣٧٢م وجد بها حوالى خمسين ديراً كبيراً عدا مئات المنشوبيات والمغارات ، إذ ذكر فانسليب بعد ذلك (فى كتابه عن تاريخ كنيسة الاسكندرية) انه زار الاسقيط عام ١٦٧٢م) وكان يوجد به ثلاثمائة منشوبية أو دير صغير.

+ وذكر المقرئزى فى كتابه الخطط (ج ٢ ص ٥٠٨) أنه كان بوادى النطرون مائة دير كبير للنصارى وبقي به (فى عهده فى القرن الخامس عشر الميلادى) سبعة ديورة (أديرة) كما ذكر أيضاً أنه : « خرج من وادى النطرون سبعون ألف راهب شيخ بعكايزهم لإستقبال عمرو بن العاص عند مرجعه من الاسكندرية (متوجهاً للفسطاط) فقابلوه فى ميناء الطرانة (تيرينيتوس، على فرع رشيد مقابل وادى النطرون) يطلبون أمانة (وثيقة أمان) لهم على أنفسهم وعلى أديارهم (أديرتهم) فكتب لهم بذلك أماناً بقى عندهم (فى دير القديس مقاريوس) وكتب لهم أيضاً بجراية الوجه البحرى (أى باستمرار صرف خراج الوجه البحرى ، وهو ما تحصله الحكومة من ضرائب عقارية من الأهالى على صورة منتجات زراعية) فاستمرت بأيديهم (كما كانت منذ أن أمر بها لهم الامبراطور ثيودوسيوس الكبير أوزينون) وأن جرايتهم جاءت فى سنة (من السنوات) زيادة على خمسة آلاف أردب (قمح) وهى الآن (فى عهد المقرئزى القرن ١٥) لا تبلغ مائة أردب » .

+ وذكر جيروم (ايرونيموس) أن الأنبا ايسيدورس قس الاسقيط (القرن الرابع) كان رئيساً على ألف راهب كلهم حبساء ، ولم يكن أحد منهم يخرج من الدير البتة إلى يوم وفاته ، ما عدا إثنين كانا يخرجان لبيع شغل أيديهم ، وشراء ما يحتاجونه .

+ وفى القرن الرابع أيضاً عندما عاد القديس مكاريوس الكبير والقديس مكاريوس الاسكندرى من النفى (الذى أمر به لوكيوس البطريك الأريوسى ، والذى أقامه الامبراطور فالنس الأريوسى خلفاً للبابا أثناسيوس ، ومتجاهلاً خليفته البابا بطرس الثانى البطريك الأرثوذكسى) بعد أن سمح بعودتهما تحت الضغط الشعبى ، خرج



(عن كتاب وادي النطرون للأستاذ محمد طوسون ١٩٣٥)

لاستقبالهما من رهبان الاسقيط (بواى النطرون) حوالى خمسين ألف راهب من شيوخ الرهبان بعكايزهم وكان من بينهم الأنبا بيشوى والأنبا يحنس القصير، وكان ذلك فى يوم ١٣ برمهاث الموافق ٩ مارس (حينئذ) عام ٣٧٧م (السنكسار).

+ وفى القرن السابع عندما رجع الأنبا بنيامين الأول من منفاه وحضر ليدشن كنيسة بدير القديس مكاريوس خرج الرهبان لاستقباله طغمات طغمات، وبأيديهم الشموع والصلبان وسعف النخيل، فاهتز الجبل كله من كثرتهم.

+ وفى القرن التاسع كان القديس يحنس كاما (تنيح عام ٨٥٩م) رئيساً على ثلاثمائة راهب على الرغم من صغر ديره، وورد فى كتاب تاريخ البطاركة (ص ٦٥٢): «أن عهد البابا يوساب الأول (٨٣٠ - ٨٤٩م) إنقضى بسلام تام وكانت الأديرة تتسع ويحل فيها العمران وفى مقدمتها أديرة وادى هبيب التى كانت مثل فردوس الله». وهذا على الرغم من غارات البربر الشرسة على أديرة الاسقيط.

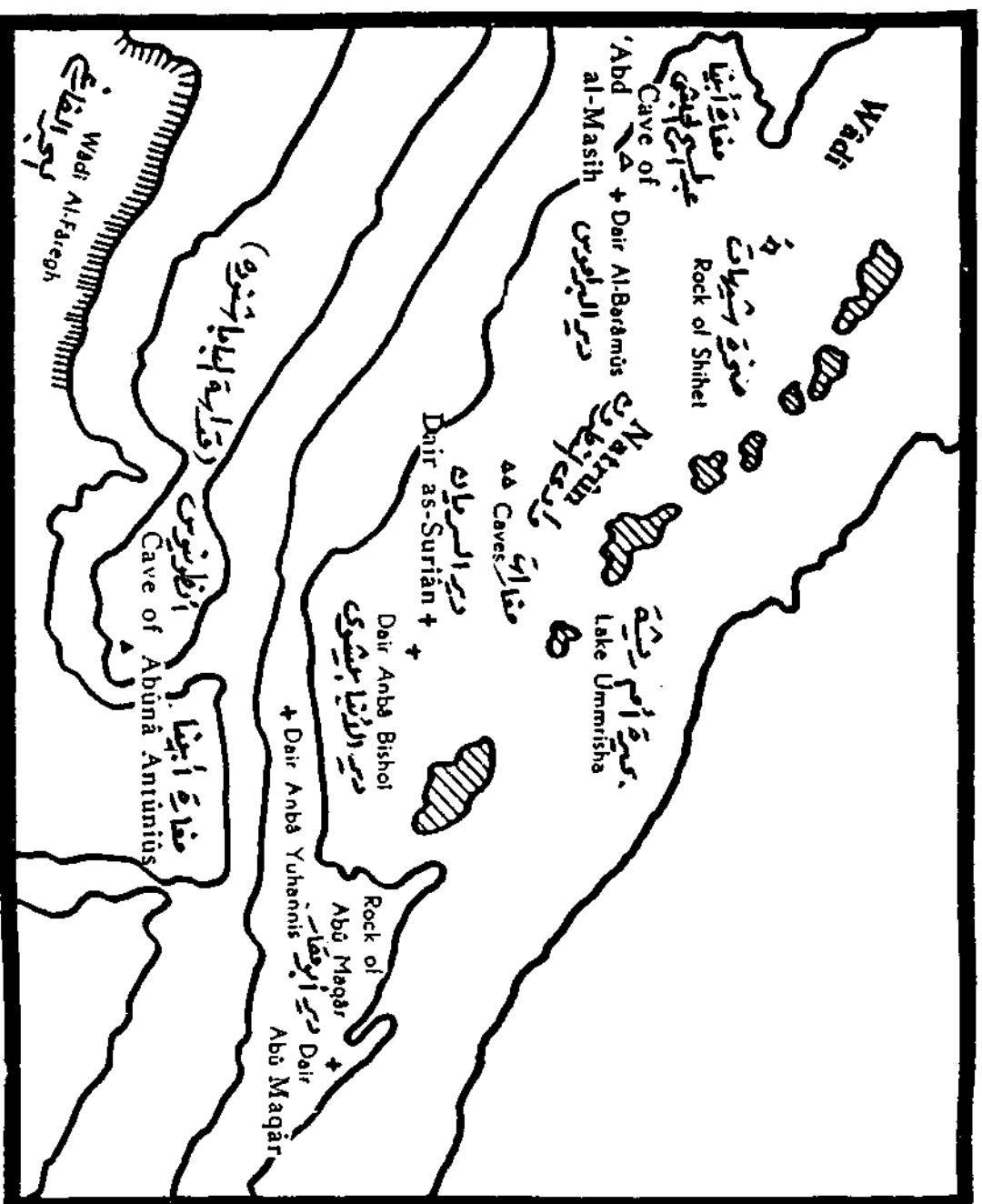
+ وفى القرن العاشر ذكر شينو فى كتابه قديسو مصر الجزء الثانى ص ٢١٥ أن عدد أديرة الاسقيط (وادي النطرون) التى كانت عامرة حينئذ (قبل منتصف القرن ١٠) كان سبعة وثلاثون ديراً.

ولقد استطاع الأمير عمر طوسون عند زيارته لوادى النطرون عام ١٩٣٠، ١٩٣١م أن يتعرف على أطلال ثلاثين ديراً من هذه الأديرة السبعة والثلاثين (عدا الأديرة الأربعة العامرة) منها:

١ - أطلال عشرة أديرة متجاورة فى منطقة دير القديس مكاريوس منها دير الأنبا زكريا (من القرن الرابع)، الذى تربى وهو طفل فى البرية بالاسقيط وكان البابا إيساك الواحد والأربعون (٦٨٦ - ٦٨٩م) راهباً بهذا الدير.

٢ - أطلال أربعة عشر ديراً فى منطقة أبوحنس (حول دير القديس يحنس القصير) غربى دير القديس مكاريوس على بعد ٨ - ١٠ كم منه (إنظر إلى الخريطة التى توضح موقع هذه الأديرة) ومن بين هذه الأديرة:

دير القديس يحنس القصير وهو أكبر أديرة وادى النطرون مساحة (١٦٠٠٠ متر مربع)، دير الأرمن شمال غربى منه، دير مار إيلياس الخاص بالأحباش وبجانبه أطلال دير آخر. وهما بالقرب من دير الأنبا يحنس القصير، دير القديس نوب (أبانوب) وهو شمال شرق هذين الديرين وعلى مسافة قريبة منهما، ودير القديس



أودية ومغارات وادي النطرون ، وتظهر فيها مواقع مغارة قداسة البابا شنودة
(عن كتابه الأودية الصحيرية لشرق مصر ١٩٦١)

يحنس كما (من القرن ٩) وهو غربى دير القديس يحنس القصير، كما توجد الجبانة العامة للرهبان شرقى هذه المجموعة من الأديرة ومساحتها حوالى فدانين، وتقع هذه الأطلال على بعد حوالى ٣- ٤ كم جنوب شرق دير القديس الأنبا بيشوى .

كما كان يوجد دير يسمى دير ثيؤطوكوس أبوحنس أو دير سيدة أبوحنس (وهو أطلال الآن) وكذلك دير سيدة البراموس وهو ما يسمى حالياً بدير البراموس (وهذا خطأ لأن دير البراموس الأصيل أصبح الآن أطلالاً بجوار الدير الحالى وهو سيدة البراموس). كما أن دير السريان هو دير ثيؤطوكوس الأنبا بيشوى .

وأديرة الثيؤطوكوس هذه أنشئت بعد مجمع خلقيدونية (٤٥١م) لتثبيت عقيدة الثيؤطوكوس أى أن العذراء هى والدة الإله (أى ثيؤطوكوس باليونانية) رداً على هرطقة نسطور.

+ وكتاب عمل الميرون المقدس أيام البابا بنيامين الثانى ٨٢ عام ١٣٣٠م يعطى صورة واضحة عن الأديرة العامرة فى الاسقيط حينئذ وعددهم ثمانية فيذكر أن البابا ومعه بعض الأساقفة ركبوا من دير أبى مقار إلى دير أبى يحنس القصير يوم الاثنين أو الجمعة (الأسبوع) الخامسة من الصوم المقدس وتباركوا من الآثار المقدسة والجسد الطاهر الذى للقديس أنبا يحنس الايغومانوس (القمص) ويوم الثلاثاء ذهب الراكب لزيارة دير القديس الأنبا بيشوى وتباركوا من الآثار الشريفة ومن أجساد القديسين الأنبا بيشوى والأنبا بولا الطماوى (الطموهى) وفى يوم الأربعاء زاروا دير أبائنا الروم المعروف بالبراموس وتباركوا من الآثار الشريفة ومن الجسد الطاهر الذى لأبينا القديس أنبا موسى الأسود . ولما كان باكر النهار قصدوا دير السيدة (سيدة البراموس) مشياً على الأقدام (لقربه من دير البراموس) ، وباكر يوم الجمعة توجهوا إلى دير السريان وفى سحر (فجر) السبت ذهبوا إلى دير أبو يحنس كما ، وفى يوم الأحد وقت الغروب ذهبوا إلى قلالية بهوت بسؤال (بدعوة) من الحبش ، ثم رأى القلالى (التى حول الدير) من ظاهرها وعاد إلى دير أبو يحنس ، وفى سحر يوم السبت ذهبوا ثانية إلى دير الأنبا بيشوى لترميم جمالون الكنيسة فرممه فى جملة أيام ثم عاد إلى دير أبى يحنس ، وفى يوم الخميس من الجمعة السابعة عاد إلى دير أبى مقار لعمل الميرون وبعدها عاد إلى مصر (أى إلى المعلقة بالقاهرة) .

+ وفي خبر عمل الميرون المقدس أيام البابا غبريال السادس والثمانين عام ١٣٨٤م إنه بعد الإنتهاء من عمل الميرون بدأ البابا يوم الثلاثاء (ثالث يوم عيد القيامة المجيد) زيارة أديرة الاسقيط الأخرى في ٩ برمودة ١٠٩٠ش، فركب البابا والاساقفة ومن معهم إلى دير أبى يحنس فتلقيه رهبان الدير ومعهم رهبان دير الحبش ورهبان الأرمن فدخلوا الدير وصلى البابا صلاة الساعة التاسعة، ويوم الأربعاء زاروا أديرة أبانوب والحبش والأرمن، وركبوا إلى دير أنبا بشيه (بيشوى) وصلى فيه البابا الساعة السادسة ثم ركبوا إلى البراموس وصلى التاسعة، ثم ذهبوا إلى دير سيدة البراموس وصلى الغروب، وفي يوم الخميس بعد فراغ الكنيسة (القداس) زاروا دير السريان بحضور رهبان دير الأنبا بيشوى وصلى السادسة، وبعد ذلك جاء إلى دير أبى كاما فاستقبله رهبان الدير ومعهم الحبش والأرمن وصلى التاسعة ثم رجعوا إلى أبى مقار ثم إلى المعلقة بمصر.

وهنا نتعرف على ديرالأرمن ودير أبانوب إذ لم يُذكر في زيارة البابا بنيامين للمنطقة عام ١٣٣٠م.

وفي القرن الخامس عشر أضاف المقريزى على هذه الأديرة ذكر دير سيدة يحنس القصير، ثم بدأت مباني هذه الأديرة في الانهيار في حوالى القرن الخامس عشر ولم تكن ترمم، ولذلك خربت بعد ذلك وانتقل رهبانها للأديرة المجاورة التى مازالت عامرة للآن.

ومن الجدير بالملاحظة وجود أديرة في وادى النطرون لأجناس غربية غير المصريين مثل دير الأروام (البراموس) ودير الأرمن ودير السريان ودير الحبش، وهذا دليل على أهمية وادى النطرون وشهرته التى طبقت الآفاق فجاءوا من جميع أنحاء المسكونة يتلمذون على أيدي عمالقة الرهبنة الأقباط في الاسقيط بمصر.

ولقد تخرب عدد كبير من هذه الأديرة التى كانت يوماً ما مائة دير كبير وحوالى ٣٦٠ دير صغير أو منشوبية، ولكن بقيت كثير من أطلالها ولم يتبق الآن بالاسقيط إلا أربعة أديرة فقط عامرة قال عنها المؤرخ بول شينو في كتابه «قديسو مصر» ص ١٧٧ بعد أن زار الأسقيط عام ١٦٧٢م «ومازال قائماً حتى عصرنا هذا في صحراء الاسقيط الأثرية أربعة أديرة قديمة (عامرة) فقط، تشهد على الأعجاد السالفة كبقايا لماض خالد، لا يستطيع المنطق البشرى كله مجتمعاً أن يوفيه حقه في تمجيد عظمتة وجلاله».

الفصل الثاني :

تاريخ دير الأنبا بيشوى

١- تأسيس الدير :

عندما تنيح الأنبا ببا (بامو) عام ٣٧٤م انفصل الأنبا بيشوى عن زميله الأنبا يحنس القصير حسب أمر الملك الذى أشار على الأنبا يحنس القصير أن يظل ساكناً فى الموضع الذى غرس فيه شجرة الطاعة . كما أشار الملك على الأنبا بيشوى أن يسكن على بعد ميلين من جهة الغرب . لأنه سيكون أباً لكثيرين من الرهبان الذين يتجمعون حوله . ولقد أطاع القديس الأنبا بيشوى وسكن فى مغارة على صخرة ، غالباً ما تكون هى مغارته الحالية الكائنة بدير السريان ، ولقد ظل بهذه المغارة مدة ثلاث سنوات لا يرى فيها وجه إنسان ، حتى ذاع صيته وتكرر ظهور الرب له ، وإشتهرت روحانيته ومعجزاته ، فأتى إليه كثيرون ليستمتعوا بكلامه الروحاني وإرشاداته وتعاليمه الحلوة والتفوا حوله كالنحل حول الشهد (كما ورد فى المخطوطة) وحدثهم عن الحياة الرهبانية وجعلهم جنوداً مطيعين للملك المسيح ، وألبسهم الاسكيم الرهباني فسكنوا حوله وعلمهم مخافة الله ، وبنى لهم كنيسة هى الكنيسة الرابعة فى الاسقيط ، فإذا كان القديس قد سكن فى المغارة عام ٣٧٤م وظل بها ثلاث سنوات فيكون خرج منها عام ٣٧٧ ويكون تأسيس الكنيسة بعد ذلك بسنوات قليلة ريثما تجمع حوله طالبوا الرهبنة . وحسب اعتقاد بطر ووايت (المؤرخان) لا بد أن تكون قد تأسست الكنيسة حوالى عام ٣٨٤م أى قبل عام ٣٨٥م تاريخ زيارة يوحنا كاسيان لبرية شيهيت ، إذ ذكر كاسيان أنه شاهد أثناء زيارته للاسقيط عام ٣٨٥م أربع كنائس للتجمعات الرهبانية الأربعة ، ولكل تجمع مدبر (ايغومانوس) ولا بد أيضاً أن يكون تأسيس دير

الأنبا بيشوى قد تم قبل نياحة القديس مكاريوس عام ٣٩٠م لأنه ورد في سيرة القديس مكاريوس (لسراييون) أنه فرح في شيخوخته لما شاهد الأديرة الأربعة عامرة إذ « كان كثيرون يترهبون عنده (القديس مكاريوس) رسم لهم بهذه المساكن (الأديرة) وجعلها تسمى بأسمائهم . فبعضها كان يسمى دير الأب يحنس (القصير) وداخل منه (أى إلى الداخل في الصحراء) دير أنبا بشيه (بيشوى) ، وعاش الأب مقاره (مكاريوس) حتى أبصر أربعة أديرة عامرة .

ولقد عثر الرحالة كيرزون Curzon على مخطوطة تؤكد أن تأسيس دير الأنبا بيشوى كان في القرن الرابع (دليل المتحف القبطى ج ٢ ص ٨٩) . ولقد ورد في مخطوطة سيرة الأنبا بيشوى المنسوبة للقديس يحنس القصير أن السيد المسيح في إحدى ظهوراته للأنبا بيشوى وعده أن الرهبان بديره وتحت إرشاده سيكونون كأبراج الحمام في كثرتهم .

ولقد تأسس دير الأنبا بيشوى وأيضاً دير سيدة الأنبا بيشوى (السرمان) على صخرة مرتفعة نسبياً عن باقى الوادى ، ولكنها تقل في منسوبها حوالى خمسة أمتار عن منسوب سطح البحر عند الاسكندرية (إيفيلين وايت ج ٣ ص ١٧٣) والسبب في إختيار صخرة مرتفعة لإنشاء الدير هو حماية مبانيه (التي كان أغلبها من الطوب اللبن أو من الحجارة والطفلة) من تأثير المياه الجوفية ، والتي بدأت تظهر مشكلاتها وتأثيراتها الضارة على المباني والحوائط بعد إرتفاع منسوبها بسبب كثرة مياه الرى والصرف بالوادى .

وصار دير الأنبا بيشوى ديراً عظيماً على مر العصور، ولقد أكد هذه الحقيقة المؤرخون والرحالة من عرب وأجانب كما سنرى . ولقد شهد المقرئى (على سبيل المثال) في القرن الخامس عشر بعظمة دير الأنبا بيشوى (في كتابه الخطط) ، قائلاً : « دير بوشاى (الأنبا بيشوى) وهو دير عظيم عندهم (الأقباط) من أجل أن بوشاى (الأنبا بيشوى) هذا من الرهبان الذين في طبقة (عظمة) مكاريوس ويحنس القصير، وهو دير كبير جداً» .

٢- الغارات البربرية على الاسقيط :

لقد تعرضت الأديرة بالأسقيط إلى غارات بربرية شرسة قام بها البربر الذين ينحدر أكثرهم من قبائل المازيك الرحّل القادمين من ليبيا وشمال أفريقيا عن طريق الطرق الصحراوية التجارية التي تربط شمال أفريقيا والواحات بالدلتا عن طريق وادي النظرون .

ولقد حدثت الغارة الأولى للبربر على الأسقيط حوالى عام ٤٠٧م حيث هرب القديسان العظيمان الأنبا بيشوى إلى أنصنا (أنتينوى) والأنبا يحنس القصير إلى كليزما (القلزم على البحر الأحمر) بالقرب من جبل القديس أنطونيوس وفيها أيضاً قتل البربر سبعة رهبان منهم القديس موسى الأسود .

وتعرض الاسقيط لغارة ثانية من البربر حوالى عام ٤٣٤م هرب أثناءها القديس أرسانيوس إلى طرا (بجوار حلوان) .

أما الغارة الثالثة للبربر على الاسقيط فقد حدثت حوالى عام ٤٤٤م والتي قتل فيها البربر شيوخ شيهيت التسعة والأربعين وكان حاضراً معهم الفتى زويوس ابن رسول الامبراطور ثيودوسيوس فشهد الملائكة تضع الأكاليل للشهداء فأسرع هو أيضاً للاستشهاد مع أبيه . وعند رجوع البربر غسلوا ثيابهم وسيوفهم في البئر التي بدير القديس الأنبا بيشوى . إذ كانت في طريق عودتهم فتباركت مياها بدماء الشهداء القديسين إلى اليوم .

+ ولم تعرف الآثار المادية الناجمة عن هجمات البربر الثلاثة على أديرة الاسقيط ، ولا مدى التخريب الذى تعرضت له بعد ذلك على يد الفرس أيضاً الذين إحتلوا مصر من عام ٦١٤ - ٦٢٨م وخربوا الأديرة والكنائس بالبرارى وبالوادي أيضاً .

ولكن فى الغارة الرابعة على الأسقيط والتي حدثت (حسبما روى المقرئزى) أيام البطريك الأنبا أندرونيكوس ٦١٦ - ٦٢٣م) وإستمرت حوالى خمسين سنة تعرضت فيها الأديرة لبعض الدمار الذى قام باصلاحه البابا بنيامين الأول (٦٢٣ - ٦٦٢م)

عقب رجوعه من منفاه إلى كرسية عندما إهتز الاسقيط من حرارة إستقبال الرهبان له أثناء زيارته له . وكان هذا هو أول تعمير للأديرة نقرأ عنه بعد إنشاء الأديرة الأربعة وكنائس الثيوطوكس الملحقة بكل منها . ولقد إختص البابا بنيامين بالتعمير دير الأنبا بيشوى ، وسيدة الأنبا بيشوى وكان البربر قد تمكنوا خلال هذه الغارة من أسر القديس صموئيل المعترف ، والقديس يحنس قمص شيهيت (وهو غير يحنس القصير طبعاً) .

أما في الغارة الخامسة للبربر على الاسقيط والتي حدثت عام ٨١٧م فقد كانت من الشراسة حتى أحرقوا قلالي الرهبان وهدموا الأديرة والكنائس ، فهرب الرهبان إلى أديرة أخرى ، ولكن الله تحنن على الاسقيط وتعمر ثانية خلال ١٥ - ٢٠ سنة ، وتحول الاسقيط إلى فردوس سمائي عامر بالمتوحدين والرهبان (على ما يذكر مايناردوس في كتابه عن الأديرة القبطية) وذلك أيام بطيركية الأنبا ياكوبوس (٨١٩ - ٨٣٠م) ، والأنبا يوساب الأول (٨٣٠ - ٨٤٩م) حيث قام بترميم الأديرة وتحصينها وإحاطتها بأسوار عالية وترميم حصونها ولذلك إطمأن رهبان دير الأنبا بيشوى إلى طلب عودة جسد القديسين الطاهرين الأنبا بيشوى والأنبا بولا الطموهى ، فساعدهم البابا يوساب الأول في تحقيق رغبتهم ، وعودة أبيهم إلى ديره في إحتفال مهيب (كما سبق وذكرنا في حياة الأنبا بيشوى) وكما هو مذكور في ذكصولوجية القديس الأنبا بيشوى « يا يوساب رئيس كهنة المدينة العظمى الاسكندرية البتول التقى الملتحف بالتواضع الحقيقى . إنه في أيام رئاستك أدركتنا هذه النعمة العظيمة نحن غير المستحقين ، أى محيى أبونا لابسى الصليب إلينا أنبا بيشوى وأنبا بولا الكوكبين النيرين ... » .

كما تعرض الاسقيط بعد ذلك لغارة سادسة من النوماتيين عام ٨٦٦م وغارة سابعة من اللواتيين عام ١٠٦٩م .

٣- وصف الرحالة والمؤرخين للدير في العصور المختلفة:

ولقد ذكر أوتومايناردوس (في كتابه الرهينة والأديرة في الصحارى المصرية) مشاهدات وملاحظات كثير من الرحالة والتي تدل على عظمة الدير ووصفهم لحالة الدير ومبانيه ورهبانه ومياهه وحديقته ومكتبته ، ولقد أجمع أغلبهم على أن دير القديس الأنبا

بيشوى كان أرحبهم من حيث إتساع الكنيسة والدير والحديقة وعذوبة مائه وكرم رهبانه ، وهنا نلخص بعض هذه الملاحظات :

+ ففي القرن الحادى عشر زار الاسقيط رئيس الشمامسة موهوب بن منصور المؤرخ الشهير وذلك عام ١٠٨٨م ، كما زار أيضاً فى نفس القرن عبد الله بن العزيز البكرى منطقة أديرة الصحراء الغربية قادماً إليها من الطرانة وأعجب بمبانيها الشائخة القابعة وسط الرمال والتي يسكنها الرهبان المسيحيون .

+ وفى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادى زار أديرة وادى النطرون سلطان مصر محمد بن قلاوون وبصحبته الجغرافى العربى الكبير ابن فضل الله البكرى (المتوفى عام ١٣٤٧م) الذى أشاد بشهرة الرهبان والأديرة القبطية فقال [ولم أعلم فيها أخباراً فأذكرها ولا أشعاراً فأطرف بها ، وإنما ذكرتها لشهرة اسمها وبعد صيتها] .

+ أول رحالة فرنسى يزور مصر والاسقيط هو الأب كوپين J. Coppin الذى كان ممثلاً لفرنسا فى الأراضى المقدسة ، ولقد كتب عام ١٦٣٨م عن الطريق المسمى « طريق الملائكة » ، والمحدد بأكوام رملية على جانبيه ليقود الرهبان المتوحدين إلى كنيسة أبى مقار للصلاة يوم الأحد ، وكتب أيضاً عن شجرة الطاعة بدير أبى يحنس القصير وكنيسته الجميلة .

+ وفى عام ١٦٥٧م زار ثيفينوت Thévenot مصر وجاء إلى وادى النطرون عن طريق مقر الأديرة (الذى مازال قائماً إلى الآن) بقرية إتريس وذكر أن القادم لزيارة الاسقيط عن طريق إتريس يستأجر منها حصاناً أو جمللاً بقرشين وقائد الجمل أو الحصان بثلاثة أو أربعة قروش أيضاً وذلك لرحلة الذهاب والعودة معاً ، رأى شجرة الطاعة بدير القديس يحنس القصير ، وذكر أن دير القديس الأنبا بيشوى هو أحسن الأديرة الأربعة العامرة بالاسقيط لكنيسته الواسعة وحديقته الجميلة ومائه العذب وحصنه الضخم .

+ وفى عام ١٦٧٢م قدم الأب يوحان ميخائيل فانسليب J.M. Vansleben لزيارة الاسقيط وذكر طريق الملائكة الذى يربط دير الأنبا بيشوى بدير القديس مكاريوس وشجرة الطاعة ، وأثنى على دير القديس الأنبا بيشوى ودير السريان من بين جميع أديرة

الاسقيط لعذوبة الماء بهما .

+ وعندما زار الأب روبرت هنتنجدون R. Huntingdon برية الاسقيط في القرن السابع عشر وجد أن دير الأنبا بيشوى أحسن حالاً من حيث المباني عن الأديرة الأخرى ، وكذلك المائدة إزدانت بمقاعد حجرية وترابيزة حجرية تتسع لحوالى ٥٠ - ٦٠ راهباً .

+ وفى يناير ١٧٩٩م زار الجنرال أنطوان أندريوسى Antoine Andreossy (التابع للحملة الفرنسية لمصر) دير الأنبا بيشوى ووجد به ١٢ راهباً وأظهروا له كثيراً من المودة والمجاملة .

+ ويلاحظ مما ذكره مايناردوس أن ثلاثة رحالة أجانب زاروا دير الأنبا بيشوى من منتصف القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر ووصفوه بأنه الدير الأبيض Labiat وقد يعلل هذا بأن الأسوار الضخمة لدير الأنبا بيشوى بحجارتها البيضاء الجميلة قبل البياض دعتهم يطلقون عليه هذا الاسم وهؤلاء الثلاثة هم : جرانجر Granger عام ١٧٣٠م ، هنرس فريهر H. Freiherr ١٨٢٠م ، والباحث النمساوى Russegger روسيجر ١٨٣٥م .

+ كما جاء كيرزون Curzon عام ١٨٣٧م لزيارة الاسقيط وشاهد دير الأنبا بيشوى وأعجب بكنائسه المكرمة .

+ وفى عام ١٨٣٩م زار د. تاتام Tattam وابنته دير الأنبا بيشوى ومكتبته التى كانت تضم حوالى ١٥٠ كتاباً متناثرة فى الدور الأرضى من الحصن .

وفى عام ١٨٤٤م زار الباحث الألمانى كونستانتين تشندورف K. Tischendorf دير الأنبا بيشوى ووجد بداخله أربعة رهبان فقط (عدا الذين فى العزبة) [كان أكبرهم راهب شيخ ضريح عمره حوالى ١٢٠ سنة . وكان يجلس طول النهار على دكة وكان يرتل المزامير ليلاً ونهاراً بصوت مرتفع (مسموع) وعيناه الضريرتان لا تريان إلا الله وشفته لا تشتغلان إلا بتسبيح الله فقط ، وقال هذا الرحالة « عندما هممت للخروج من الدير إستند هذا الشيخ على عكازه وتقدم نحوى وكلمنى بكاء متوهج ، وكانت

بركة هاتين الشفتين المعمرتين قد أثرت فيّ بعمق» هكذا قال الرحالة في مذكراته .

+ ولقد أعجب كل من الأب جولين Jullien والأب نوريت Nourrit والأب نوري Noory والسيد بالاماري Palamarie بدير الأنبا بيشوى من بين كل أديرة الأسقيط عندما زاروه عام ١٨٨١م وذكروا أن ماءه أعذب ماء في الاسقيط .

+ كما زار أديرة الاسقيط عالم القبطيات الشهير الفريد بطلر A. Butler عام ١٨٨٣م وعندما وصل دير الأنبا بيشوى كانت بوابة الدير مغلقة بباب مكسى بألواح حديدية وظل يقرع الجرس الخارجى فترة من الزمن حتى فتحوا له ووجد ١٤ راهباً بالدير. وأخبره قمص الدير أن الدير أنشئ منذ خمسة عشر قرناً ولكن حدث ترميم لمعظمه منذ حوالى قرن من الزمان. ولقد أعجب بطلر بالمباني الضخمة لدير الأنبا بيشوى وكنائسه الجميلة وخاصة بالكنيستين الجانبيتين، ولأنه كان قد سمع عن عذوبة ماء دير الأنبا بيشوى لذلك إستقر فيه طول مدة اقامته بالاسقيط، وذكر ما شاهده من جمال وعظمة مباني كنيسة الأنبا بيشوى والتي أنشئت عامة على الطراز البازيليكي، وكذلك الكنيستين اللتين تفتحان على الخورس الأول من داخل الكنيسة الكبرى. ففي الناحية الشمالية تقع كنيسة السيدة العذراء والتي بها مقصورة جسد الأنبا بيشوى (الذى ظل بها فترة طويلة حتى نقل إلى كنيسة الأنبا بيشوى عام ١٩٦٨م عندما تم عمل المقصورة الحالية). وفي الناحية الجنوبية تقع كنيسة الشهيد ابسخيرون والتي بداخلها ممر شمال المذبح يؤدي إلى المعمودية. كما زار الحصن ووجد كثيراً من قصاصات المخطوطات العربية والقبطية متناثرة على الأرض بالدور الأرضى .

+ وفي ابريل عام ١٨٩٦م زار الدير لمدة قصيرة سلفا هوايت A. Silva White ووجد به ١٤ راهباً، وذكر أنه كان بالدير آبار ماء كثيرة على عمق حوالى مائة قدم وماؤها عذب، وتعمل إحداها كساقية تديرها الثيران .

+ وفي صيف عام ١٩٠٥ ذكر إيوالد فولز Ewald Falls أن الساقية التى ترفع الماء الثمين توجد فى ثلث فناء الدير وتروى حديقة الدير التى تنتج الخضروات والتى كان يفخر بها رهبان دير الأنبا بيشوى ووجد فولز فى المكتبة بالحصن كتاب السنكسار وكتباً كثيرة مكتوباً عليها وقف على دير الأنبا بيشوى وتحذير شديد لمن يخرجها خارج

الدير. وذكر نص ما هو مكتوب: «هذا الكتاب هو وقفاً مؤبداً وحفظاً مخلداً في كنيسة القديس العظيم البار أنبا بيشوى في دير الكائن بيرية شيهيت بالاسقيط بوادى هبيب ميزان القلوب، ولا يحق لأى إنسان أن يحركه من المكان الموقوف عليه تحت أية ظروف والذي يفعل ضد هذا ويخرجه يكون مشاركاً اللعنات الكثيرة التى حلت بدقلديانوس الكافر وهيرودس المعاند وسيمون الساحر ويهوذا الخائن، وعلى النقيض من ذلك فعلى أبناء الطاعة تحل البركات الأبدية والمجازاة الخالدة».

+ كما إستقبل رهبان دير الأنبا بيشوى بكل الترحاب الكنسى دوق ساكسونى جوهان جورج Johann George عام ١٩١٢م.

وفى عام ١٩٢٠ مكث العلامة هـ. ايفيلين وايت Hugh. Evelyn White ستة أسابيع فى وادى النطرون لإستكمال الملاحظات الضرورية لاتمام البحث الذى كلفه به متحف المتروبوليتان بنيويورك، والذي كان قد بدأه العلامة بالمرجونس Palmer Jones عام ١٩٠٣م، ثم فى أواخر عام ١٩٢٠ أيضاً حضر إيفيلين وايت ومعه آخرون لإستكمال الرسومات المعمارية والصور الفوتوغرافية، ولقد أنجز وايت عملاً علمياً رائداً باصداره ثلاثة أجزاء عن تاريخ ومعمار أديرة وادى النطرون والمراجع والمخطوطات أيضاً.

+ وفى عام ١٩٢٣م زار دير الأنبا بيشوى الدكتور ويليام هاتش Dr. W. Hatch المحاضر فى المعهد اللاهوتى الأسقفى بالولايات المتحدة وعندما زار المكتبة طلب بعض المخطوطات والقصاصات القديمة من الكتاب المقدس وكتب الكنيسة فأعطوها له. وكان بالدير حينئذ ٢٢ راهباً.

+ ولقد زار الدير أيضاً عدد كبير من الدبلوماسيين الأجانب بمصر مثل سفير الدنمارك الذى تردد على الدير ١٢ مرة من ١٩٥٦ إلى ١٩٥٨، سفير الولايات المتحدة عام ١٩٥٧، وكذلك سفير جمهورية ألمانيا الاتحادية عام ١٩٥٩، وكذلك زاره عدد كبير من رجال الدين الأجانب ومن العلماء وخاصة علماء الجيولوجيا والبيولوجيا واللاهوت.

٤ - من مشاهير لشخصيات العامة التي زارت الدير :

ولشهرة أديرة الأسقيط التاريخية قام بزيارتها بعض السلاطين والحكام (كتاب السلوك في تاريخ الملوك). والملك الناصر محمد بن قلاوون في القرن الرابع عشر (كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار). والسلطان قايتباي في القرن الخامس عشر (عن كتاب وادي النطرون لعمر طوسون). وجورج دوق ساكسوني عام ١٩١٢ (عن مايناردوس) والأمير عمر طوسون عام ١٩٣٠ حيث وجد بالمكتبة التي كانت بالحصن القديم كتابين نادرين هما كتاب تاريخ البطارقة للأنبا ساويرس ابن المقفع اسقف الأشمونين، والكتاب الثاني هو أقدم نسخة معروفة للسكسار القبطي باللغة العربية.

٥ - من مشاهير لشخصيات الكنسية التي زارت الدير :

وفي أواخر القرن الثالث عشر جاء القديس ت كلاهيمانوت إلى الاسقيط وتنقل بين الأديرة (مايناردوس). كما قام كثير من البطارقة الأقباط والسريان بزيارة دير الأنبا بيشوى أمثال : البابا بنيامين الأول (٦٢٣ - ٦٦٢) وخاصة بعد عودته إلى كرسيه والبابا بنيامين الثاني الذي رمم كنيسة الأنبا بيشوى عام ١٣٣٠م، والبابا بطرس الخامس (١٣٤٠ - ١٣٤٦م) والبابا غبريال الرابع عام ١٣٧٤م وذلك أثناء تقديسهم للميرون المقدس بدير القديس مكاريوس. وزار الأسقيط أيضاً البطريك الأنطاكي ديونيسيوس عام ٨٢٩م وكذلك بطريك أنطاكي آخر في يوم السبت السادس من أمشير ١١٨٩ش (١٤٧٣م) يوم رفاع الصوم الكبير إذ استهل زيارته لدير الأنبا بيشوى ودون (سجل) زيارته على جدران كنيسة السيدة العذراء بحصن الدير باللغتين العربية والسريانية، وهذه الكتابة باقية للآن. ويحتمل أن تكون هذه الزيارة هي التي أشار إليها الأرشمندريت أرمانوس في مذكراته المنسوخة عن مخطوط غير مطبوع للمؤرخ القبطي أبي المكارم بعنوان «الكنائس والأديرة» والتي ذكر فيها أن مارأغاثون Agathon زار الأسقيط يوم السبت ٦ أمشير الموافق آخر يوم من أيام الصوم الكبير عام ١١٩٨ش (عن كتاب وادي النطرون لعمر طوسون) وهذا خطأ لأن الصوم الكبير لا يمكن أن ينتهي في شهر أمشير فيكون صحتها آخر يوم قبل الصوم الكبير أي يوم الرفاع

كما هو مدون بكنيسة السيدة العذراء بالحصن . وكذلك سنة الزيارة هي ١١٨٩ ش وليس ١١٩٨ ش فتكون بذلك الكتابة المدونة بدير الأنبا بيشوى هي المرجع الأوثق لهذه الزيارة ، وهاك نص ما أمكن قراءته منها : (كما ورد في كتاب وادى النطرون لعمر طوسون) :

« إنه في يوم السبت ٦ أمشير سنة ١١٨٩ ش (١٤٧٣م) يوم رفاع الصوم الكبير حضر الأنبا أغناطيوس (وهذا لقبه وليس إسمه) بطريرك أنطاكية ، وكان حضوره أولاً إلى دير الأنبا بيشوى وبعد ذلك توجه إلى دير السريان و قدس عندهم الأحد ثم عاد إلى الأنبا بيشوى يوم الاثنين و قدس فيه يوم الثلاثاء وقرأ التحليل على الرهبان بعد الفروع من المائدة، ثم بات في دير السريان ، وفي الثالثة من نهار الأربعاء توجه إلى دير الأنبا مكاروريوس ، وفي مضيئه (طريقه) دخل دير يوحنا كاما وبعده دير يوحنا القصير، وكان مطر عظيم .

ومن البطاركة السريان الذين زاروا الدير أيضاً في عام ١٩٥٩ ماراغناطيوس يعقوب الثالث ومعه لفيف من الآباء الأساقفة الذين كان من بينهم - خليفته مارزكا عيواص والذي زار الدير أيضاً في عام ١٩٩٠م بعد أن صار بطريركاً . وتحدث مع الرهبان ودخل إحدى القلاى وإندهش لازدهار الرهبنة القبطية .

كذلك كان البابا يوانس التاسع عشر (١١٣) يتردد على دير الأنبا بيشوى سنوياً ويقوم بنفسه بترقية من يجده مستحقاً من الرهبان للدرجة الكهنوتية كما قام البابا كيرلس السادس بزيارة الدير في ٣١ مارس ١٩٦١م .

كل هذا يظهر مدى أهمية دير الأنبا بيشوى للكنيسة واهتمامها به ومدى شهرته المحلية والعالمية .

٦- الطريق المؤدى إلى الدير

+ كانت المراكب تنقل النطرون والمؤن والأفراد عن طريق النيل فرع رشيد من وإلى القاهرة أو الاسكندرية عن طريق ميناء الطرانة والمقابل لوادى النطرون ، ومن ميناء الطرانة بالجمال أو الدواب مع الأعراب الذين يعرفون الطرق الصحراوية

(المدقات) إلى مواقع النظرون أو إلى مواقع الأديرة بالنسبة لزائري الأديرة.

+ وكان للأديرة عزب في القرى المجاورة مثل كفر داود أو اتريس ومنها كانت قوافل المؤن والأفراد يرتحلون إلى الأديرة فجراً ليصلوها قبل غروب الشمس، وقد يعودون في نفس اليوم.

+ ولما أنشئ خط سكك حديد المناشى الذى تفرع منه خط حديدى إلى منطقة البحيرات لنقل النظرون (بواسطة شركة إيطالية حصلت على امتيازته أيام محمد على) فكان البعض يصلون بخط السكك الحديدية من القاهرة إلى الخطاطبة، ومنها يصطحبون أحد الاعراب كدليل لنقلهم إلى الدير بالدواب.

+ وفي أوائل الخمسينات من القرن العشرين بدأ تحسين الطريق الصحراوى من القاهرة إلى الاسكندرية فأصبح أكثر إستعمالاً للسيارات إلى الرست هاوس، ومن هناك بالدواب إلى الأديرة.

+ وفي أوائل الستينات بدأ إنتشار طريق من الرست هاوس حتى معسكر العمل الدولى للشباب الأسوى الأفريقى أمام دير الأنبا بيشوى فأمكن للسيارات والتوبيسات الوصول إلى منطقة المعسكر ومنها يسير الناس على أقدامهم حتى الأديرة

+ ثم بدأ بعد ذلك فى أوائل السبعينات فى توصيل الطريق إلى الأديرة وتحسين الطريق الصحراوى (القاهرة الاسكندرية) ثم إمتد الطريق من الرست هاوس إلى منطقة عسكرية فى عمق الصحراء فى أوائل الثمانينات مما سهل طريقة ووسيلة الوصول إلى الأديرة بكل أمان وسرعة وراحة، ولهذا كثر عدد الزوار والسياح والحجاج إلى الأديرة.

الفصل الثالث :

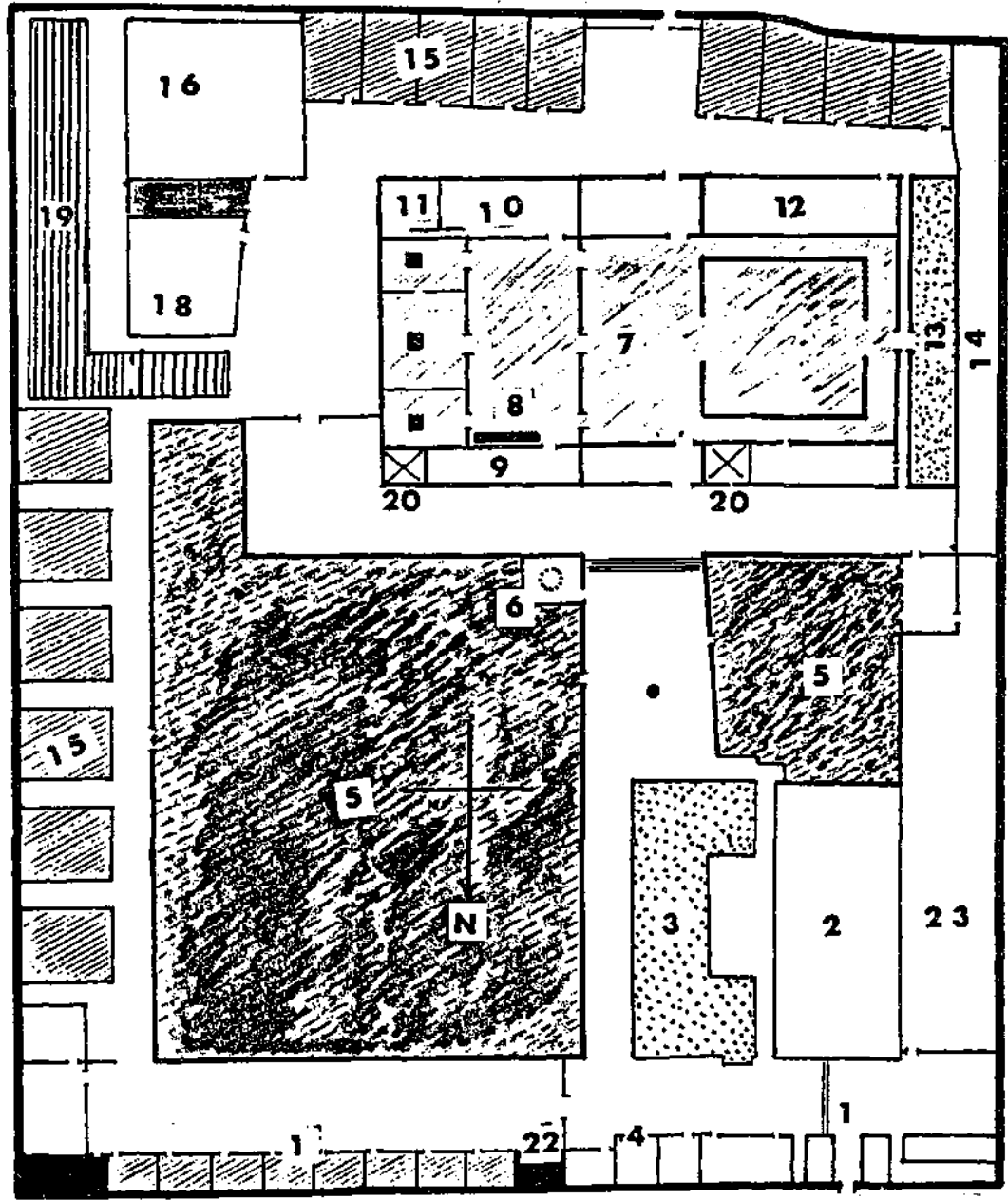
وصف دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون

هناك أربعة أديرة بمصر تسمى بإسم الأنبا بيشوى أو الأنبا بيشاى، وهى :

١ - دير الكائن بوادى النطرون والذي أسسه بنفسه حسب وعد السيد المسيح له والذي حدد الملاك موضعه . وهذا هو الذى سنصفه هنا .

٢ - دير الأنبا بيشوى بقرية دير البرشا بناحية ملوى ، وهو الذى أسسه القديس الأنبا بيشوى بعد رحيله من الاسقيط إلى هناك أثناء الهجوم الأول للبربر على الاسقيط حوالى عام ٤٠٧م . وعاش فيه عشرة سنوات إلى أن تنيح ثم جمع الأنبا أنناسيوس أسقف أنصنا جسد الأنبا بيشوى الذى كان مدفوناً قرب مغارته بمنية الصقار (أو منية صقر) مع جسد صديقه الروحى الأنبا بولا الطموهى ، الذى تنيح بعده ودفنهما بهذا الدير بعد أن كفنهما بأكفان ثمينة ، ووضع كلاً منهما فى تابوت فاخر من خشب لا يتسوس ، إلى أن تم نقلهما فى عهد المغبوط البابا الأنبا يوساب الأول بابا الاسكندرية فى القرن التاسع الميلادى ، إلى ديره الأصيل بالاسقيط ، بعد تأمينه بالأسوار الضخمة التى مازالت قائمة للآن .

٣ - دير الأنبا بيشوى أو بيشاى بغرب سوهاج والمسمى الدير الأحمر لأنه مبنى من الطوب الأحمر وتميزاً له عن الدير الأبيض (دير الأنبا شنوده رئيس المتوحدين) المبنى من الحجارة البيضاء ، وإن كان هناك رأى يقول أن صاحب هذا الدير هو الأنبا بيشاى الذى من أخميم وتعيد له الكنيسة فى الخامس من أمشير وليس الأنبا بيشوى الأرمى الأسقيطى ، ورأى آخر يقول إن الذى أسسه هو الأنبا بيجول خال الأنبا شنوده رئيس



١ - بوابة الدير .	٩ - كنيسة البابا بنيامين الأول .	١٧ - مخبز القربان «بيت لحم» .
٢ - الحصن .	١٠ - كنيسة القديس بسخيرون .	١٨ - الطاحونة القديمة .
٣ - بيت الضيافة .	١١ - المعمودية .	١٩ - المكتبة .
٤ - مجمع الضيوف .	١٢ - كنيسة مار جرجس .	٢٠ - المنارات .
٥ - حدائق .	١٣ - المائدة القديمة .	٢١ - عيادة .
٦ - بئر الـ ٤٩ شهيداً .	١٤ - مدفن الرهبان .	٢٢ - صيدلية .
٧ - كنيسة الأنبا بيشوى .	١٥ - قلاى الرهبان .	٢٣ - ورشة الهدايا .
٨ - مقصورة الأنبا بيشوى .	١٦ - بقايا كنيسة القديس مرقوريوس .	٢٤ - إلى الامتداد الجديد للدير .

المتوحدين ، ورأى آخر يقول إنه للأنبا بيشوى الأرمى لأنه من المحتمل أن يكون قد زار هذه المنطقة في طريقه إلى أبصاي (المنشاه) ليرد الضال الذى أنكر الروح القدس ، فأنشأوا ديراً تذكّاراً له . ورأى آخر ينسب شنشا أو شنشنا التى ولد بها الأنبا بيشوى إلى إحدى القرى بجبل أدرييه غربى سوهاج ، ولذلك سمي هذا الدير على إسمه ، وعلى أية حال فعالباً هو للأنبا بيشوى الأرمى الأسقيطى ، لأن الاحتفال السنوى بهذا الدير حسب التقليد الذى مازال جارياً هناك هو يوم ١٥ يوليو . وهو عيد نياحة الأنبا بيشوى الأرمى الأسقيطى .

٤ - دير الأنبا بيشوى المعروف بدير القديسين بحاجر الطود شرقى أرمنت ، ولكن الأنبا بيشوى صاحب هذا الدير هو غير الأنبا بيشوى الاسقيطى بل صاحبه هو قديس آخر بنفس الإسم (بيشوى) عاش فى القرن السادس الميلادى وعيد نياحته فى ٢٥ كيهك (عن مجلة الكرازة ١٩٧٥/٢/٢١) وهذا الدير يضم جسد القديسين بيشاى وبطرس إلى الآن .

وفيما يلى وصف دير الأنبا بيشوى الكائن بوادى النظرون : ✦ مساحة الدير الأثرى وأسواره الخارجية :

+ تبلغ مساحة دير الأنبا بيشوى حوالى فدانين وستة عشر قيراطاً وأربعة عشر سهماً (أى ١١٣٠٠ متر مربع) وطول السور من الشمال إلى الجنوب ١١٦ متر ومن الشرق إلى الغرب ٩٥ متر . والأسوار التى تضم هذه المساحة أسوار ضخمة ومرتفعة مشيدة منذ القرن التاسع . وقد وصفها المؤرخ العربى أبو عبيد البكرى فى القرن الحادى عشر الميلادى فى كتابه « المسالك والممالك » قائلاً : قصور شريفة فى صحراء رمل ربما قطع فيها الأعراب (الطريق) على الرفاق (القوافل) وتلك القصور محكمة البناء منجدة الجدر (الأسوار) أكثرها على أزاج معقودة يسكن بعضها رهبان ، وبها آبار عذبة قليلة الماء » .

+ ووصفه القرينى من القرن الخامس عشر بأنه دير عظيم لعظمة مؤسسه وأنه دير كبير جداً .

+ ولأن الأسوار كانت ضخمة ومشيدة من الحجارة البيضاء المتساوية الأحجام

فكان منظرها جميلاً حتى وصف الرحالة (في القرن الثامن عشر) الدير بأنه الدير الأبيض Labiat كما ذكرنا سابقاً .

وأول من ذكر الأطوال والمقاييس لأديرة وادى النطرون بصفة عامة هو الجنرال أندريوسى A. Andreossy أثناء الحملة الفرنسية عندما زار وادى النطرون فى يناير عام ١٧٩٩م فقال (عن كتاب عمر طوسون) :

« ويوجد بين هذه الأديرة ثلاثة مربعة الشكل يتراوح أكبر أضلاعها بين ٩٨ - ١٤٢,٥ متر ويتراوح أصغر أضلاعها بين ٥٨,٥ - ٦٨,٥ من الأمتار... وارتفاع جدر الأسوار ثلاثة عشر متراً على أقل تقدير وسمكها عند الجدار من ٢,٥ إلى ٣ أمتار، وأبنيتها حسنة والعناية بأمر صيانتها شديدة، وبالقسم العالى منها ممشى عرضه متر وبالحائط المرتفع فوق الممشى طيقان (نوافذ) بعضها فى الحائط نفسه والبعض الآخر مائل وبارز نحو الخارج، والطيقان البارزة لها حجب لتقى الرأس من مقذوفات البنادق، (أى التى يصوبها الأعراب على الرهبان، وهذه الطيقان فى حقيقة الأمر كانت تستخدم كأبراج مراقبة فقط) » .

« والأديرة ليس لها سوى مدخل واحد (مازال مستعملاً) ، وهذا المدخل ضيق منخفض فإرتفاعه لا يزيد على متر واحد وعرضه ثلثى متر، والباب كثير التخانة (سميك) ويقفل من الداخل ويحكم رتاجه (غلقه) بمزلاج من فوق وبمفتاح من الخشب (ضبة) متين فى الوسط وفى الأسفل بعارضة تدخل فى البناء يميناً ويساراً، وهذا الباب مكسو جميعه بمحازم عريضة من الحديد كل واحد منها مثبت بشمانية من المسامير ذات الرؤوس (وهذا الباب مازال موجوداً فى متحف الدير للآن بعد إستبداله بآخر أحدث منه) ، ويوصد الباب إيصاداً (غلقاً) محكماً تقريباً من الخارج بحجرين من الصوان (الجرانيت) شكلهما كشكل رعى الطاحون موضوعين رأسياً على دائرتهما (ومازالا موجودين خارج الباب الأثرى) وقطر دائرة هذين الحجرين يقل قليلاً عن إرتفاع المدخل وسمكهما يسوغ (يسمح) بإدخالهما معاً جنباً إلى جنب فى البناء، والباب محصن بطنف بارزة، وعندما يراد إغلاق المدخل يشرع راهب يكون قد بقى فى الخارج - فى دحرجة أحد الحجرين بعتلة ثم يثبتة بخشبة ويهوى الآخر وبعد ذلك

يزحف إلى الداخل ويجر هذا الحجر الأخير فيتركز بحكم الطبع بجانب الحجر الأول ، وبعد أن يبيت الحجرين في الحائط يغلق الباب » .

والحقيقة أنه كان للدير الأثرى أربعة أبواب بواقع باب واحد في كل جهة أغلقت ثلاثة منها ومازال الباب البحرى فقط هو المستعمل (وهو الذى كان يقصده الجنرال أندريوس في وصفه للدير) ومازال الأرش البحرى الذى يعلو الباب القبلى والأرش الطوب الأحمر الذى يعلو الباب الغربى موجودين للآن ، ثم فتح باب في السور من الجهة القبلىة (بجوار الباب القديم) منذ حوالى عشرين عاماً ، والملاحظ أن الباب القبلى القديم كان مقابلاً للباب البحرى الذى مازال مستعملاً وكلاهما في الثلث الغربى من الدير ، وكذلك الباب الشرقى كان مقابلاً أيضاً للباب الغربى وكلاهما في الثلث البحرى من الدير .

وكانت توجد فتحة في أعلا السور من الجهة الشرقية في الثلث القبلى تسمى الخطابة لإستخدامها في رفع الخطب الذى كان يجمعه العرب وبييعونه للدير ليستخدمه الرهبان في الوقود ، وتوجد حجرة علوية فوق البوابة البحرية للدير وبارزة إلى الخارج تسمى حجرة المطعمة ، إذ كان الرهبان يدلون سلة كبيرة مربوطة بحبل سميك من الكتان يلف على بكرة وينزل من فتحة أعلا البوابة من الخارج في أسفل هذه الحجرة بحيث تتدلى السلة المملوءة بالطعام والماء أمام البوابة من الخارج لإطعام الاعراب والغرباء دون الحاجة إلى فتح البوابة إذ أنه حدث مرات كثيرة منذ قرنين أو ثلاثة أن اللصوص كانوا يقرعون جرس البوابة من الحبل المدلى خارج البوابة (والموجود للآن) فكان الراهب البواب يفتح فكانوا يقتحمون الدير ويقتلون من فيه ، فأنشأ الرهبان المطعمة لإطعام السائل حسب وصية السيد المسيح ولكن في أمان من غزوات وغارات اللصوص . وهذه حكمة عظيمة .

٢- الحصن :

بدأت فكرة الحصون بالأديرة القبطية وخاصة بوادى النطرون منذ القرن الخامس الميلادى للإحتماء داخله من هجمات البربر وأول من بنى الحصون في الأديرة القبطية

هو الامبراطور زينون (المتوفى عام ٤٩١م) عندما جاءت ابنته ايلاريا إلى الأسقيط وصارت راهباً باسم إيلارى، ولما مرضت أختها الصغرى وأرسلها أبوها ب خطاب مؤثر لآباء الأسقيط للصلاة من أجل شفائها بعد أن احتار فيها الأطباء، طلب الآباء من الراهب إيلارى الصلاة لأجلها. ولما شفيت وعادت لأبيها أرسل والدها يطلب الراهب الذى شفيت بصلواته، وتحت ضغط الآباء سافرت إيلاريا (إيلارى) إلى القسطنطينية وهناك اكتشف أمرها، ولما سمع والدها عن مضايقات البربر للرهبان أمر ببناء الحصون بأديرة الأسقيط. وأمر للأديرة بكثير من المؤن والهبات.

وحصن دير الأنبا بيشوى هو أكبر وأمتن الحصون فى أديرة مصر كلها، كما شهد بذلك كل الرحالة والمؤرخين الذين زاروا الدير فى الحقب المتعاقبة.

وأول من وصف الحصون وصفاً تفصيلياً هو الجنرال أندريوس . فقال (عن كتاب عمر طوسون) :

« ويوجد فى داخل كل دير برج (حصن) مربع الشكل يتوصل إليه بمعبر متحرك ، فإذا رفع لا يمكن الوصول إليه وطول هذا المعبر خمسة أمتار وارتفاعه عن سطح الأرض ستة أمتار ونصف متر . ويرفع المعبر بواسطة حبل أو سلسلة تمر منه داخل الحائط (أعلى بوابة الحصن) وتلتف بتحرك دولاب (بكرة خشبية) كدولاب رفع الأثقال أو بكرة البئر ، وينتهى البرج بسطح مرتفع عن حائط السور (الخارجى للدير) » .

وفى زيارة العلامة بطر للدير عام ١٨٨٣م ذكر أن الحصن كانت به كنيسة الملاك فى الدور العلوى وفيه صور التلاميذ المرسومة من القرن الثامن عشر، كما أشار إلى المكتبة التى كانت بالدور الأرضى من الحصن .

وذكر إيفيلين وايت (عام ١٩٢٠م) أن حصن دير الأنبا بيشوى يشبه نظيره حصن دير الأنبا مكاريوس ، وأنه كان يوجد دور ثالث بحصن دير الأنبا بيشوى (كما فى دير الأنبا مكاريوس) ولكنه تهدم من المطر ولم يتبق منه سوى كنيسة الملاك ميخائيل والحجرات المسحورة ، وذكر إيفيلين وايت أنه ربما يكون الحصن قد رمم فى القرن الحادى عشر أو الثانى عشر وهو آخر تاريخ ترميم لنظيره بدير القديس مكاريوس ، وأيضاً بعد

هجوم اللواتين على الاسقيط وتخريبهم الحصن الأصلي عام ١٠٦٩م فيكون ترميمه بعد ذلك التاريخ . ولكننا كرهبان نعتقد أن الحصن بحالته الحالية من القرن التاسع الميلادى ، وربما من السابع الميلادى عندما كانت الأديرة مزدهرة ويمكنها بناء مثل هذا الصرح الضخم .

وفى دليل المتحف القبطى (١٩٣٢م) ذكر مؤلفه (مرقس سميكة) أن بالحصن كنيسة السيدة العذراء بالدور الثانى وبها ثلاثة هياكل ، وكنيسة أخرى بالطابق الأعلى على إسم الملاك ميخائيل حجابها من الخشب المطعم بالعاج والأبنوس وقد إنهارت قبابها وسقط حجابها منذ بضعة سنين بعد نزول مطر غزير .

وذكر عمر طوسون ١٩٣٥م أن القصر القديم (الحصن) بدير الأنبا بيشوى هو أمتن القصور فى الأديرة وأوسعها وهو مكون من ثلاث طبقات (طوابق) ، فى الطبقة الثالثة كنيسة الملاك ميخائيل وبأعلى حجاب هيكلها تاريخ سنة ١٤٩٨ش (١٧٨٣م) والمهتم بها المعلم إبراهيم الجوهري . وفى الطابق الثانى كنيسة العذراء آخذة نصف هذه الطبقة الشرقى (وصحتها أن كنيسة السيدة العذراء تحتل ثلثى الطابق الثانى من الشرق) وقد نزع منها حجابها وكان بها مكتبة الدير ، هذا وقد نقلوا الحجاب إلى الهيكل البحرى (هيكل السيدة العذراء) لكنيسة الأنبا بيشوى ، وبالهيكل البحرى من كنيسة العذراء بالحصن توجد كتابة بالحبر الأسود على الجزء البارز من الحائط الفاصل بين الهيكل والردهة (صحن الكنيسة) عن زيارة مارأغناطيوس بطريرك أنطاكية ، يوم السبت ٦ أمشير ١١٨٩ش (١٤٧٣م) .

وبالطبقة الأولى (الدور الأرضى) من الحصن توجد الطاحون وبئر الماء ومעصرة الزيتون وحجرات أخرى .

الوضع الحالى للحصن : باقى كما وصفه هؤلاء الرحالة والمؤرخين وهو مربع الشكل ٢٠×٢٠ متر ، وسمك حوائطه حوالى مترين ومبنى من الحجر الصلد وبه نوافذ للتهوية والإنارة فى أعلى حوائط كل طابق وهذه النوافذ ضيقة من الخارج ومتسعة من الداخل حتى تسمح بتحريك الهواء وانتشار الضوء ، ومصممة بطريقة هندسية رائعة من حيث شكلها ومواقعها بحيث تسمح لأكبر قدر من الاضاءة والتهوية على الرغم من ضيقها وقلة عددها .

و يوجد فى الدور الأرضى ثلاث حجرات فى مساحة ثلثى الطابق من الشرق وهى حجرات مزدوجة واحدة من داخل الأخرى ، وفى الثلث الغربى من الطابق وعلى يمين الداخل من السلم إلى الممر توجد أولاً حجرة البئر وعمقه حوالى ١٨ متراً ، ثم حجرة بها بداية الدهليز الذى يمر شمالاً داخل الحائط خلف البئر ثم يتجه شرقاً فى المسافة ما بين البئر والسلم ، وأغلب الظن أنه كان ينزل بعد ذلك من باب أفقى إلى نفق على هيئة قبو تحت الأرض يؤدى إلى خارج الحصن من الجهة الشرقية ، حيث يصعد من باب أفقى أيضاً داخل حجرة كانت ملتصقة بالجهة الشرقية البحرية من الحصن (مكان منارة القصر الحالى) ، وكان الراهب الذى لم يتمكن من صعود القنطرة المتحركة يدخل هذه الحجرة ويغلق بابها ثم ينزل من الباب الأفقى بأرضيتها إلى أسفل ويغلق فوقه ثم يسير فى القبو إلى داخل الحصن ثم يصعد من الباب الأفقى فى الحائط الفاصل بين السلم والبئر ثم يسير فى الدهليز يساراً إلى الحجرة المجاورة (جنوب) للبئر والتي بداخلها حجرة أخرى جنوبها والتي كانت مخصصة للمخازن ، وكانت الحجرة المقابلة لها من الشرق بها المعصرة ، وبداخلها (شرقيها) حجرة أخرى بها المطحنة وهى حجرى رحى كبيران ، وفى آخر الممر على اليمين توجد دورة مياه بلدى .

أما الطابق الثانى من الحصن وفى ثلثى المساحة من الشرق تقع كنيسة السيدة العذراء بهياكلها الثلاثة والتي أعيد إفتتاحها فى عهد قداسة البابا شنودة الثالث فى عيد السيدة العذراء ٢٢ أغسطس ١٩٨٦ م .

وفى الثلث الغربى من هذا الطابق وعلى يمين الممر يوجد الفرن وأمامه فتحة فوق البئر الكائن أسفلها ويليها (جنوباً) الحجرة التى كانت بها المكتبة وبداخلها حجرة أخرى جنوبها سقفها منخفض يسمح ببناء حجرة مسحورة ، فوقها يفتح بابها لأعلى فوق سطح الحصن (بالدور الثالث) وأيضاً يقع فى آخر الممر على اليمين دورة مياه بلدى كالتى بالدور الأرضى ومقابلها .

أما الدور الثالث فقد تهدم ولم يتبق منه سوى كنيسة الملاك ميخائيل والتي اهتم بترميمها المعلم إبراهيم الجوهري عام ١٤٩٨ ش (١٧٨٢م) كما هو مدون بأعلى هيكلها . وأيضاً رمها بعد ذلك البابا يؤانس التاسع عشر عام ١٩٣٥م كما هو مدون فوق الحجاب إذ كان صحنها متهدماً . ثم أعادت هيئة الآثار المصرية سقف الصحن

كما كان قديماً (نصف اسطوانة) وذلك في صيف عام ١٩٨٩م .

كما توجد حجرتان مسحورتان في داخل أرضية الدور الثالث إحداهما بالناحية القبليّة الغربيّة (فوق الحجرّة المجاورة للمكتبة) والثانية فوق الممر المنخفض الفاصل بين الكنيسة من جهة الفرن والمكتبة من الجهة الأخرى ، وكانت هذه الحجرّة متصلة بالحجرّة التي بها السلسلة والبكرة المخصصة لرفع القنطرة المتحركة والتي مدخلها من على السلم .

٣- المكتبة :

كانت مكتبة الدير توجد بالدور الثاني في الحصن بالحجرّة المجاورة لحجرّة الفرن . ثم إنتقلت إلى الدور الأرضي من الحصن كنوع من الإهمال وليس الصيانة . ولقد شاهد كثير من الرحالة الأجانب الكتب والمخطوطات القبطية والعربية ملقاة على الأرض وعليها كمية كبيرة من التراب . وذكر الجنرال أندريوسى أن المخطوطات مكتوبة على رق أو ورق القطن وبعض هذه المخطوطات باللغة العربية والبعض الآخر بالقبطية وبهامشها ترجمتها بالعربية واعترف قائلاً : ولقد استحضرنّا بعضاً من هذه المخطوطات الأخيرة (القبطية) ويظهر أن تاريخها يرجع إلى ستمائة سنة (أى من القرن الثاني عشر) « عن عمر طوسون » .

كما ذكر د. تاتام عام ١٨٣٩م أنها كانت تضم حوالى ١٥٠ كتاباً متناثرة على الأرض في الدور الأرضي من الحصن ، وهذا هو الحال الذى وجدها عليه بطر عام ١٨٨٣م ، وقد لاحظ فولز عام ١٩٠٥م وجود كتاب السنكسار القديم وكتباً أخرى مكتوباً عليها تحذير (سبق ذكره) لمن يخرجها من وقفها . ويبدو أن ذلك التحذير أضيف إلى الكتب بعد أن نهبها الرحالة الأجانب الذين زاروها في غفلة من الرهبان ومن الزمان .. !!

وفى عام ١٩٢٣ طلب الدكتور وليام هاتش (المحاضر في المعهد اللاهوتى الاسقفى بالولايات المتحدة) مخطوطات وقصاصات من الإنجيل والتفاسير والكتب الطقسية وشرحها فأعطوها له !! ويوجد في المكتبة الأهلية بباريس حوالى خمسة آلاف من

المخطوطات وقصاصات مخطوطات قبطية أغلبها شروحات طقسية نقلها الرحالة من دير الأنبا بيشوى إلى هناك وخاصة أثناء الحملة الفرنسية كما إعترف الجنرال أندريوس .

وذكر دليل المتحف القبطى أن الكتب الموجودة (عام ١٩٣٢م) نسخت أغلبها فى عهد البابا كيرلس الخامس ويرجع تاريخ أقدمها إلى سنة ١٠٦٩ ش (١٣٥٣م) وتبلغ حوالى ٢٣٥ مجلدأ ، منها ١٤٨ كتاباً خطياً وهى كالآتى :

١٢ مخطوط ، ١٥ مطبوع أجزاء من الكتاب المقدس بعهديه .

١٢ مخطوط ، ٢٦ مطبوع كتب لاهوتية .

١٣ مخطوط ، ٣ مطبوع كتب تاريخية .

١٠٩ مخطوط ، ٣٩ مطبوع كتب كنسية .

٢ مخطوط ، ٤ مطبوع كتب متنوعة .

فتكون الجملة ١٤٨ مخطوط ، و٨٧ مطبوع .

ذكر عمر طوسون (١٩٣٥م) أنه وجد بالمكتبة بكنيسة العذراء بالحصن القديم كتب نادرة وقيمة مثل كتاب تاريخ البطارقة لابن المقفع ، ولعله أقدم كتاب من نوعه فى التاريخ ومكتوب باللغة العربية بقاعدة الخط الديوانى ، ولم يعرف تاريخه لضياح أوراق من آخره . وكذلك كتاب السنكسار (أخبار القديسين) يقول فى أوله : « مما رتبه أنبا ميخائيل بكرسى أتريب ومليج » « وهو أقدم كتاب من نوعه وأصح من غيره بكثير » .

ولقد نقلت المكتبة بعد ذلك (فى السبعينات) إلى مبنى خاص بها فى الدور الأرضى من القصر الجديد فى الحجرة القبلىة ، ثم نقلت بعد ذلك فى الحجرة الكائنة فوق المضيضة الملاصقة للسور البحرى ، حتى تم إنشاء مكتبة ضخمة فى عهد قداسة البابا شنودة الثالث ونقلت إليها المكتبة فى ١٤ نوفمبر ١٩٨٨م .

٤ - القصر القديم :

شيده القمص بطرس رئيس الدير المتوفى عام ١٩٢٧م وكان مكوناً من طابق واحد ويقع شمال الكنيسة لاستقبال واستضافة الضيوف والزائرين ، ولكنه تهدم وكان آيلاً للسقوط ، وعند إزالة الأنقاض (فى السبعينات) اكتشف بئر الشهداء أسفله . وقد شيد قداسة البابا شنودة الثالث بدلاً منه القصر الضخم الحالى المكون من أربعة طوابق ومنارة عالية وخزان الماء . وتوجد بالمتحف بالدير بعض بقايا هذا القصر مثل مصباح الكيوسين الكبير وبعض الأعمدة الخشبية التى كانت تحمل سقف المدخل وتزينه وبعض صور الآباء البطارقة والأساقفة الراحلين والتى كانت بمضيعة القصر .

٥ - بئر الشهداء :

هى البئر الأصلية التى كانت تستخدم منذ عهد الأنبا بيشوى وفيها غسل البربر سيوفهم من دماء الشهداء الذين قتلوهم بدير أبى مقار عام ٤٤٤م وهم التسعة والأربعين شهيداً شيوخ شهيته ، وكان يؤخذ من مائه لشفاء المرضى وعمقه حوالى ١٢ متراً ، ومازال به ماء وماؤه عذب وأصبح من ضمن المعالم التاريخية والأثرية بدير الأنبا بيشوى .

٦ - الحديقة والساقية :

عندما ردم بئر الشهداء ، حفر الآباء بئراً أخرى فى الجانب الغربى من الدير قبلى الحصن وعمقها حوالى مائة قدم ، واستخدموها ساقية لرى الحديقة وصفها بطر ١٨٨٣م أن قطرها خمسة عشر قدماً وأنها بلاشك مثل السواقى التى من عهد الفراعنة . وبئر هذه الساقية ماؤها عذب جداً وأشاد بها الرحالة الذين زاروا الدير منذ القرن السابع عشر . وكانت عذوبة مائها هى السبب فى أن يقضى العلامة بطر طوال مدة إقامته فى الاسقيط فى دير الأنبا بيشوى لأنه سمع ممن سبقوه عن عذوبة مائه .

وذكر الجنرال أندريوس أن أديرة الاسقيط بها آبار عمق الواحدة منها ثلاثة عشر متراً وماؤها عذب يغمر من قاعها نحو المتر ويرفع بدلو معلق برشا (حبل أو سلبة) يشد على بكرة، وتستعمل مياه الآبار في حاجات مساكن الرهبان ولسقى بستان صغير يزرع فيه قليل من الخضر وبعض الأشجار كالنخل والزيتون والأثل والحناء والجميز. (عن عمر طوسون).

بينما ذكر سلفا هوايت عام ١٨٩٦م أنه توجد بالدير آبار كثيرة على عمق حوالى مائة قدم وماؤها عذب، وتعمل احداها كساقية تديرها الثيران لرى الحديقة وذكرها أيضاً فولز عام ١٩٠٥م مشيراً إلى إفتخار رهبان الأنبا بيشوى بحديقتهم التى تنتج الخضروات والفاكهة.

وهذه الحديقة مساحتها حوالى فدان واحد كانت موجودة منذ زمن بعيد ولكن اعتنى بها أكثر لاجيء إيطالى إسمه «بافى» لجأ إلى مصر فى عهد محمد على الذى منحه رتبة أميرلاى وخوله إستخراج النطرون من بحيرات وادى النطرون وتصديره إلى مرسيليا، فكان كثيراً ما يقيم بافى (على الرغم من انه كان ملحداً) بدير الأنبا بيشوى لعذوبة مائه فنقل إليه بعض الطمى بالجمال التى تذهب محملة بالنطرون وتعود محملة بالطمى من الخطاطبة والقرى المجاورة لوضعه فى حديقة دير الأنبا بيشوى.

وفى عهد البابا يوانس التاسع عشر إستقدم للدير عام ١٩٣٥م ماكينة ديزل قوة ١٧ حصان لرفع الماء من الأعماق ووضعها بجوار (شمال) الساقية (ومازالت هذه الماكينة موجودة للآن، ولكنها غير مستخدمة منذ حوالى عشرين عاماً أو أكثر)، وحالياً تروى الحديقة بموتور كهربائى يسحب الماء من بئر الساقية، القديمة.

٧- القلالى القديمة :

كانت تحيط بأسوار الدير من الداخل قلالى قديمة أنشئت مع الأسوار منذ القرن التاسع، ولم يتبق منها غير القلالى الملاصقة لل سور القبلى، ولقد تم ترميمها وإستخدامها، ووصف الجنرال أندريوسى هذه القلالى قائلاً: «وصوامع (قلالى) الرهبان عبارة عن مخادع لا يدخلها النور إلّا من أبوابها، وإرتفاع هذه الأبواب يزيد

قليلاً على المتر، ورياشها (أثاثها) بساط من الحصر وآنية للأكل (فخارية) وجرة (ماء)، وفقر الرهبان (الاختياري) لا يسوغ (لا يسمح) لهم قط أن يقتنوا أمتعة الزينة الفاخرة فيستغيضون عنها بالتقليد، فمثلاً عوضاً عن المصابيح الفضية يعلقون مصابيح من بيض نعام (المشابه للفضة كنوع من التقليد)، ومنظر هذه المصابيح يأخذ الأَبصار» .

أما القلالي الحالية الملاصقة للسور البحرى فقد أنشأها القمص يوحنا ميخائيل رئيس الدير عام ١٩٣٤م على أنقاض القلالي القديمة، وكذلك القلالي المنفردة الملاصقة للسور الشرقى أنشأها قداسة البابا شنودة الثالث في السبعينات، ثم صار إنشاء القلالي بعد ذلك خارج الدير الأثرى .

٨- المطحنة القديمة :

عبارة عن حجرة كبيرة لها قبة وبها طاحونة ضخمة بتروس خشبية كانت تديرها الدواب، وما زالت موجودة ولكنها غير مستخدمة حالياً، وبداخلها من الجهة الشمالية حجرتان متداخلتان واحدة لتخزين الحبوب والداخلية (الشمالية) لتخزين الدقيق المطحون، والتهوية جيدة في هاتين الحجرتين لأن هندسة مبانيهما ونوافذها مصممة بحيث تحفظ الحبوب والدقيق من السوس والحشرات والرطوبة. وجارى الآن العمل لترميم هذه الطاحونة بواسطة هيئة الآثار المصرية لتحويلها إلى مزار أثرى .

٩- الفرن القديم - والموقد البلى :

كان الفرن تحت إحدى قباب كنيسة القديس أبى سيفين التى تقع أطلالها فى الركن الشرقى الجنوبى بعد آخر صف القلالي القبلىة (من جهة الشرق) ولكنها أزيلت الآن بواسطة هيئة الآثار المصرية حتى يمكن ترميم الكنيسة وإعادة إستخدامها، وجارى العمل لترميمها الآن (صيف ١٩٩٠م) تحت إشراف مهندسى ومفتشى هيئة الآثار المصرية .

١٠- مجمع كنائس الدير :

بجانب كنيسة القديس أبى سيفين الجارى ترميمها حالياً ، وكنيسة السيدة العذراء وكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل الكائنتين بالحصن القديم توجد أربع كنائس أخرى هى كنيسة الأنبا بيشوى وبداخلها من الناحية البحرية (من الخورس الأول) كنيسة السيدة العذراء والأنبا بنيامين ، ومن الناحية الجنوبية كنيسة أبسخيرون ومن الجهة الغربية الجنوبية توجد كنيسة الشهيد مارجرجس .

وهناك رأيان بخصوص هذا التجمع الكنائسى رأى يقول أن جميع هذه الكنائس بمساحتها الضخمة كانت كنيسة واحدة بخمسة هياكل فى العصور الأولى لتسع لعشرات المئات من الرهبان القاطنين بالدير، ولما بدأ عدد الرهبان يقل بعد القرن السابع الميلادى، ونتيجة لتعرضها لهجمات كثيرة من البربر فتهدمت لذلك قسمت عند ترميمها إلى الكنائس الحالية والمدخل (الدوكسار) القبلى والمدخل (الدوكسار) البحرى الذى يفصل ما بين كنيسة السيدة العذراء والأنبا بنيامين شرقاً وبين مخزن الكنيسة غرباً ونحن نميل إلى هذا الرأى لأنه أكثر واقعية .

أما الرأى الثانى ويتبناه بطرر وإيفيلين وايت هو أن الكنيسة الأصلية هى فقط كنيسة الأنبا بيشوى بهياكلها الثلاثة الحالية، ثم أضيفت إليها كنيسة السيدة العذراء والبابا بنيامين من الجهة البحرية، كنيسة أبسخيرون من الجهة القبلى لتكون معاً شكل صليب أما المخزن الجنوبى الغربى فيعتقد أنه كان المعمودية، وقد أضيفت كنيسة مارجرجس فيما بعد لتربيع الشكل ككل ليكون متناسقاً . والشكل التخطيطى الذى أورده بطرر [فى كتابه «الكنيسة القبطية القديمة بمصر ١٨٨٤م ص ٣١٢] كان عبارة عن كنيسة الأنبا بيشوى بهياكلها الثلاثة وكنيسة البابا بنيامين والقديس أبسخيرون والدوكسار البحرى فقط، ولم توجد به كنيسة مارجرجس ولا مخزن الكنيسة أو معموديتها، ولكن الحائط الغربى لكنيسة الأنبا بيشوى كان ممتداً شمالاً وجنوباً مما يدل على وجود مبانى سابقة لكنيسة مارجرجس، وكذلك الحائط البحرى كان ممتداً غربى الدوكسار البحرى مما يدل أيضاً على أن المبانى كانت ممتدة (أى المخزن القبلى

الغربي) أو المعمودية ولكنها كانت موجودة في الرسم التخطيطي بكتاب أديرة وادي
النطرون لايفيلين وايت الجزء الثالث الذي أوضح أيضاً وجود منارة واحدة فقط وقصيرة
جداً تقع شرقي الدوكسار البحري وكان بها جرس صغير.

ولقد ذكر بطر (ج ٢، ص ٣١٦) أن الهيكل والمباني الرئيسية في الكنيسة الحالية
أنشئت منذ القرن السادس أو السابع الميلادي (فوق الكنيسة الأصلية التي من القرن
الرابع) والصحن الغربي للكنيسة والزجاج المعشق بالنوافذ، وباب الهيكل ترجع إلى
القرن العاشر أو الحادي عشر، أما إيفيلين وايت ج ٣ ص ١٤٢، ١٤٣) فلقد ذكر أن
الكنيسة الأصلية بهياكلها الثلاث والخورس الأول والصحن (بدون الحوائط الجنوبية
التي بوسطه) هذه كلها ترجع إلى القرن التاسع الميلادي لأنها تشبه عمارة تلك
الحقبة، كما أنها تجددت بعد الغارة الخامسة ٨٣٠ - ٨٤٩ م. ومؤسسة على الكنيسة
القديمة وفي نفس المكان. أما كنيسة البابا بنيامين وكنيسة مارجرجس والمخزن (أو
المعمودية) والدوكسار القبلي والدوكسار البحري فهذه أضيفت فيما بعد حسب رأي
إيفيلين وايت، ويضيف أنه لسبب ما فلقد حدث تعديل في الناحية الجنوبية للكنيسة
التي من القرن التاسع، وذلك بإضافة كنيسة القديس أبسخيرون في أواخر القرن
الحادي عشر أو أوائل القرن الثاني عشر، وربما كانت المعمودية الحالية هي هيكل
جنوبي لكنيسة الأنبا بيشوى. وهكذا فإن إضافات كثيرة قد حدثت في العصر
الفاطمي (القرنين الحادي عشر والثاني عشر) على الكنيسة الأصلية مثل الدوكسار
القبلي الذي ربما كان الجزء الغربي من صحن كنيسة القديس أبسخيرون ثم امتداده
كان مدخلاً ثانوياً ثم أصبح كنيسة مارجرجس لإستكمال إستقامة الضلع الجنوبي.

بينما في الضلع البحري بدأ بإضافة كنيسة العذراء أو البابا بنيامين على الكنيسة
الأصلية وذلك ربما يكون قد حدث بعد نياحة البابا بنيامين في القرن الرابع عشر
(تخليداً لأعمال الترميم التي قام بها في الكنيسة)، ثم استكملت الإضافات في
الناحية البحرية لاستكمال إستقامة الضلع البحري وذلك في عصور مختلفة، هذه هي
آراء إيفيلين وايت، وإن كنا نرى أن كنيسة البابا بنيامين كانت هيكلًا في الأنبا
بيشوى ثم إستقلت عنها في القرن الرابع عشر لتخليد إسم البابا بنيامين الذي رمم
الكنيسة.

ولقد أعجب بطر بالهيكل الرئيسى (الأوسط) فى كنيسة الأنبا بيشوى وخاصة لأنه مرتفع درجة عن الخورس ثم يرتفع فى الشرقية ست درجات ثلاثة مستقيمة تعلوها ثلاثة نصف دائرية لتكون سبع درجات العرش (الاثرونوس) وهى مغطاة بالزخام الأبيض مما يعطى منظرًا جميلًا للهيكل منذ القرن السادس أو السابع الميلادى، ويرى كل من بطر ووايت أن الحوائط الموجودة فى وسط صحن الكنيسة لم تكن موجودة أصلاً بل أضيفت فى وقت متأخر وربما فى العصر الفاطمى وذلك لتدعيم الأكتاف الحاملة لجمالون الصحن، ولذلك استعيض عن الأنبل الصغير الحجرى الذى التصق بالحائط بأنبل آخر خشبى أكبر منه مازال موجوداً للآن.

ويفصف دليل المتحف القبطى (سميكة ١٩٣٢) الكنيسة فيقول «وأجل ما بالدير من الأبنية، كنيسة الأنبا بيشوى ولها ثلاثة أبواب، واحد فى كل من جهاتها البحرية والقبلية والغربية، ويدخل الزائر من الباب الغربى (إذ كان مستعملاً حينذاك) إلى صحن الكنيسة الذى تفصله عن الجناحين القبلى والبحرى أكتاف من الحجر ويغطى صحن الكنيسة والجناحين جمالون من الطوب الأحمر، أما الهياكل فتغطيها قباب، وينقسم الصحن إلى ثلاثة أقسام تفصلها عن بعضها البعض جدران من البناء لا يزيد إرتفاعها عن مائة وخمسين سنتيمترًا يتوسطها باب صغير، ويفصل القسم الشرقى (من صحن الكنيسة) عن الهيكل الأوسط حجاب من الخشب المطعم بالعاج، وبالهيكل المذبح وخلفه بالجدار الشرقى (حضر الآب) مدرج مكسو بالرخام، وإلى يسار الكنيسة الكبرى كنيسة صغيرة بها جسد الأنبا بيشوى وبها مذبح واحد ويغطيها قباب، وعلى يمينها كنيسة أخرى على إسم الشهيد ابسخيرون تعلوها قبة جميلة، وخلف هيكلا توجد المعمودية وهى الوحيدة فى كنائس الأديرة (حينذاك) وفى الزاوية القبلية الغربية (توجد) كنيسة مارجرجس وقد سقط سقفها وأعيد بناؤها حديثاً».

ووصف الأمير عمر طوسون (١٩٣٠) الكنيسة ونشر مشاهداته فى كتاب عن وادى النطرون إذ يقول «كنيسة الأنبا بيشوى هى أوسع كنائس الوادى، وبها ثلاثة هياكل وحجاب الهيكل الوسطاى مصنوع من خشب الصنوبر، والأعجب هو أن النقش الذى به فى غاية الدقة إذ تجد الرسم بارزاً مقدار ٢ سم فى سمك ربع سنتيمترًا، والفراغ أقل من ذلك (وهذا الوصف ينطبق أيضاً على باب الهيكل الأوسط الذى طوله

٣٨٦سم وعرضه ١٦٠سم وهو مازال موجوداً) وفي الحاجز الذى يلى الفسحة (الخورس الأول) التى أمام الهيكل، باب (مرتفع) أربعة درف مصنوعة مثل الحجاب (مثل باب الهيكل الرئيسى) إلا أن القطع المشغولة بالحفر قد فقد معظمها ووضع مكانها قطع من الخشب العادى، وبحرى هذه الكنيسة (توجد) كنيسة الأنبا بنيامين (٨٢) وهو البطريرك الوحيد الذى خرج من الدير (وهذا خطأ لأنه ليس من دير الأنبا بيشوى، بل من دير جبل طرا أو دير شهران) وباب هذه الكنيسة من داخل كنيسة الأنبا بيشوى كما أنه توجد كنيسة قبليها كما أن بابها من الداخل أيضاً وهى باسم (الشهيد ابسخيرون)، ويوجد بدير يوحنا كاما المعروف بالسريان خبر بناء هذه الكنيسة وحضور جسد هذا الشهيد إلى هذا الدير (إذ هو مدفون تحت المذبح المدعو على إسمه) على يد البابا بنيامين (٨٢) فحواه أن جسد هذا الشهيد كان بدير الأنبا صموئيل بدير (جبل) القلمون بالفيوم، وحيث أنه قد تهدم أرسل الأنبا بنيامين القس ابراهيم (الأنبا بيشوى) ومعه جماعة إلى هناك فأحضروا الجسد ثم توجهوا به ومعهم البطريرك المذكور إلى دير الأنبا بيشوى ووضعوه بعد ما كفنه بأكفان نقية ولفائف حرير، طيّه بالطيب الفائق مع الجسد المقدس الذى لأنبا بيشوى فى تابوت (خاص منفصل) من الخشب الذى لا ينخره سوس (ثم بعد ذلك دفنه تحت مذبح كنيسته) وكان ذلك فى ٧ طوبه سنة ١٠٤٩ش (١٣٣٢م) ومن هذه الكنيسة يتوصل إلى المعمودية الكائنة شرقها» .

« وكنيسة مارجرجس كائنة فى الزاوية القبلية الغربية من كنيسة الأنبا بيشوى وقد وقع سقفها من مطر سنة ١٦٢٥ش (١٩٠٩م) وأعيد بناؤه فى رئاسة القمض يوحنا ميخائيل رئيس الدير المذكور سنة ١٦٤٥ش (١٩٢٩م) وفى وسط الحائط الغربى لكنيسة الأنبا بيشوى باب يوصل إلى سرداب بطول هذا الحائط » .

ومن وصف الأمير عمر طوسون هذا نتحقق أن الحجاب المقصود فى وصف دليل المتحف القبطى هو الباب الضخم الذى للهيكل الأوسط، كما أوضح أن رفات الشهيد ابسخيرون نقلت إلى دير الأنبا بيشوى فى عهد البابا بنيامين الثانى . وإن كان لا يذكر شيئاً عن الفواصل التى بين الخورس، إلا أنه ذكر الباب المرتفع الذى يفصل بين الخورس الأول وصحن الكنيسة وهوباق كما هو إلى الآن .

ويحسن بنا أن نورد هنا ترجمة لبعض أجزاء وصف كنائس دير الأنبا بيشوى كما سجله عالم القبطيات الشهير بطر عندما زار الدير عام ١٨٨٢م إذ يقول «الكنيسة الرئيسية هنا والتي تحمل إسم الأنبا بيشوى هى بناء غاية فى الجمال ، وملاحظها فى مجملها من الطراز البازيليكي على الرغم من إنها بنائة قبطية أيضاً ، ولكن يصعب تحديد الطراز المعمارى لها بدقة ، ولها ثلاثة مداخل واحد منها فى الناحية البحرية ، يؤدى إليه دو كسار (مدخل) مغطى بقبة جميلة من الطوب الأحمر ، وآخر يقع فى الجهة المقابلة من الجانب القبلى ، بينما المدخل الثالث يؤدى إلى مدخل مركزى كبير فى نهاية الجهة الغربية من الكنيسة .

ويحتوى بناء الكنيسة على صحن بجناح شمالى وجناح جنوبى يربطهما جناح غربى (أو مدخل) ويغطى الصحن جمالون مرتفع وكذلك الأجنحة (التي حول صحن الكنيسة) مغطاه بجمالون (أقل فى الارتفاع من جمالون الصحن) ويفصل الأجنحة عن صحن الكنيسة أكتاف (أعمدة) ضخمة تكون أرشات مرتفعة ومدببة القمة ، ثم تم سد هذه الأرشات بعد ذلك ببناء المسافة ما بين هذه الأكتاف لتكون حوائط الصحن القوية التى تحمل السقف (الجمالون) ولقد تم رشق كتفين (عمودين) جانبين فى وسط الصحن (يكون كل منهما زاوية مع الحائط الجانبى الملاصق) ، مما أدى إلى انقسام الصحن إلى قسمين ، ولم يكن فى الأصل هكذا بدليل أن الكتف الشمالى للصحن يعترض الأنبل الحجرى القديم ، مما دعا إلى إنشاء أنبل خشبى إلى الشرق منه (لكن من رأينا كرهبان أن الأنبل الخشبى هو الأصل لأن هذا هو مكان الأنبل فى جميع الكنائس القبطية ، أما الأنبل الحجرى فهو لوضع كتب اللقان والبصخة عند الصلاة فى هذا المكان فى مناسباتها حسب الطقس القبطى) ، وفى أرضية صحن الكنيسة (من الغرب) يوجد حوض رخامى (لقان) خاص بطقس غسل الأرجل ... ولقد تم فصل الخورس الأول كلية عن الصحن بحائط به باب مرتفع يغلق بباب بأربعة درف وذلك لفصل النساء عن الرجال ، ولكن يبدو أنه لم تحضر أية سيدة إلى الدير منذ إنشائه (وتصحیحاً لرأى بطر فإن سبب هذا الفصل هو أن أبواب الخورس الأول كانت قديماً تغلق بعد قداس الموعوظين وقبل تلاوة قانون الإيمان ليقصر الحضور فيه على المتناولين فقط) . والباب الأوسط المؤدى للخورس الأول مرتفع وتزينه وحدات من فن الحفر

الجميل والبارز وكل وحدة محاطة بإطار من العاج ، وهناك أيضاً بابان جانبيان يفصلان الخورس الأول عن أجنحة الصحن ولكنهما صغيران ، وأرضية صحن الكنيسة فى نفس مستوى الخورس الأول ويغطى الخورس الأول جمالون (من الطوب) مستمر بطول الخورس . ويزين الخورس الأول نجفة برونزية (تضاء بالشموع وموجودة بمتحف الدير حالياً) ، وبيض النعام .

ورسم على الحائط يظهر ما بقى منه أنه لما جرجس مع أشكال جبصية ملونة فى الشبابيك التى بأعلى الحائط القبلى والحائط البحرى للخورس الأول وفى الحائط الفاصل بين الخورس والصحن .

وهناك كنيسة جانبيتان تفتحان على الخورس . الكنيسة البحرية على إسم العذراء وتحوى جسد الأنبا بيشوى فى مقصورة ، ولها فولت (جمالون) شرقى غربى وبها هيكل واحد والكنيسة الأخرى فى الجانب القبلى من الخورس وهى أكبر وتغطيها قبة غاية فى الروعة والجمال ولها مذبح رخامى واحد وهو على اسم الشهيد أبسخيرون ، وعلى شمال الهيكل يوجد ممر ضيق يؤدى إلى المعمودية التى تقع شرقى الهيكل ... ، والكنيسة الجانبيتان تقعان خارج المبنى الأصيل وأضيفتا عليه ، لأن الكنيسة الأصلية (الأنبا بيشوى) لها هياكلها الثلاثة المستقلة ، والهيكل الرئيسى لكنيسة الأنبا بيشوى يرتفع درجة عن منسوب الخورس ، وأرضية المذبح أيضاً ترتفع درجة عن منسوب الهيكل وهذه الدرجة تصل إلى شرقية الهيكل ومتصلة بها ، ولكن يظهر إرتفاع منسوبها عن الهيكل من الجوانب الثلاثة الأخرى (حول المذبح) وتعلوها إلى الشرق ست درجات رخامية جميلة ، ثلاثة منها مستقيمة وتعلوها ثلاث درجات نصف دائرية تمثل العرش (إثرونس) .. ويوجد صليب (من الجبص) فى مركز القبة الجميلة (من الداخل) التى تغطى الهيكل الرئيسى .

ويوجد باب يصل بين الهيكل الرئيسى والهيكلين القبلى (يوحنا المعمدان) والبحرى (العذراء) ولكن الباب المؤدى إلى الهيكل البحرى أقل فى الارتفاع من الباب المؤدى إلى الهيكل القبلى ...

... وتوجد منارة غير مرتفعة بجوار الدوكسار البحرى (من الشرق) وبها جرس

صغير» .

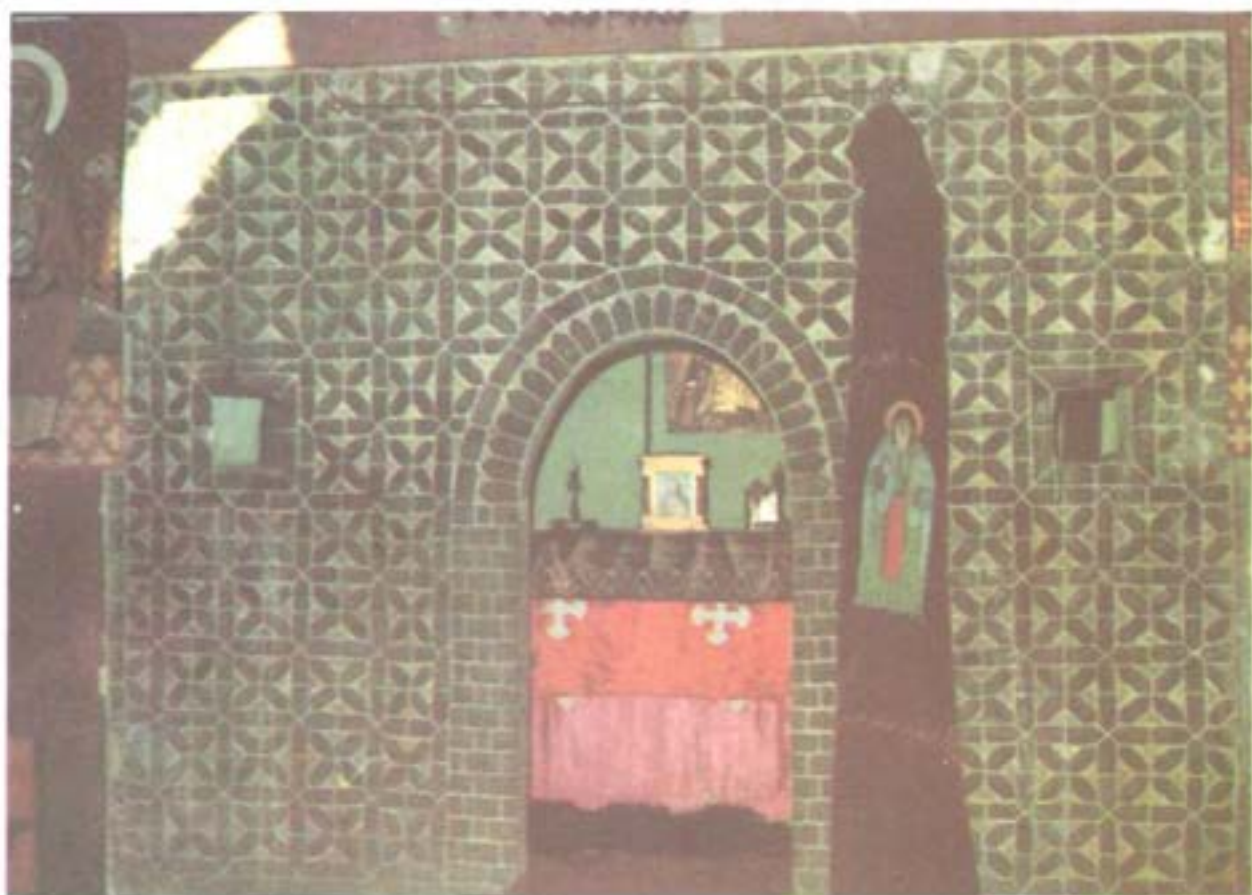
هذا بعض ما ذكره بطرر منذ أكثر من مائة عام ومازال الحال كما هو، ما عدا نقل جسد الأنبا بيشوى من مقصورته التى كانت بكنيسة الأنبا بنيامين إلى مقصورة جديدة شمال الخورس الأول فى كنيسة الأنبا بيشوى وذلك منذ عام ١٩٦٨ . كما أنشأ القمص بطرس رئيس الدير منارة غربى الدوكسار البحرى عام ١٦٢٨ ش (١٩١٢م) موازية للمنارة القديمة الشرقية التى رآها بطرر والتى تهدمت قمتها واستعيض عنها بمنارة أخرى حديثة شرقها . وفى كل منهما حالياً جرس صغير . كما لم يذكر بطرر كنيسة مارجرس ربما لأنها كانت قد تهدمت وقت زيارته للدير .

أما عن الأنبل (المنبر) الخشبى الذى بصحن الكنيسة فيقول عنه إيفلين وايت (ج ٣ ص ١٤٧) : « فى الناحية الشرقية من صحن الكنيسة وعلى يسار الداخل إلى الخورس الأول يقع الأنبل الخشبى الذى ترتفع أرضيته حوالى ١,٥٠ متر عن أرضية الكنيسة ، ويثبت على عمود خشبى من الركن القبلى الغربى ، ويستند على الحائط (الفاصل بين الخورس وصحن الكنيسة) من الشرق حيث يوجد مدخل السلم المؤدى إلى الأنبل من داخل هذا الحائط (الغربى للخورس) وعلى عمود مبانى من الجهة الغربية البحرية وجوانب الأنبل الثلاثة تتكون من صفين من وحدات الخشب الأرابيسك ممتدان أفقياً داخل برواز عليه نقوش محفورة » ويقترح وايت أن تاريخ إنشاء الأنبل من القرن الرابع عشر .

أما عن المخزن الذى يقع فى الشمال الغربى من كنيسة الأنبا بيشوى وهو مكون من حجرتين داخل بعضهما تفتح الأولى (الشرقية التى بجوار الدوكسار البحرى) على الكنيسة بباب له أرش جميل منخفض ، وتفتح الداخلية على الطرق (الدهاليز) الغربية المؤدية إلى المائدة ، ويوجد قبالة باب آخر فى المائدة ويفصل الحجرتين أرش ضخم جميل شبه دائرى ، وقبة كل منهما شبه كروية غاية فى الجمال المعمارى الذى يرجع للقرن التاسع الميلادى ، ولربما كانت هاتان الحجرتان كنيسة مستقلة فى زمن بعيد أو كانت الشرقية دوكسار والغربية مدخل يؤدى إليه ، ولكن الرهبان يعتقدون أنها كانت معمودية لأن الموقع الطقسى للمعمودية هو الجانب الشمالى الغربى من الكنيسة كما فى كنيسة أبى سرجة فى مصر القديمة ، وخاصة أنه كانت تُقام فيها خدمات طقسية تستخدم الماء [إيفلين وايت ج ٣ ص ١٦٢ ، ١٦٣] .



دير القديس العظيم الأنبا بيشوى بملوى - صعيد مصر



حجاب هيكل الأنبا بيشوى بكنيسة الأثرية بدير البرشا - ملوى



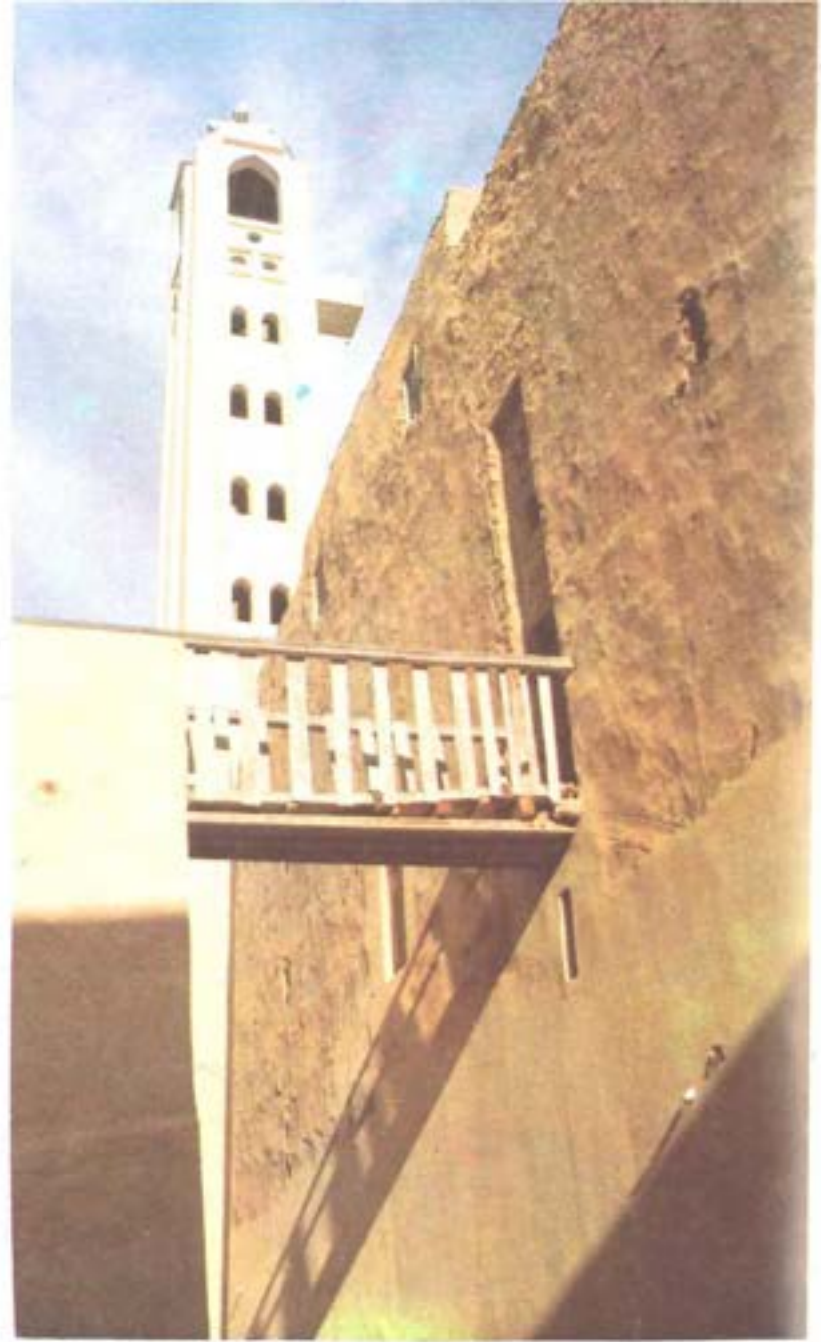
منظر عام للدير
من الجهة البحرية الغربية

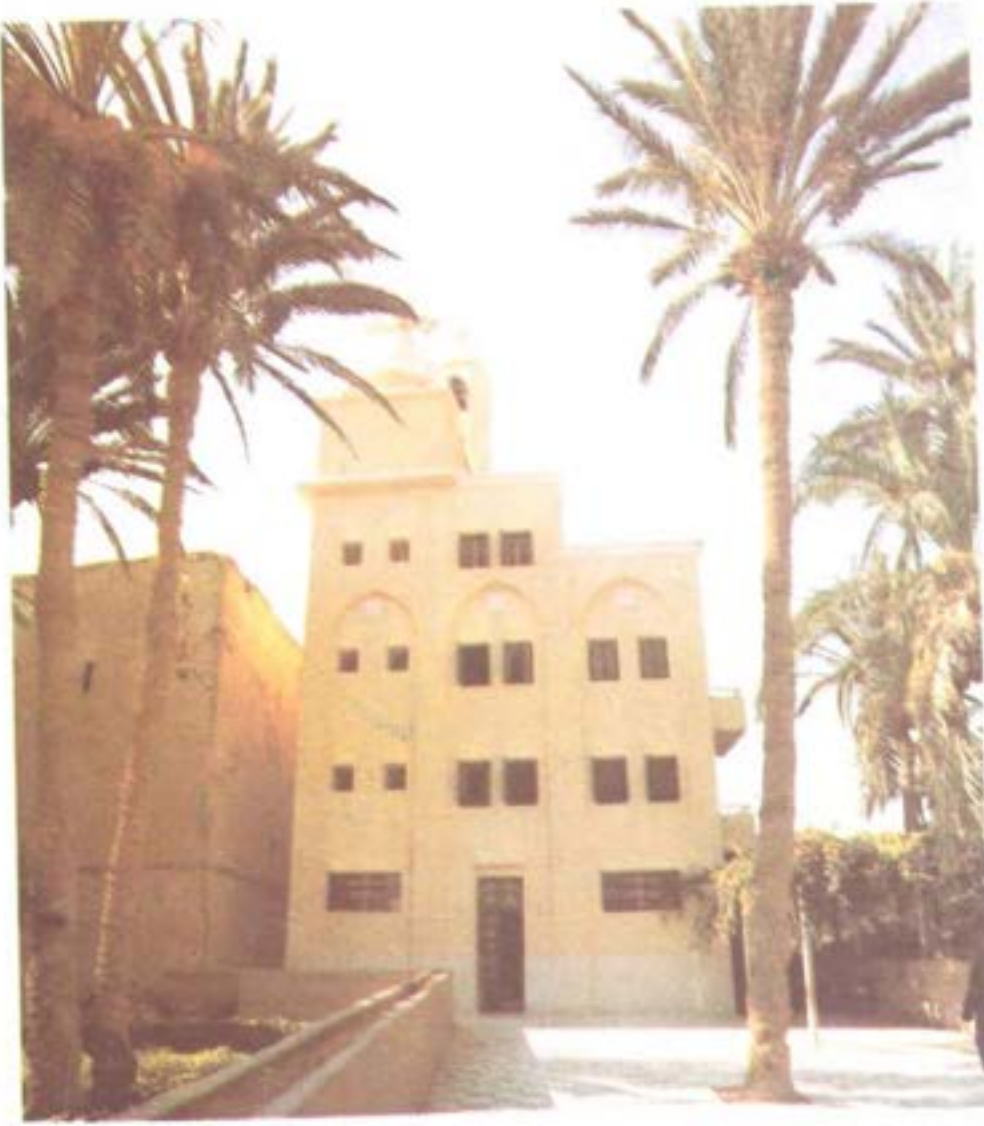


امتداد التعمير

الحصن القديم :

شيده الامبراطور زينون في أواخر القرن الخامس
الميلادي





قصر الضيافة الجديد و يظهر في الصورة
جزء من الحصن القديم .



جانب من المكتبة
الحديثة بالدير .

الطريق المؤدى لدير الأنبا بيشوى .



حديقة الدير .





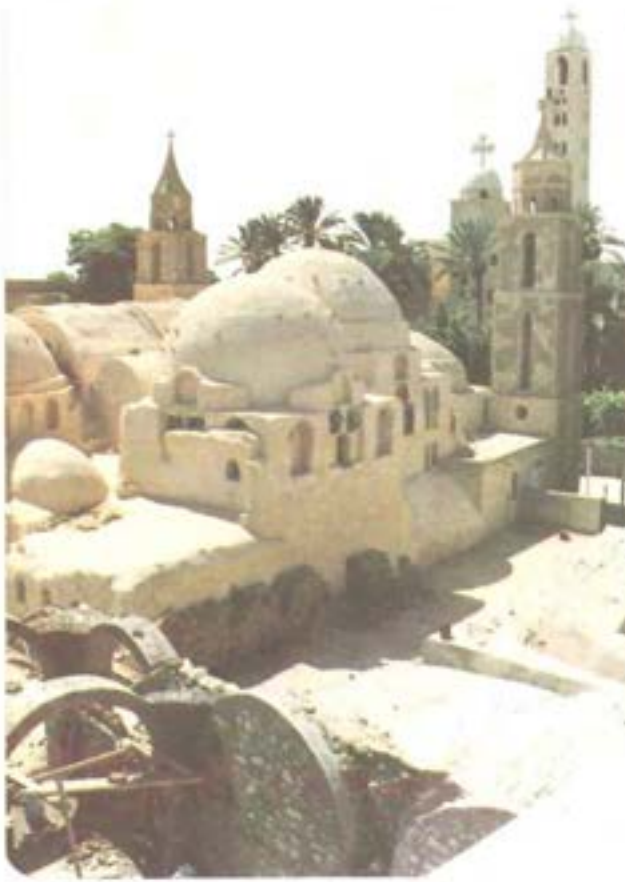
قلالى رهبان من القرن التاسع وما زالت تستعمل حتى اليوم ...



مدفن الرهبان الجديد .

كنائس الدير .

١- كنيسة الأنبا بيشوى الأثرية



منظر عام من الجهة الشرقية بعد ترميمها .



مدخل الكنيسة والمنارتان .

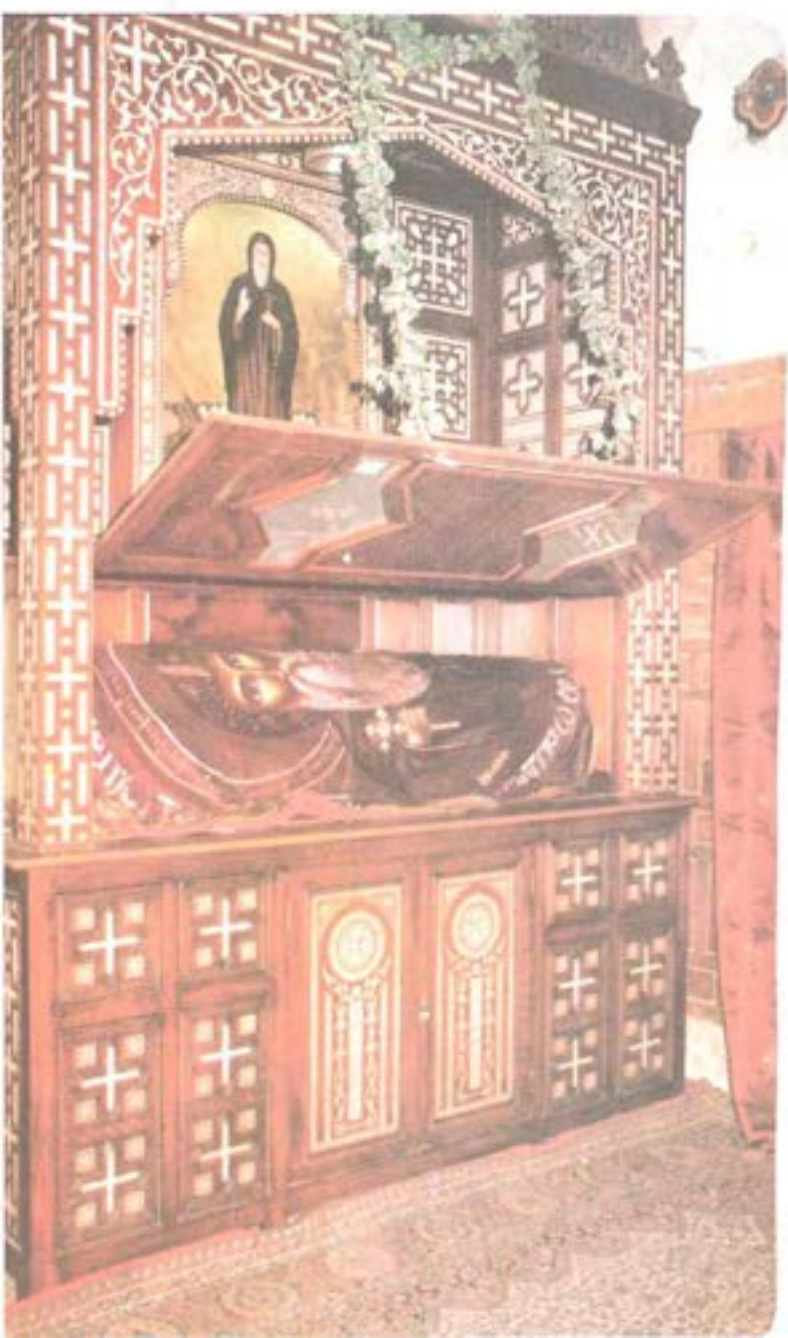


كنيسة الأنبا بيشوى بعد الترميم (الجهة البحرية) والمدخل والمنارتان .



كنيسة الأنبا بيشوى (منظر داخلى) .

باب هيكل كنيسة الأنبا بيشوى (القرن
الـ١٢).



مقصورة القديس العظيم الأنبا بيشوى والتي تحوى
جسده الطاهر.

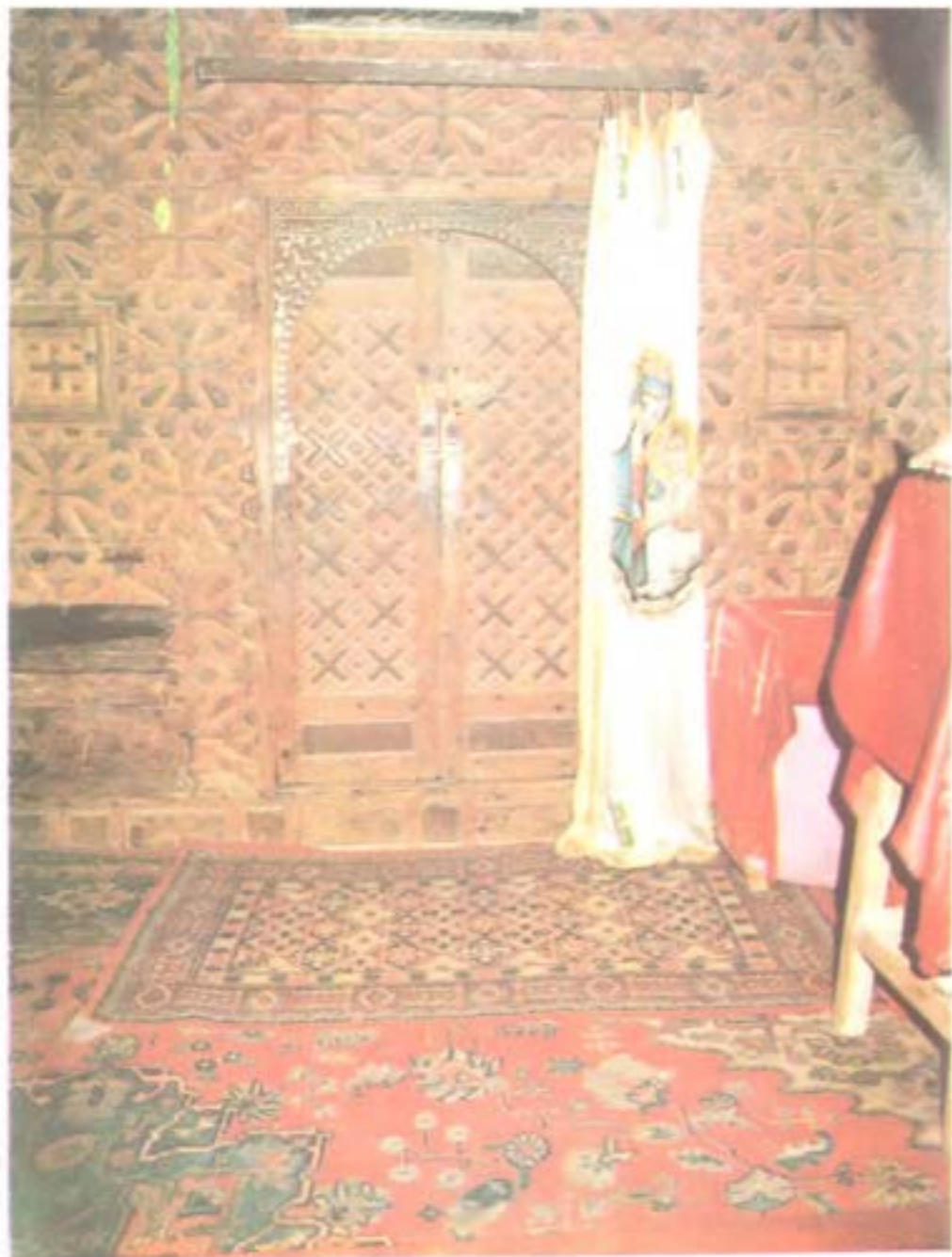


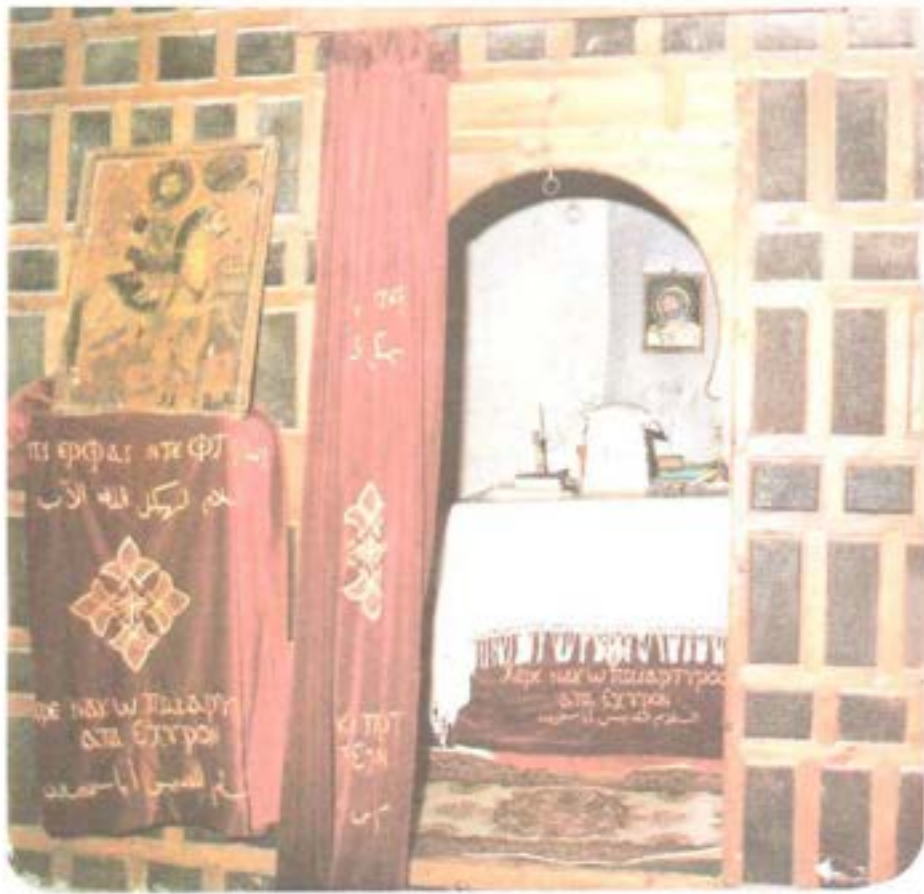
وحدة زخرفية من باب هيكل كنيسة الأنبا
بيشوى .



انبل خشبي من القرن السادس .

٤- كنيسة السيدة العذراء والبابا
تيموثاوس الأول (البيطريَّة ٣٨)



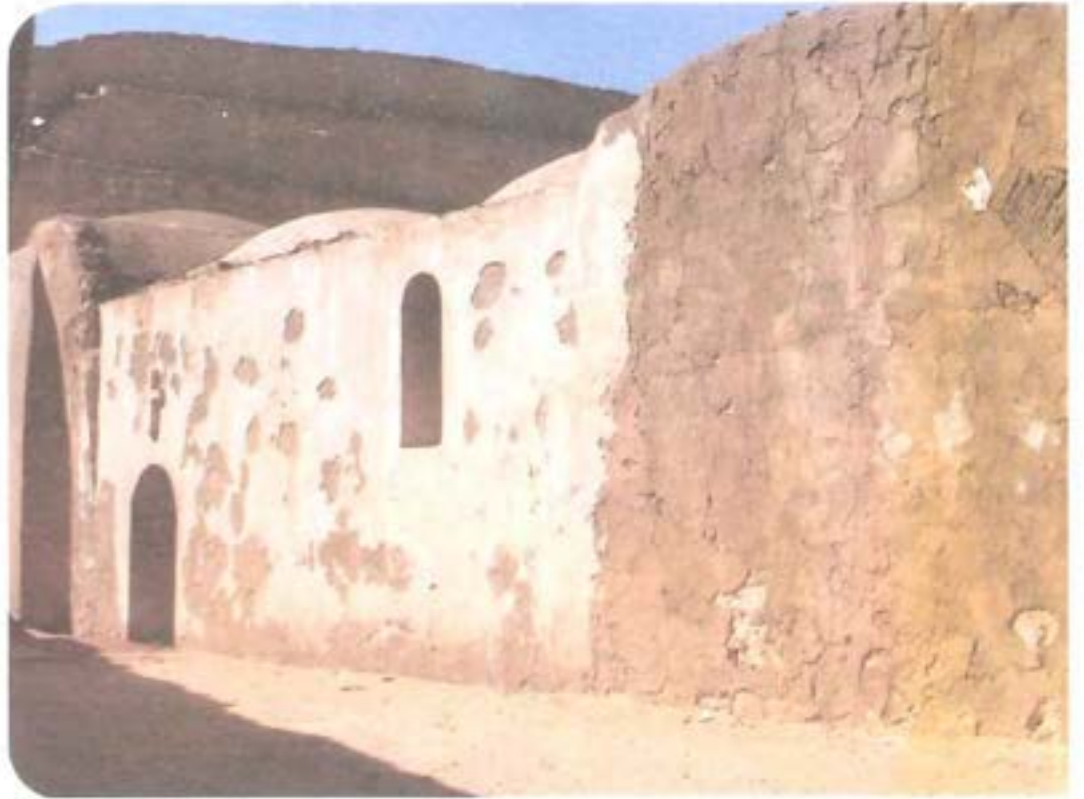


٣- كنيسة الشريفة سبخيرون القلبي

وهي داخل كنيسة الأنبا بيشوى من الناحية
القبليّة من خورس المؤمنين وبها عظام القديس
بسخيرون تحت المذبح ، وملحق بها معمودية
كبيرة وبها خورسان وحجاب قبطى قديم ...



٤- كنيسة الشهيد مار عيسى

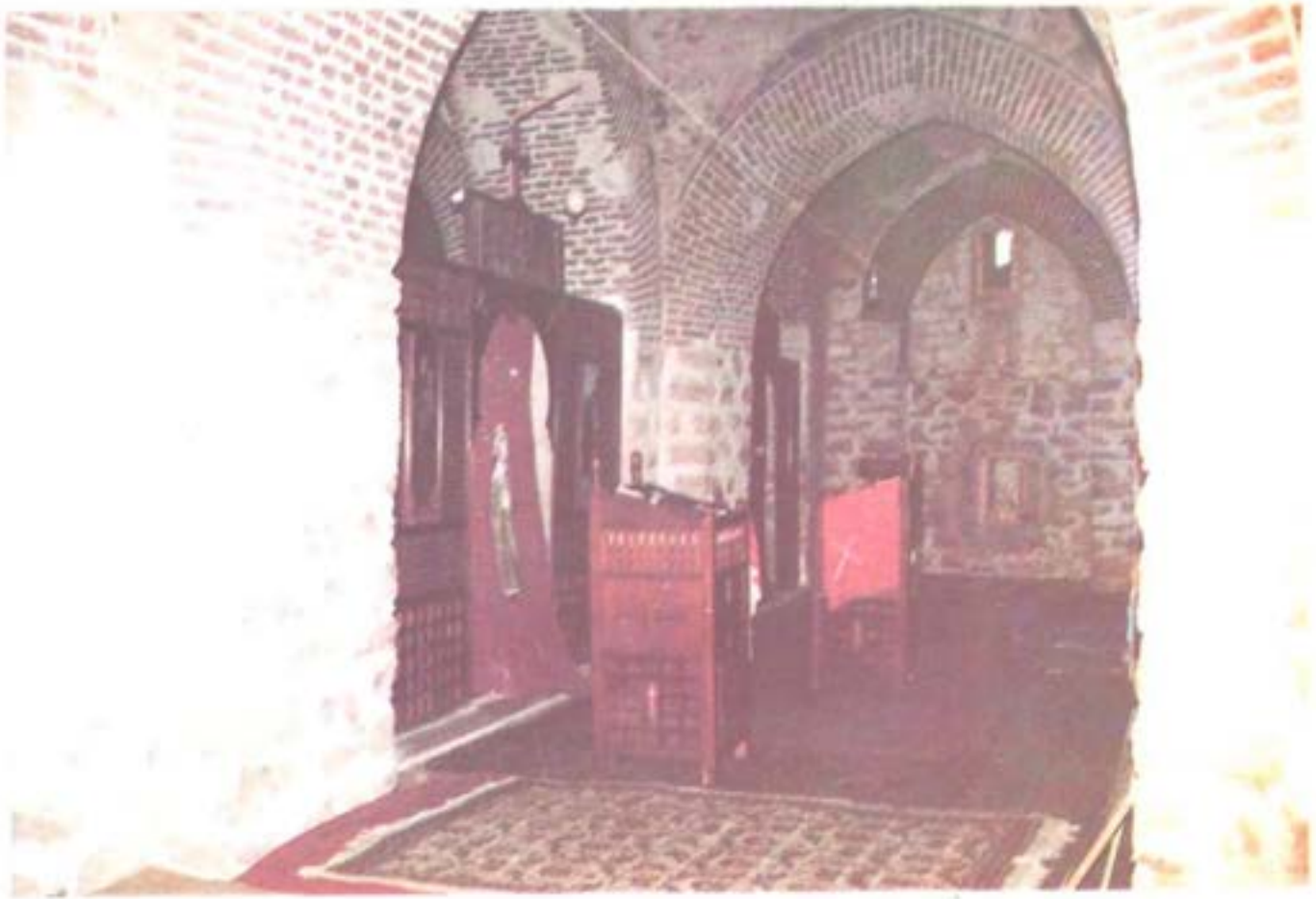


وهي في الجانب الغربي القبلي من كنيسة الأنبا بيشوى ولها ستة قباب
منخفضة وبها مذبحان وخورسان ...



(منظر داخلي)

كنيسة السيدة العذراء (بالحصن)



منظر داخلي لكنيسة العذراء بالحصن .



هيكل كنيسة السيدة العذراء بالحصن .

كنيسة الملاك ميخائيل (بالحصن)



منظر داخلي لكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل



هيكل كنيسة الملاك ميخائيل بالحصن .

الآيقونات



أيقونة قديمة (على القماش) للقديسة العذراء مريم (القرن التاسع).



أيقونة أثرية للسيدة العذراء تحمل السيد المسيح



أيقونة أثرية للملاك ميخائيل .



أيقونة الصليبية (القرن الـ ١٥) .



أيقونة أثرية للقديسين : متى الرسول وتوما الرسول .



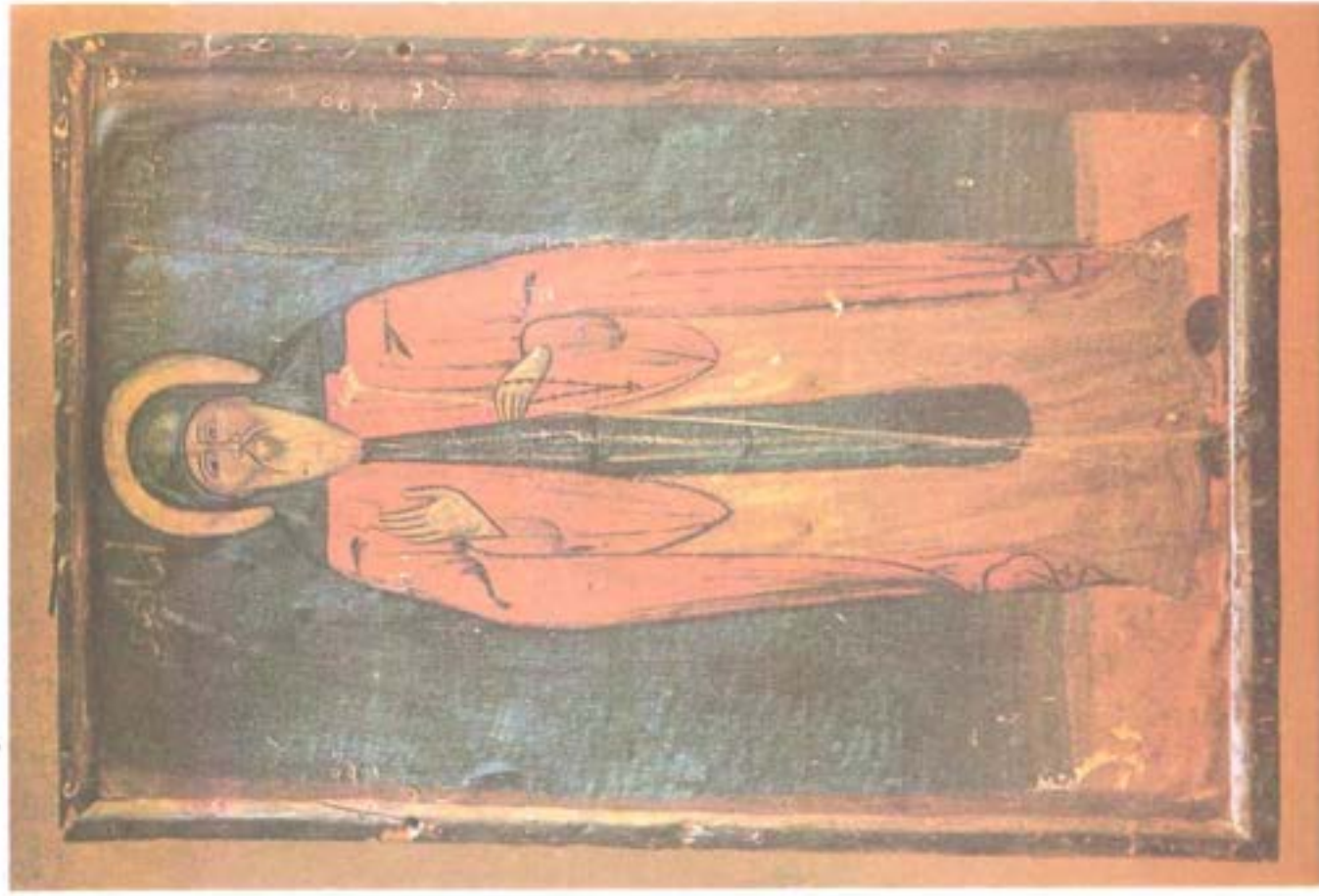
أيقونة للقديس يوحنا الإنجيلي (القرن الـ ١٤)



أيقونة للشهيد مارجرجس .



أيقونة قديمة للقديس أفسخيرون القليني (القرن الـ ١٧)



أيقونة أثرية للقديس العظيم الأنبا يشوع

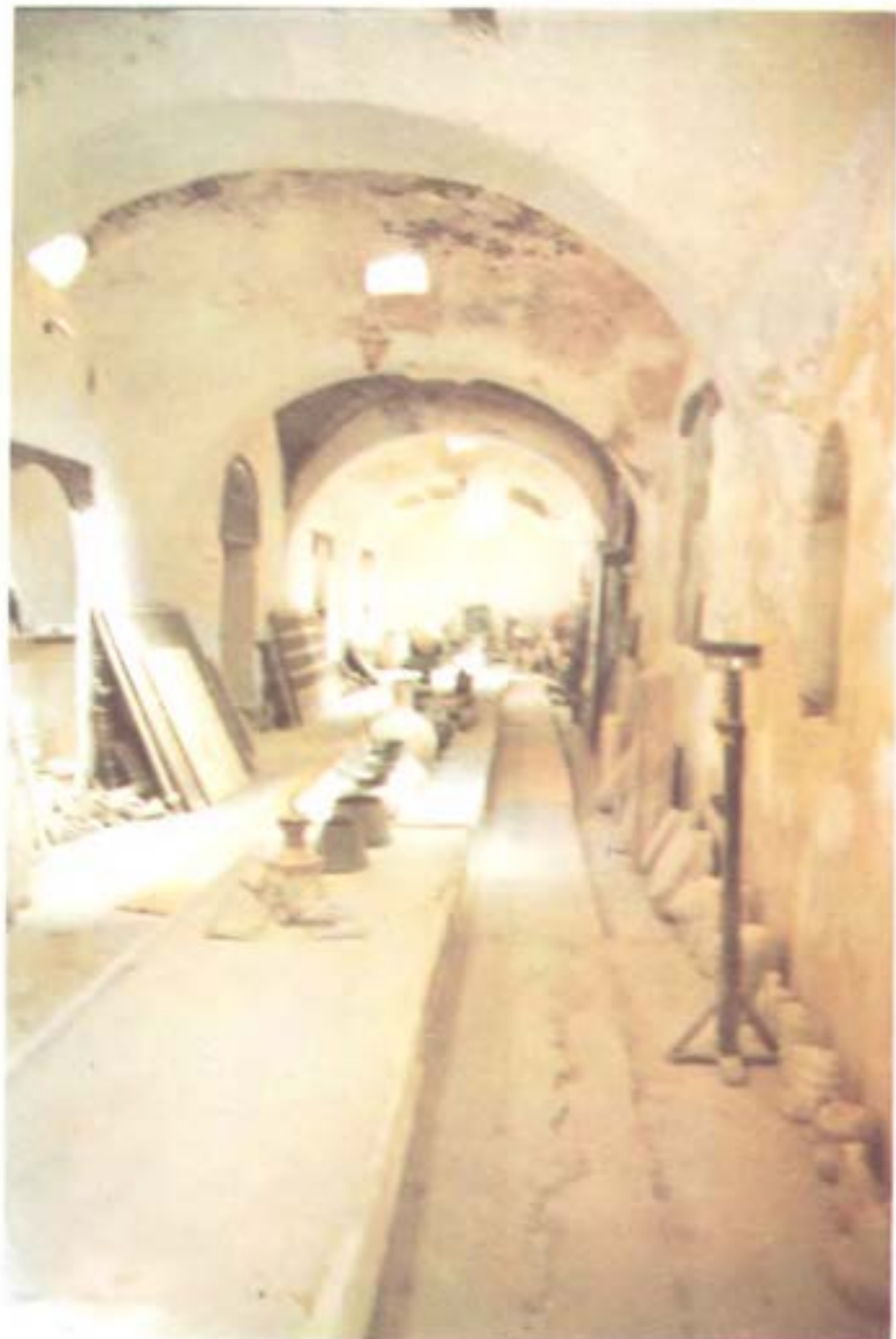


أيقونة أثرية للثلاث مقاررات القديسين .

المائدة

وهي غربي كنيسة الأنبا بيشوى و يفصلها
عنها دهليز ضيق بعرض حوالى مترين ..

طشوت وأباريق نحاسية ...





قدور نحاسية .



مدق (هون) حجرى .

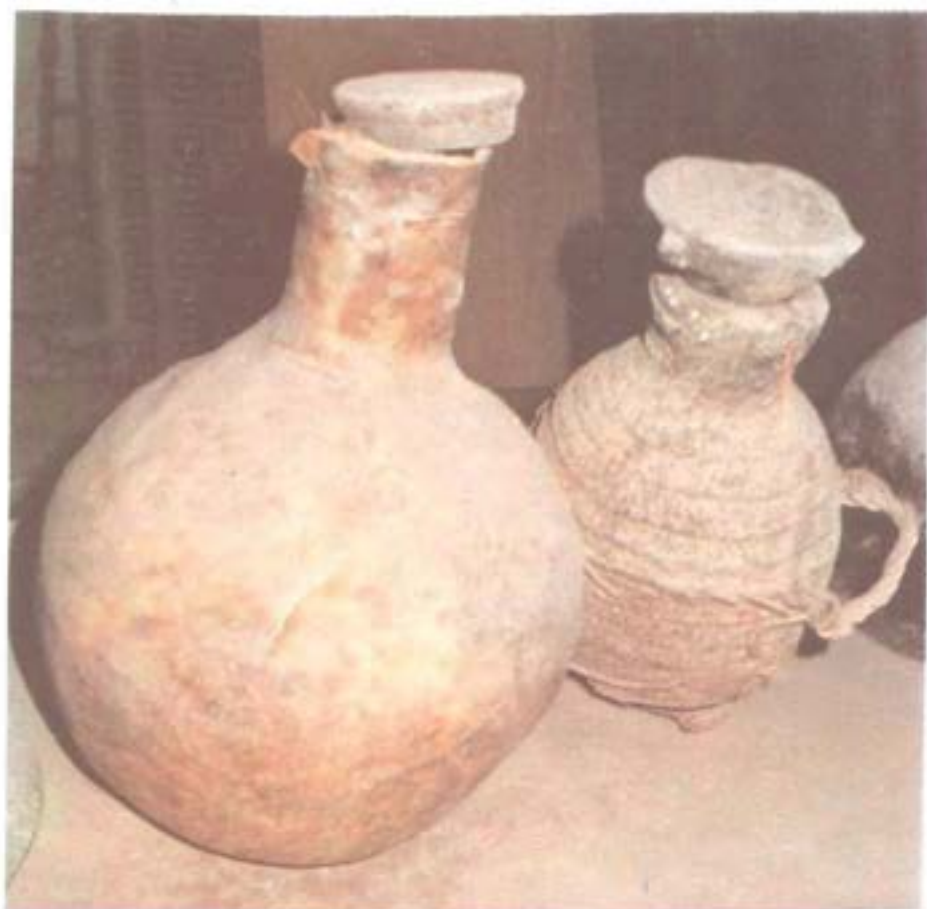
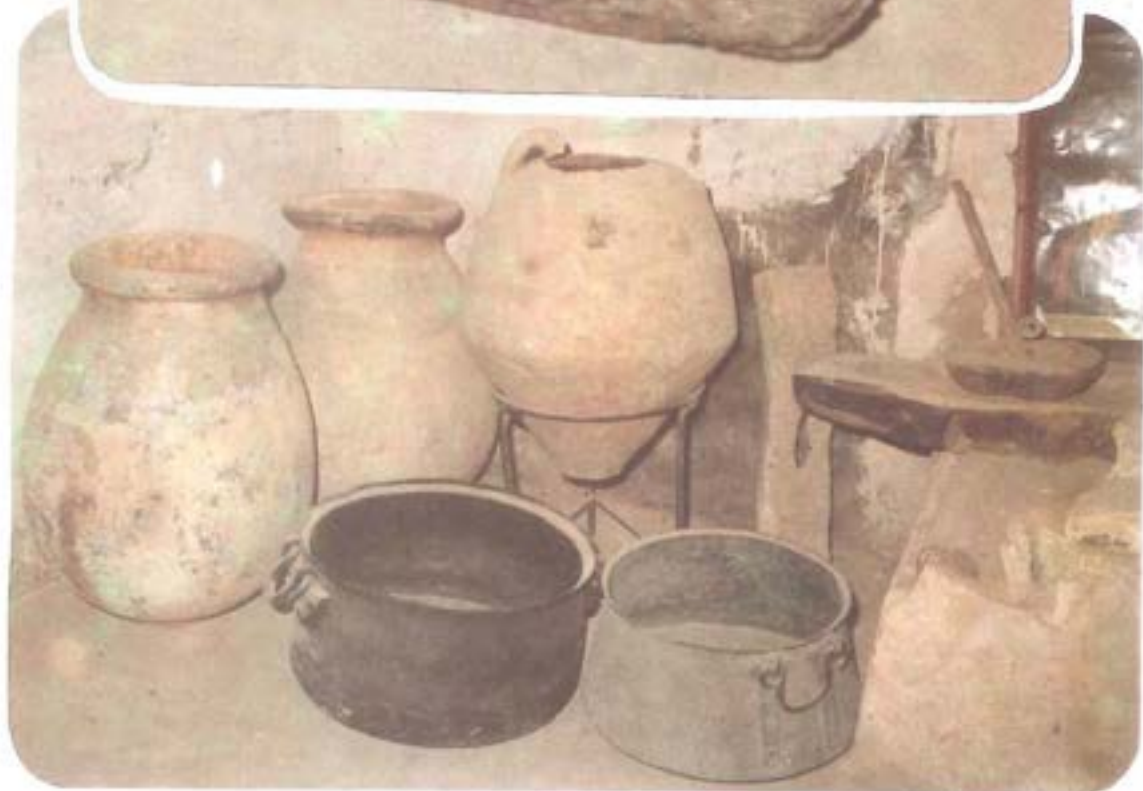


لقان من الرخام .

إناء خشبي مستطيل لتجميع
الزيت .



أواني فخارية ومعصرة زيتون
من القرن السادس الميلادي .



أواني قديمة من الجلد من القرن
السادس الميلادي .

حلية من الخشب المحفور.



كرسي أسقف من القرن الثامن عشر وبجانبه باب هيكل من الخشب على الطراز القبطي الدقيق من القرن التاسع .



ويقول ايفلين وايت أيضاً أن صحن كنيسة الأنبا بيشوى والجناحين البحرى والقبلى على جانبيه مماثلين فى العرض لكل من الهيكل الرئيسى والهيكلين الجانبيين ، فالصحن والجناح الغربى يعادل عرضهما عرض الهيكل الأوسط ، وكل جناح يعادل عرضه عرض الهيكل المقابل له ، وهذا يؤكد فى رأى ايفلين وايت أنهم أنشئوا جميعاً فى زمن واحد بدليل تناسقهم وذلك منذ القرن التاسع بعد التجديد الذى حدث بعد الغارة الخامسة للبربر على الاسقيط .

كما يحسن بنا أن نشير إلى أن جسد البابا بنيامين الثانى ٨٢ (١٣٢٧ - ١٣٣٩م) مدفون فى مقبرة فى الركن الجنوبى الغربى من كنيسة الأنبا بيشوى بعد أن تنيح فى ٦ يناير ١٣٣٩م ودفن فى دير شهران بطرا وهو الدير الذى كان راهباً فيه ، ثم أحضر جسده إلى دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون بناء على وصيته لأنه تعب فى ترميم كنيسة الأنبا بيشوى وتغيير سقفها (الذى كان عبارة عن جمالون من الخشب والذى هاجمه النمل الأبيض) بجمالون ضخيم مرتفع من الطوب الأحمر وذلك فى عام ١٣٣٠م ومازالت توجد بمتحف الدير بعض قطع من الأعمدة الرخامية التى كانت تحمل الجمالون الخشبى القديم قبل إستبداله .

+ ولولا هذا البابا الذى أرشده الله لترميم دير الأنبا بيشوى ، لكان الدير تحول إلى أطلال مثل الأديرة الأخرى التى هاجمها النمل الأبيض فسقطت وهجرها الرهبان وتحولت إلى أطلال مثل دير الأنبا يحنس القصير ، والأنبا يحنس كاما ، ودير الأرمن ، ودير أبانوب ، ودير مارالياس ... وغيرهم ومازالت أطلالهم موجودة للآن . وإن كانت هيئة الآثار المصرية قد بدأت صيف ١٩٨٩م فى الكشف عن دير الأرمن الذى كان البدو قد إستولوا على جزء كبير من أطلاله وحفروه لزراعة البطيخ .

١١- المائدة الأثرية والمطبخ :

تقع المائدة الأثرية غرب كنيسة الأنبا بيشوى ويفصلها عنها ممر ضيق وكان يوجد بحرئى المائدة مطبخ يدخل منه عن طريق باب إلى المائدة ، وكان لهذا المطبخ قبة كبيرة

كما هو واضح فى رسومات بطر عام ١٨٨٣ . ولكنه تهدم وماتزال أساساته فى الأرض . وتقع الساقية خلفه إلى الغرب ، وهناك فكرة لإعادته فى مكانه الأصلى تحت إشراف هيئة الآثار المصرية التى قامت بترميم المائدة فى صيف ١٩٨٩ م .

ووصف عمر طوسون المائدة قائلاً « وفى وسط الحائط الغربى لكنيسة الأنبا بيشوى باب يوصل إلى سرداب (ممر) بطول هذا الحائط (الغربى للكنيسة) وإتساعه متران تقريباً ، وقبالة هذا الباب (تقع) المائدة وطولها ٢٥ متراً ، وكان بها باب (من الناحية البحرية) يوصل إلى المطبخ وقد سد (أغلق بالمبانى) الآن (١٩٣١ م) لنقل المطبخ إلى مكان آخر » .

ويصف دليل المتحف القبطى ١٩٣٢ م المائدة الأثرية قائلاً « وتقع المائدة بجانب (غرب) هذه الكنائس كما هو الحال فى دير البراموس وهى غرفة مستطيلة فى وسطها مائدة من حجر (من الحجارة والطفلة) على إرتفاع متر وعلى جانبيها مصطبتان لجلوس الرهبان إرتفاعهما خمسون سنتيمتراً وفى آخر المائدة (من الجهة القبلىة) كرسى (منجليه) من حجر للقراءة عليه أثناء الطعام » (كما هى العادة بالأديرة القبطية إلى الآن) .

ويقول العلامة إيفلين وايت عن المائدة الأثرية (ج ٢ ص ١٦٣ ، ١٦٤) ما ترجمته « دائماً ما تكون المائدة فى الأديرة بوادى النطرون ملحقة بالكنيسة من الجهة الغربية ، وفى دير الأنبا بيشوى تقع المائدة بمحاذاة الحائط الغربى للكنيسة حيث يفصلها عنها ممر يكون الدخول إليه من الناحية البحرية حيث يبدأ الممر بأرشف حجرى ويغطى الممر كله جبالون مستمر من الطوب ويدعمه خمسة أضلاع كدعامات أرشفة مفلطحة ، وبعد الدخول من الناحية البحرية بمسافة قصيرة يوجد على اليسار باب يؤدى إلى حجرتى مخزن الكنيسة الذى يقع فى الركن الغربى البحرى منها ، وبمحاذاته باب آخر (مغلق) على اليمين يؤدى إلى المائدة ، وفى منتصف الممر يوجد باب على اليسار فى الحائط الغربى من الكنيسة (هو مدخل الكنيسة من الغرب) . وقبالة على اليمين باب مدخل المائدة الرئيسى المؤدى إلى « الباكىة » الوسطى من المائدة وهكذا تكون المائدة متصلة بالكنيسة » .

« والمائدة عبارة عن صالة عرضها ٤,٥ متر بطول غير متجانس يتراوح من ٢٦,٦ - ٢٧,٥ متر، وفي النهاية البحرية من المائدة توجد حجرة مربعة تفتح على المائدة عن طريق باب إن لم يكن بابين، وغالباً كانت (هذه الحجرة) هى مطبخ المائدة » .

« والمائدة مقسمة إلى خمس باكيات (أقسام متساوية) بالإضافة إلى قسم سادس صغير فى النهاية البحرية من المائدة (حيث يجلس رئيس الدير) ومنظر المائدة من الداخل قريب الشبه بتلك التى بدير أبومقار وخاصة من حيث الباكية (القسم) الوسطى التى تغطى بسقف مشابه وغاية فى الجمال وعلى هيئة جمالون بأربعة أضلاع متساوية ومتقابلة (على شكل صليب) مبنى من الطوب الأحمر، والمونة البيضاء، والاضلاع مدببة بعناية فائقة، وهى غير مغطاة بأى طبقة من البياض، والطوب منسق ليكون صليب مركزى بأربعة أضلاع. أما الباكيات أو الأقسام الأربعة الأخرى (باكيتان على اليمين وباكيتان على يسار الجمالون الأوسط) فهى مغطاة بقباب (من الطوب الأحمر) ويفصل كل باكية عن الأخرى أرش يرتكز على الحوائط من الجانبين، ويضاء كل قسم (باكية) من هذه الأقسام الأربعة بنوافذ دائرية فى القباب، وفى وسط مبنى المائدة (بالطول) توجد مائدة (تراييزة) طويلة من الحجر والمونة بارتفاع ٣٦ سم وعرض متر واحد من أعلى (من سطحها) ولكنها تضيق تدريجياً إلى أسفل عند القاعدة. ونهايتها البحرية مدورة من ثلاث أرباع أركانها أما الركن الرابع فيتصل بالمائدة، وتوجد للمائدة شفة لأعلى على جانبيها الطويلين، ويوجد أيضاً بطول كل جانب من جانبيها مقعد بارتفاع ١٢ سم فقط لجلوس الرهبان حيث يجلسون مصلين (متربعين) الأرجل حسب عادة الشرقيين، وفى المساحة المتروكة فضاء قبل النهاية القبلية لتراييزة المائدة توجد منجلية (للقراءة أثناء الأكل) لاشك أنها تماثل مثلتها فى دير السريان ودير البراموس » .

« ويوجد فى منتصف المائدة الحجرية مقابل باب الدخول الرئيسى ممر يؤدي إلى باب مغلق من الجهة الغربية من المائدة كان يؤدي إلى المبنى الموازى للمائدة من الغرب والذي تهدم الآن ولكن يظهر من الخارج أنه مقسم إلى خمسة قباب تماثل فى حجمها قباب المائدة الخمس إلا أنها مبنية من الحجر وليس من الطوب الأحمر المبنية به قباب المائدة » هذا ما ذكره ايفلين وايت .

أما عن تحديد تاريخ إنشاء المائدة فيعتقد إيفلين وايت أنها من القرن الحادى عشر أو الثانى عشر لأن طولها مماثل لعرض كنيسة الأنبا بيشوى والملحقات التى أضيفت إليها فى القرن الحادى عشر أو الثانى عشر مثل كنيسة مارجرجس والمخزن . فلو أنها انشئت قبل ذلك لكانت سيكون طولها بعرض الكنيسة الأصلية (الأنبا بيشوى) المقامة من القرن التاسع .

كما أن الأرض الذى فى البداية البحرية لمدخل الممر الفاصل بين المائدة والكنيسة يشبه أمثاله فى الحصن القديم المقام من القرن التاسع أما الفولت أو الجمالون الذى يغطى الممر والجمالون الأوسط بالمائدة من عصر متأخر عن القرن التاسع هو من أواخر الحادى عشر وأوائل الثانى عشر أى من العصر الفاطمى .

+ أما كنيسة القديس أبى سيفين التى تقع شرقى القلالى الملاصقة للسور القبلى والجارى ترميمها الآن (تحت اشراف هيئة الآثار المصرية) بهياكلها الثلاثة والخورسين فتغطيها جميعاً تسع قباب ومبانيها قديمة جداً ولربما تكون قد استخدمت فى بعض الأوقات كأروقة للنساخ الذين بلغ عددهم أحياناً ٦٠٠ ناسخ أو استخدمت موائد أغابى فى فترة من الفترات . كما استخدمت كفرن فى مرحلة ما قبل التعمير المعاصر .



الفصل الرابع :

شهداء وبطاركة وأساقفة وقديسون من رهبان الدير في مرحلة ما قبل التغيير المعاصر

أولاً : قدم الدير للكنيسة بطريركين عظيمين من بطاركة الاصلاح هما البابا غبريال الثامن ٩٧ ، والبابا مكاريوس الثالث ١١٤ (١٩٤٤ - ١٩٤٥) .

فالبابا غبريال نشأ في قرية مير التابعة لمركز منفلوط بأسسوط وكان اسمه شنوده ، وترهب بدير الأنبا بيشوى ، وأقام بطريكاً تسع عشرة سنة وعشرة أشهر وخمسة وعشرين يوماً ، أى من ١٦ بؤونة ١٣٠٦ إلى ٩ بشنس ١٣٢٦ ش (من ١٥٩٠/٦/٢٠ إلى ١٤/٥/١٦١٠م) وكان قد عزل من منصبه لبعض الوقت على أثر نزاع بين أراخنة الشعب ، إلا أنه عاد أخيراً إلى كرسيه ، واستقرت له البطريكية ، ولما زار أديرة وادى النطرون في أواخر حياته تنيح بدير السريان فقام الرهبان بتجنيزه ودفنه في كنيسة الدير بإكرام وتبجيل (عن كتاب الأديرة المصرية العامة : القمص صموئيل تاوضروس السرياني) .

أما البابا مكاريوس فكان راهباً بالدير باسم الراهب عبد المسيح المحلاوى (من المحلة) وكان مغرمًا بالنساختة وفن الرسم وله مؤلفات كثيرة ولوحات بديعة لاشكال الصليبان مازال يوجد بعضها بمكتبة دير البراموس ودير السريان ومطرانية أسسوط حيث سامه البابا كيرلس الخامس مطراناً على أسسوط في ١١ يوليو ١٨٩٧م حتى أختير لمنصب البطريكية في ١٣ فبراير ١٩٤٤م ، وعندما حدثت بعض المشاكل بخصوص الأوقاف القبطية إعتكف في دير الأنبا بولا من ٧ سبتمبر ١٩٤٤م حتى ٢٣ ديسمبر حيث عاد

إلى القاهرة ثم تنيح صباح يوم الجمعة ٣١ أغسطس ١٩٤٥م ودفن في مقبرة البطارقة بالكنيسة المرقسية الكبرى بالازبكية .

ثانياً، الأساقفة :

تخرج من دير الأنبا بيشوى في مرحلة ما قبل التعمير الحالى أربعة أساقفة هم :

١ - **الأنبا شنودة :** الذى سيم اسقفاً على مصر والفسطاط والقاهرة في عهد البابا كيرلس الثانى (الذى سيم بطريركاً في ١٨ مارس ١٠٧٨م) وقد إعتكف مرتين بعيداً عن كرسيه بسبب بعض المشاكل . ففى المرة الأولى إعتكف في دير الأنبا صموئيل بالقلمون ولمدة قصيرة، أما الثانية فكانت في دير الأنبا ساويرس بحاجر أسيوط حيث أقام إلى أن تنيح يوم السبت ١٢ مايو ١١١٧م .

٢ - **الأنبا مكاريوس :** ولد في المحلة الكبرى وترهب في دير الأنبا بيشوى ورسم مطراناً على أسيوط في ١٢/٧/١٨٩٧م، ثم إنتخب بطريركاً في ١٣/٢/١٩٤٤ .

٣ - **الأنبا ديمتريوس :** ولد في مدينة منوف وترهب بدير الأنبا بيشوى باسم الراهب مكارى وصار رئيساً للدير في مارس ١٩٣٠م ثم رسمه البابا يوانس التاسع عشر على كرسي المنوفية في ١/٣/١٩٣١م وتنيح على أثر حادث أليم إذ انقلبت به السيارة وهو في طريقه إلى القاهرة في ٢/١٠/١٩٥٠م .

٤ - **الأنبا مرقس :** ترهب باسم الراهب أيوب وكان يتكلم الفرنسية والانجليزية فعينه أميناً للدير ثم رئيساً له عام ١٩٣٧م، ولما عزل من رئاسة الدير إنتقل إلى دير الأنبا بولا، ثم إنتدب لرعاية الكنيسة القبطية برأس غارب على ساحل البحر الأحمر . وعاد منها إلى القاهرة بعد تنصيب البابا مكاريوس الثالث، ثم إنضم إلى سكرتارية البابا يوساب الثانى الذى رسمه أسقفاً على جنوب أفريقيا في ٢٧ أغسطس ١٩٥٠م باسم الأنبا مرقس، ثم اصطحب للخدمة معه الراهب القمص اسحق الأنبا بيشوى الذى استمر يخدم جوها نسبرج حتى عام ١٩٦٩م . أما الأنبا مرقس فعاد إلى القاهرة بعد عدة أشهر فقط من ذهابه إلى جنوب أفريقيا ولم يرجع إليها ثانية بل عاد إلى ديريه وأقام به حتى رقد يوم ٢/٧/١٩٥٢م .

ثالثاً : الشهداء :

١ - تشرف دير الأنبا بيشوى بأن يقدم للكنيسة راهباً شهيداً فى القرن السادس عشر هو الراهب يوحنا القليوبى فى عهد البابا يوانس الرابع عشر، وكتب قصة إستشهاده الأنبا أثناسيوس أسقف قوص فى كتابه «صناعة الميرون»، المحفوظ بالدار البطريركية تحت رقم ١٠٦ طقوس . وفحوى ما كتبه :

إن الحكام أرغموا هذا الراهب على تغيير دينه فرفض، فأمرؤا أن يطاف به على جبل فى أسواق القاهرة بعد أن وضعوا فى كتفيه مشاعل نار متقدة، وغرسوا فى يديه السكاكين الحادة وأخيراً رفعوه على عود خشب حتى أسلم الروح نهار الأحد المبارك ٣٠ هاتور ١٢٩٨ ش الموافق ٦ ديسمبر ١٥٨٢م فدفنه الأقباط فى كنيسة القديسة بربارة بمصر القديمة بإحتفال مهيب .

٢ - شهداء مجهولون : فى القلاية الوسطى من صف القلاى الملاصقة للسور البحرى (والتى بناها القمص يوحنا ميخائيل رئيس الدير عام ١٩٣٤ على أنقاض المدافن) وجدت أجساد ثلاثة رهبان شهداء رأس أحدهم مقطوعة موضوعة بجواره بينما قطعت بعض أعضاء الآخرين واثنان منهم متوسطى القامة بينما الثالث طويل القامة ويلبس كل منهم جبة لونها بنى (زعبوط صوف). وهذه القلاية هى التى كان يسكنها القمص حزقيال البلوطى (من بلوط بأسيوط) الذى رأى من يقول له فى حلم ليلاً لا تسكب علينا الماء ولا تطأنا بقدميك بل أخرجونا وضعونا كما نحن فى مدفن الرهبان، وإذ تكرر الحلم أبلغ أبونا حزقيال أمين الدير والرهبان بما حدث، فقرروا أن يحفروا فى أرضية القلاية حتى عثروا على هذه الأجساد الكاملة والذخائر الثمينة تحت حجر كبير، وكان ذلك فى منتصف إحدى ليالى عام ١٩٣٨ . وأرادوا أن يضعوها فى مقصورة فخمة للتبرك منها، وفيما كان الرهبان يفكرون فى عمل المقصورة بينما كانت الأجساد المقدسة موضوعة مؤقتاً فى القلاية الملاصقة للطافوس (المدفن) هجم نوع غريب من البعوض على الدير بشكل مكثف وغريب كإعلان عدم رضا هؤلاء الشهداء عن وضعهم فى مقصورة، فقرر الرهبان دفنهم كما هم فى الطافوس (فى العين التى بالركن الغربى القبلى) .

وأثناء دفنهم تصادف وجود راهب من دير أبى مقار فأخذ ذخيرة من الأجساد الطاهرة، ورجع إلى دير، فظهروا له هناك في حلم وعاتبوه على أخذه هذه الذخائر من أجسادهم فوعدهم بإعادتها، وطلب منهم معرفة أسمائهم فقالوا: إن أسماءنا مذكورة في مجمع التسبحة اليومية، ولكن لا يريدون الإفصاح عنها، وفي الصباح حكى هذا الراهب ما حدث لرئيس الدير فأخذ منه الذخائر ووضعها في لفافة بجوار أجساد القديسين في طافوس الآباء البطارقة.

أبعاً : من ذخائر القديسين بالدير :

و يذخر الدير بالكثير من أجساد وذخائر القديسين نذكر منهم :

١ - جسد القديس الأنبا بيشوى وجسد الأنبا بولا الطموهى ، وكانا في المقصورة التى بكنيسة البابا بنيامين حتى تم عمل مقصورة جديدة فاخرة ، فنقل إليها التابوت ، وتم وضعها في الجانب البحرى من الخورس الأول من كنيسة الأنبا بيشوى وذلك صباح يوم الأحد المبارك ١٠ مارس ١٩٦٨ بعد أن طافوا بالتابوت أرجاء الكنيسة بالألحان والأفراح .

٢ - وأسفل مذبح كنيسة القديس الشهيد ابسخيرون توجد عظامه الطاهرة منذ أن أحضرها البابا بنيامين الثانى عام ١٣٣٣ من دير الأنبا صموئيل القلمون والذى نقلت إليه لحمايتها من هجمات البربر، ولكن لما أصبح دير الأنبا صموئيل مهجوراً خشى البابا على الرفات المقدسة للشهيد ابسخيرون فأحضرها وكفنها بأكفان ثمينة ووضعوها في تابوت فاخر تحت مذبح كنيسته، وكان ذلك يوم ٧ طوبة عام ١٠٤٩ش (١٣٣٣م).

٣ - جسد البابا بنيامين الثانى : وهو مدفون في الركن الغربى القبلى من كنيسة الأنبا بيشوى وكان هذا البابا القديس قد جلس على عرش مارمرقس من ١٥ بشنس سنة ١٠٤٣ش إلى ١١ طوبة سنة ١٠٥٥ش حيث تنيح ودفن في دير شهران (بطرة بالقرب من حلوان) حيث كان يعيش راهباً قبل إختياره للبطريركية، ولكنه نقل بعد ذلك إلى دير الأنبا بيشوى حسب وصيته، إذ كان قد رمم كنيسة الأنبا بيشوى عام ١٣٣٣م وبذلك حفظ الدير من الإندثار.

وكان البابا بنيامين من مواليد قرية الدميقراط (قنا) وترهب في صحرائها ولما ذاع صيته هرب من المجد الباطل إلى دير البغل (شهران) بجبل طره، وكان سبب بركة لكثيرين، وتنبا له القديس برسوم العريان أنه سيصير بطريكاً، وتمت النبوة وعمر كثيراً من الكنائس والأديرة.

٤ - أبونا المتنيح رزق الله الأنبا بيشوى : كان راهباً بسيطاً زاهداً متواضعاً صامتاً، لا يتكلم مع أحد ولا يتداخل في أى أمر، ولم يحسب نفسه من جملة (عدد) الرهبان، وسيان عنده المديح والإهانة، فلا يرد ولا تتغير ملامح وجهه عند المديح أو الإهانة، وكان يعيش في عيشة بسيطة بحديقة الدير التى كان يزرعها ليعطى منها في صمت وسخاء خضروات وفاكهة لكل من يطلب من الرهبان. وقد شاهد في منتصف إحدى الليالى إثنين من السواح القديسين يسيران في وسط الحديقة متجهين إلى الكنيسة، وطلب بركتهما فباركاه، وكان قد عرف ميعاد نياحته، وتنيح في عام ١٩٥٥م ودفن في العين البحرية من الطافوس. ولما فتحت هذه العين في أوائل السبعينات لدفن أحد الرهبان وجدوا جسده الطاهر سليماً لم يتحلل، ملفوفاً ببطانية كأنه نائم.

٥ - ومن أشهر قديسى دير الأنبا بيشوى المعاصرين هو المتنيح القمص صموئيل الأنبا بيشوى المحب للجميع، والذي يشهد له رهبان الدير ورهبان الأديرة الأخرى لقداسته وبساطته وتجرده وزهده ومحبه وصلواته التى لا تنقطع ليلاً ولا نهاراً، وكان



المتنيح القمص صموئيل الأنبا بيشوى (على اليسار)
والى جواره القمص يوانس الأنبا بيشوى.

قد ولد في قرية جبيل بقنا حوالى عام ١٨٨٠م . وترهب بدير الأنبا بيشوى . ثم سامه البابا يوانس التاسع عشر قساً عام ١٩٣١م ثم سيم قمصاً بعد ذلك .

وكان مشهوراً ببشاشته ، وفي صمت كان يدور حول الدير وفوق أسواره ليتلو المزامير والصلوات طوال النهار ومعظم الليل . وتنيح في فجر يوم الاثنين ١٧/٥/١٩٧١ ، وكان محباً للتسبحة وسباقاً إلى الكنيسة في فرح ، وبعد نياحته لم يجدوا في قلايته سوى بقايا حصير قديم وكرسى خشبى صغير وطبق وكوز . ودفنوه في نفس المقبرة التى بها الشهداء الثلاثة . فأخرج الرهبان الرأس المقطوعة الخاصة بأحد الشهداء الثلاثة وتباركوا منها ثم أعادوها وهم متعجبون لأنها كانت سليمة (وكذلك أجسادهم) وتبتسم كأنها تنبض بالحياة . وفي يوم ٢٨/٥/٧١ أى بعد أحد عشر يوماً تنيح الراهب التقى أبونا عبد المسيح فدفنوه أيضاً معهم .

وعندما تنيح الراهب المبارك أبونا ميخائيل الأنبا بيشوى بعد أحد عشر عاماً أى في ١٩٨٢م ، ودفنوه في نفس العين ، فلما فتحوها ليدفنوه وجدوا أن جسد الراهبين التقيين الراهب صموئيل والراهب عبد المسيح سليمين وبدون فساد . ومما ينبغى ذكره أن المتنيح الراهب عبد المسيح عند نياحته رأى القديسين ملتفين حوله ليصحبوه معهم إلى السماء . فقال لأحد الرهبان الذى جاء لزيارته في اللحظات الأخيرة : يا أخويا أنا شايف رهبان كثير حوالى كائى في وسط حلقة حاوى . وهذا ما يراه كثير من الرهبان والقديسين عند نياحتهم كما حدث عند نياحة الراهب البسيط القس داود الأنبا بيشوى في ٢٠/٨/١٩٨٨م إذ كان يحملق في كل واحد منهم وهو صامت .

٦ - وعندما فتح الرهبان العين المجاورة لتلك المدفون فيها الشهداء ، وذلك ليدفنوا الراهب المبارك القمص إبراهيم مع المتنيح الأنبا باسيليوس ، وجدوا أن هذه المدفنة بها كثير من أجساد رهبان الدير مازالت أجساد كاملة وسليمة وبدون تحلل كأنها مازالت حية ، ومجدوا الله في قديسيه .

٧ - وعند تسوية أرض الطافوس لازالة الانقراض (في أوائل السبعينات) وجدوا تحت الانقراض أجساد بعض الرهبان القديسين سليمة وبدون تحلل ، وعرفوا أن هذا هو سبب نفوق (موت) المواشى والدواجن التى كانوا يضعونها في هذه المنطقة من

الطافوس، فأخرجوهم ودفنوهم في إحدى عيون الطافوس .

٨ - بثر الشهداء : والتي غسل فيها البربر سيوفهم المملوطة بدم التسعة والأربعين شهيداً شيوخ شيهيت ، الذين قتلوهم بدير أبى مقار عام ٤٤٤م وهكذا فإنه توجد به دماء الشهداء ، وكان الأقباط يأخذون من مائه للبركة وشفاء الأمراض ، وقد ظهر الشهداء التسعة والأربعون لراهب شيخ بسيط هو المنتيح القس داود الأنبا بيشوى وذلك في فجر يوم عيدهم الموافق ٢٦ طوبة (قبل نياحته بعدة أشهر حيث تنيح في عام ١٩٨٨م) واصطحبوه إلى بثر الشهداء على الرغم من أنه كان قد بدأ يفقد الذاكرة ، ويفقد القدرة على الحركة أيضاً لشيخوخته ، فاستعجب الآباء عندما وجدوه جالساً بمفرده عند البثر في الصباح الباكر (أمام الكنيسة) فقص لهم ما حدث فمجدوا الله في قديسيه .



الفصل الخامس .

الشؤون الرهبانية في مرحلة ما قبل التعمير المعاصر

أولاً : عدد الرهبان :

كان دير الأنبا بيشوى يزخر بأعداد كبيرة من الرهبان في بداية تأسيسه كوعد السيد المسيح له المجد للأنبا بيشوى أنهم سيكونون كأبراج الحمام ، وكما ورد في مخطوطة سيرته أنهم كانوا يلتفون حوله مثل النحل حول الشهد ، وقيل أنهم بلغوا حوالى ٢٤٠٠ راهب أيام الأنبا بيشوى ، وكانوا يعيشون في مغارات أو في منشوبيات تضم كل واحدة منها راهب شيخ وبعض الرهبان لكى يتلمذوا على يديه وكانت المنشوبيات متناثرة حول الكنيسة والبئر ومغارة الأنبا بيشوى .

وكانت المنشوبيات (التى مازالت أطلالها متناثرة حول الدير إلى الآن) عند نشأتها في القرن الرابع بسيطة في إنشائها وأثاثها وتنخفض أرضيتها حوالى متر ونصف عن سطح الأرض لتكون معتدلة الحرارة صيفاً وشتاءً ويساعد على ذلك أن سقفها قبة أو قباب ، ونوافذها علوية وكلها مبنية من الطوب اللبن العازل للحرارة والطفلة (ولقد اهتم القس صموئيل السريانى عام ١٩٨٨ بترميم منشوبية منها أمام دير السريان العامر بحيث عادت إلى الحالة التى كانت عليها) .

فكثرة المنشوبيات تدل على كثرة عدد الرهبان في هذا الدير قبل إنشاء أسواره في القرن التاسع ، كما أنه بعد القرن التاسع أيضاً كان يضم أعداداً كبيرة من الرهبان ، ويدل على ذلك إتساع مساحة الدير بالمقارنة ببقية أديرة الاسقيط ، وكذلك اتساع

وضخامة كنيسة الدير التي شهد جميع الرحالة أنها أكبر كنيسة في الاسقيط مما يدل على ذلك كثرة النساخ الذين كانوا بالدير إذ بلغ عددهم في بعض الأوقات حوالى ستمائة ناسخ، وكذلك كثرة معامل الزجاج والفخار التي كانت توجد أطلالها بحرى الدير كما ذكر الأمير عمر طوسون الذى شاهدها عند زيارته للدير عام ١٩٣١م ودون ذلك في كتابه «وادی النظرون» وما يساعد على كثرة الرهبان في هذا الدير عذوبة مائه وفخامة بنائه.

ولكن في العصور التالية لذلك إنخفضت موارد الدير فكان ذلك سبباً في الانخفاض النسبى لعدد رهبانه عن رهبان بعض الأديرة (دليل المتحف القبطى ج ٢ ص ٨٩). على الرغم من أنه ظل يحتفظ بعدد معقول نسبياً من الرهبان .

وهذه بعض أعداد الرهبان بالدير في التواريخ المختلفة التي أمكن التوصل إليها من كتاب إيفيلين وايت ، وعمر طوسون ، ودليل المتحف القبطى ، وأوتومايناردوس .

+ ٤٠ راهباً في عام ١٠٧١م من رسالةالأرشمندريتأرمانوس أيام البابا خرستو ذوللو.

+ ٤٠ راهباً عام ١٠٨٨ كما ذكر أبوالمكارم .

+ ١٨ راهباً عام ١٧٨٠ عن كتاب عمر طوسون .

+ ١٢ راهباً عام ١٧٩٩م كما ذكر الجنرال أندريوس أيام الحملة الفرنسية .

+ ١١ راهباً عام ١٨٣٥م عن كتاب عمر طوسون .

+ ١٤ راهباً ١٨٨٣ بطر .

+ ١٤ راهباً ١٨٩٦ سلفا وايت (عن مايناردوس) .

+ ٢٥ راهباً ١٨٩٧م عن عمر طوسون .

+ ١٦ راهباً عام ١٩٠٦م عن عمر طوسون .

+ ٢٢ راهباً عام ١٩٢٣م وليام هاتين عن مايناردوس .

+ ٣٥ راهباً عام ١٩٢٤م عن عمر طوسون .

+ ٣٦ راهباً عام ١٩٣١م عند زيارة الأمير عمر طوسون للدير .

+ ١٥ راهباً عام ١٩٣٢م دليل المتحف القبطى .

+ ١٦ راهباً عام ١٩٦١م عند زيارة مايناردوس للدير .

+ وقد يعزى تذبذب أرقام الرهبان في الفترات المتلاحقة إلى أن بعض المؤرخين ذكروا عدد الرهبان الموجودين في الدير فقط وبعضهم ذكر عدد الرهبان الذين في الدير والذين خارجه سواء كانوا في مزرعة الدير أو في الخدمة .

وفي أوائل الستينات لم يكن يمكث بالدير من الرهبان الستة عشر أكثر من أربعة أو خمسة رهبان بما فيهم الربيطة أو أمين الدير. أما رئيس الدير وبعض الرهبان فكانوا يعيشون في عزبة الدير بكفر داود، وبعضهم في الخدمة في القدس والحبشة والقاهرة والاسماعيلية والبحيرة .

ثانياً : معيشة الرهبان وأملالك الدير في مرحلة ما قبل التعمير لعاصر :

في حوالى عام ١٩٣٠م ذكر عمر طوسون أن أملالك الدير كانت ١٠٦ فداناً بكفر داود، وعقارين للسكن، وقد زيدت هذه المساحة فيما بعد وخاصة أيام رئاسة القمص بطرس للدير (والذى توفى سنة ١٩٢٧م) حتى وصلت إلى ١١٥ فداناً .

وكان الرهبان الذين يعيشون في الدير على ضآلة عددهم يعيشون عيشة الكفاف فكانت تأتى إليهم بعض المواد التموينية من عزبة الدير ويشترون الباقي من الهوكارية (وهى مدينة وادى النطرون حالياً- وسميت هوكارية نسبة إلى هوكر الأجنبى الذى كان له امتياز إستغلال نطرون بحيرات وادى النطرون، فحفر بئراً سميت بئر هوكر سكن حولها بعض المشتغلين بالنطرون واستخراجه، وسميت بعد ذلك مدينة وادى النطرون) .

وفي بعض الأيام كانت تتأخر القافلة المحملة بمؤونة الدير عدة أسابيع عن موعدها فكان الرهبان لا يجدون ولا حتى الخبز الجاف ، ولكنهم كانوا يتشفعون بالقديس الأنبا بيشوى لنجدتهم . وفي عهد المعلم ابراهيم الجوهري كان الدير في إحتياج شديد فطلب الأنبا بطرس مطران جرجا من المعلم ابراهيم الجوهري إرسال بعض الطلبات لدير الأنبا بيشوى فأرسلها وهى : قنطارين فسيخ، قنطارين زبيب أسود، قنطار جبن، قنطار أرز، قنطارين دخان، قنطار زيت، قنطار عسل، ربع قنطار بُن يُدق، وذلك عام

١٧٧٩م كما ذكر المتنيح القمص أرمانوس متى .

وكان الدير يصرف لكل راهب جنيه واحد ليشتري منه جميع مستلزماته من ملابس وخضار وشاي وسكر ومعلبات وكيروسين . ولم يكن الدير يقدم للرهبان سوى الخبز الذى يخبزه الرهبان مرة واحدة كل يوم سبت (حوالى نصف جوال دقيق أسبوعياً) ويأخذ كل راهب نصيبه من الخبز، فبعد الانتهاء من تجهيزه يُدق الجرس فيحضر الرهبان ويأخذون الخبز ويحفظونه فى قلايهم لاستخدامه طيلة الاسبوع ويعيدون ما تبقى لتحميصه وحفظه ، كما كان الدير يقدم وجبة واحدة كل يوم أربعاء أسبوعياً وكانت من العدس إذ يدقون الجرس ليأخذ كل راهب نصيبه ، وفى أيام الصيامات كانوا يقدمون البصارة كل يوم جمعة والبول المدمس كل يوم سبت .

كما لم يكونوا يأكلون اللحوم إلا فى العوائد (المناسبات المعتادة) وهى أيام الرفاع وأيام الأعياد فقط . ويقدم الدير السمك للرهبان مرة واحدة فى العام خلال صوم الميلاد كعوائد، وكان أمين الدير يحسب ألف حساب للعوائد لتدبير الأموال اللازمة لها لأنها من الأساسيات الضرورية للرهبان، وكان أحد الرهبان المكلف بشراء الطلبات أسبوعياً للدير يسجل طلبات الرهبان ليشتريها لهم من الهوكارية بوسيلة المواصلات الوحيدة التى يملكونها وهى الدابة .

أما قلاى الرهبان (التى لها قباب) فكان أغلبها متهدم ولم يبق منها إلا القلاى الملاصقة للسور القبلى (وهى مازالت للآن) أما الملاصقة للسور البحرى فقد أزيلت أنقاضها وأنشأ القمص يوحنا ميخائيل فوقها قلاى جديدة عام ١٩٣٤م (ومازالت باقية للآن) وكانوا يتمنون أن يقيموا أو يرموا ولو قلاية واحدة كل عام ولكنهم لم يستطيعوا .

وكان أثاث القلاية بسيطاً جداً (لا يتعدى الحصير والغطاء، ومستلزمات عمل الشاي وحلة للطبخ وطبق أو إثنين، ولمبة للإنارة توقد بالكيروسين .

ولقد روى القمص قزمان الأنبا بيشوى أيضاً إنه عندما دخل الدير حوالى عام ١٩٥٩ كان القداس يقام أيام الآحاد فقط ، وأما التسبحة والمزامير فكانت يومياً ، وفى الصوم الكبير كانوا يقرأون النبوات يومياً ، وكان الرهبان يقومون بجميع أشغال الدير

بأنفسهم من نظافة وخبيز وطبخ وغسيل وزراعة وأحياناً كان يساعدهم فلاح واحد (من الهوكارية) .

ولم يكن لديهم أطباء ولا دواء، ولم تزد أمراضهم حينذاك عن آلام المعدة التي يعالجونها بشرب مغلي الاعشاب والصداع ويعالجونه بالأسبرين .

ولم يكن لديهم ثلاثيات بل كانوا يحفظون اللحوم الزائدة من الأعياد بتقطيعها قطعاً صغيرة وتليحها وينظمونها في حبل يعلق في سقف القلاية قبالة الروشل (أى النافذة العليا) لضمان تهويتها، وكانوا يحفظون البيض خلال الأصوام بدفن نصف البيضة فقط في الرمل ونصفها الآخر مكشوف داخل الغرفة (على المصطبة) .

ولم يكن لديهم ساعات بل كان الراهب المكلف بدق ناقوس صلاة نصف الليل والتسبحة يسترشد براهب شيخ قديس هو القمص مقار الأنبا بيشوى لمعرفة التوقيت، وعلى الرغم من أنه كان ضريراً في أواخر حياته ولكن كانت بصيرته مستنيرة في الفرح الروحاني والعلم واتقان كثير من المهن وخبرات الخبز والطبخ والتي كان يزود بها الرهبان المكلفين بهذه الخدمات في أبوة وغيره مقدسة ومحبة صادقة .

وكانوا يهتمون جداً بسير القديسين وبتلاوة المزامير بفرح وكانوا جبابرة في الاحتمال وعدم الشكوى لا من فقر ولا من جوع ولا من برد ولا من حر ولا من مرض ولا من ضيقة ولا من شدة . وكانوا يحبون بعضهم بعضاً، ويسند الأقوياء إخوانهم الضعفاء بإتضاع وبدون تعالى وعلى قدر إحترام الرهبان الشباب للشيخ كان إحترام الشيخ للشباب أكثر بمحبة وأبوة وكانوا يجذبون بعضهم بعضاً إلى الملكوت، وكانوا يتمسكون بمبادئ الرهينة بكل حرص وتدقيق حتى سلموها كاملة نقية للأجيال التالية .

وعندما كان يأتيهم طالب رهينة كانوا يفرحون كأنهم وجدوا لقية أو شيئاً نادراً، ولم تكن هناك رحلات ولا ضيوف إلا نادراً لصعوبة الطريق وعدم توفر وسيلة المواصلات، فكان جرس بوابة الدير لا يدق إلا نادراً جداً خلال شهر أو عدة شهور، وكان مفتاح الدير يسلم لأمين الدير مساء كل يوم ويستلمه الراهب المسئول عن البوابة صباح اليوم التالي .

ثالثاً : بعض رؤساء الدير السابقين :

يذكر القمص صموئيل تاوضروس السريانى فى كتابه الأديرة المصرية العامة الأسماء التى أمكن معرفتها من بين رؤساء دير الأنبا بيشوى السابقين .

١ - القمص روفائيل . ٢ - القمص يوسف أبوزليطة .

ولقد عاش كلاهما فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى كما ورد فى مذكرات القمص عبد المسيح المسعودى .

٣ - القمص عبد الملاك أبو داود : وكان قد ترهب مع أبيه المترمل ثم صار رئيساً للدير فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر .

٤ - القمص أندراوس المصرى : وهو شقيق القمص حنا المصرى . وكان الأول رئيساً للدير والثانى أميناً للدير، وفى أيامهما ترهب الراهب عبد المسيح المحلاوى الذى صار فيما بعد مطراناً ثم بطريركاً باسم الأنبا مكاريوس الثالث .

٥ - القمص بطرس : وهو الذى أنشأ قصر الضيافة (القديم) الذى كان قائماً فوق بئر الشهداء أمام كنيسة الأنبا بيشوى، وهو الذى بنى المنارة الغربية بجوار الدوكسار البحرى المؤدى إلى كنيسة الأنبا بيشوى عام ١٩١٢م، كما جدد للرهبان أملاكاً أخرى وتنيح سنة ١٩٢٧م .

٦ - القمص يوحنا ميخائيل : تولى الرئاسة بعد نياحة سلفه ثم عزله البابا يوانس التاسع عشر على أثر عودته من أثيوبيا فى مارس ١٩٣٠م .

٧ - القمص مكارى : عينه البابا يوانس بعد أن عزل سلفه، ثم رسمه أسقفاً على كرسي المنوفية باسم الأنبا ديمتريوس فى أول مارس ١٩٣١م مع إحتفائه بنظارة الدير .

٨ - القمص يوحنا ميخائيل : إستلم رئاسة الدير للمرة الثانية فى أغسطس سنة ١٩٣١ بعد أن نحي البابا يوانس الأنبا ديمتريوس نهائياً عن رئاسة ونظارة الدير، وقد قام ببناء القلاى الملاصقة للصور البحرى، وصنع المقصورة القديمة التى كان بها جسد الأنبا

بيشوى (حتى عام ١٩٦٨م، وهى الآن موجودة بالمتحف)، ثم إعتزل الرئاسة فى أواخر سنة ١٩٣٥م وظل بالدير كراهب عادى إلى أن تنيح عام ١٩٥٣، وكان أميناً فى عمله محباً للدير، حريصاً على ممتلكاته.

٩ - القمص لوقا عبد الله : إنتخبه الرهبان للرئاسة عام ١٩٣٥ وكان يتحدث الأمهرية بطلاقة، وملماً بأصول الطقس القبطى، وترك الرئاسة بعد عامين أى عام ١٩٣٧م.

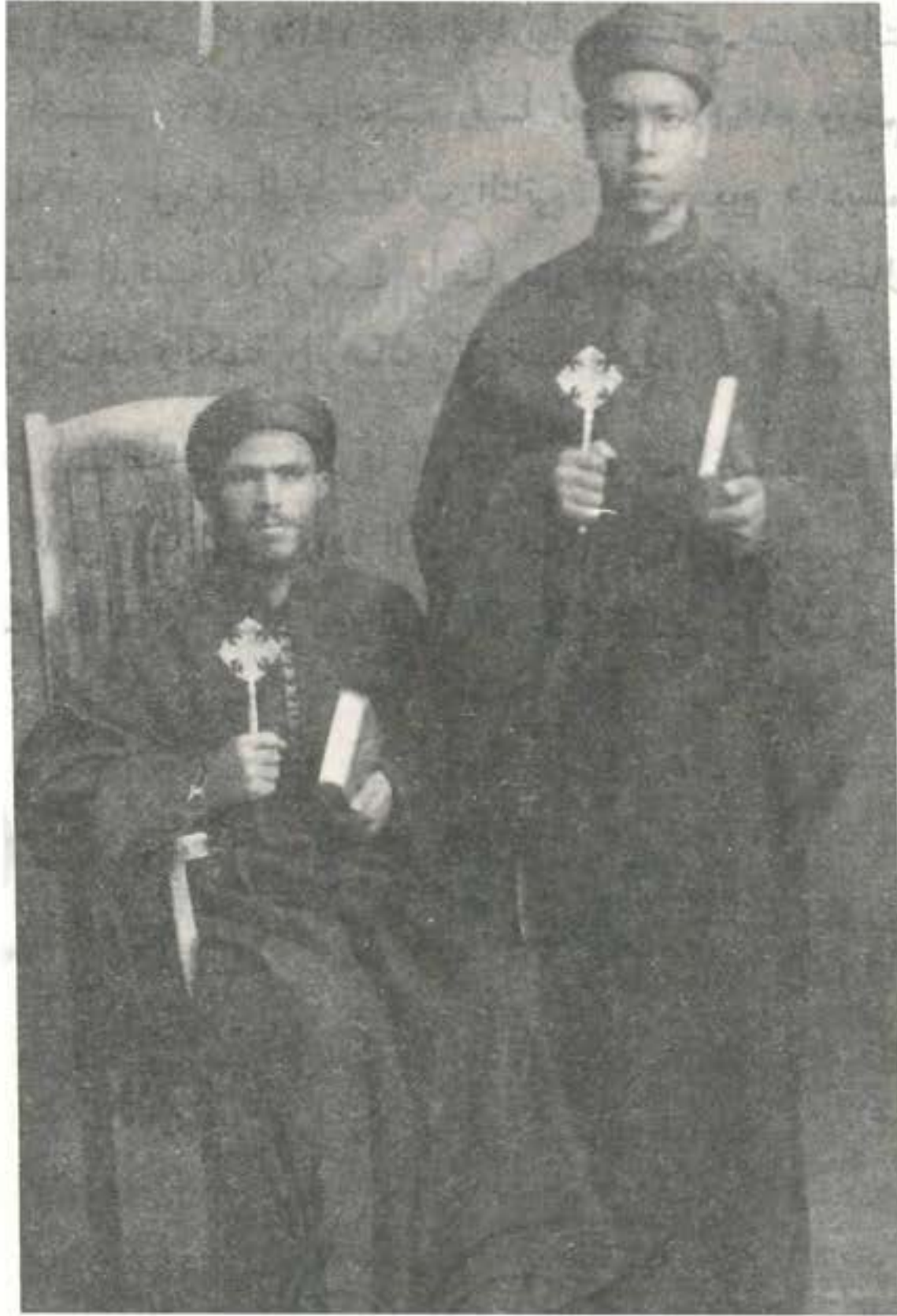
١٠ - القمص أيوب : خلف القمص لوقا فى منصبه عام ١٩٣٧ وأقاله البابا يوانس عام ١٩٣٨م.

١١ - القمص برسوم مسيحه : كان أميناً للدير وجابياً لعوائده فى المحلة الكبرى، ثم أختير للرئاسة عام ١٩٣٨م، وفى ٢٥ فبراير ١٩٥١م سامه البابا يوساب الثانى أسقفاً على الدير باسم الأنبا باسيليوس. وقدم استقالته من رئاسة الدير عام ١٩٦٢م عندما تكاثرت الديون على الدير، وأقام بالدار البطريكية بالازبكية بالقاهرة إلى أن تنيح فى ٢٠ أكتوبر عام ١٩٦٣م.



نيافة المتنح الأنبا ثاؤفيلس يمين نيافة
الأنبا صرابامون أسقف ورئيس الدير
الحالى أطال الله حياته.

على اليمين المتنيح الأنبا باسيليوس رئيس الدير عندما كان راهباً باسم القس برسوم
الأنبا بيشوى .



١٢ - الأنبا ثاؤفيلس : عندما إرتبكت مالية الدير فى رئاسة الأنبا باسيليوس وصار
الرهبان فى فقر مدقع ، على الرغم من قلة عددهم ، رأى المتنيح البابا كيرلس السادس
أن ينتدب الأنبا ثاؤفيلس أسقف دير السريان للاشراف على دير الأنبا بيشوى لمعالجة
حالته المالية المترتبة ، فسدد الأنبا ثاؤفيلس ديون الدير وتولى بنفسه إدارة الدير . كما
قام ببعض الاصلاحات الانشائية الملحة إلى أن إختار قداسة البابا شنوده الثالث نياقة
الأنبا صرابامون أسقفاً لدير الأنبا بيشوى حيث بدأت قصة التعمير المعاصر .

والمتنيح الأنبا ثاؤفيلس من مواليد الريدانية بالمنصورة في ١٠/٣/١٩٠٨م والتحق بدير السريان في أواخر عام ١٩٢٥ وترهب باسم الراهب ثاؤفيلس يوم ٢٩ يناير ١٩٢٦ على يد أمين الدير آنذاك القمص جرجس أبو كفة في عهد رئاسة القمص مكسيموس ، ورسم قساً في أغسطس عام ١٩٣٤ بيد البابا يوانس التاسع عشر ، وانتخب وكيلاً لدير السريان في أغسطس ١٩٣٩م وانتخب رئيساً له عام ١٩٤٧م ورسم أسقفاً يوم ٢٥ أغسطس ١٩٤٨ ، على يد البابا يوساب الثاني . وتنح يوم ٥ ديسمبر ١٩٨٩م وتم تجنيزه بالكنيسة المرقسية بالأزبكية وأيضاً بدير السريان في احتفال مهيب حضره كثيرون من الأساقفة والكهنة والرهبان والأراخنة ومحبيه .

ومن أهم أعماله التي سيذكرها له التاريخ أنه فتح قلبه وديره للمثقفين ليرهبوا بديره ، وهم الذين آلت إليهم قيادة الكنيسة فيما بعد ، وعلى رأسهم جميعاً قداسة البابا شنودة الثالث أطال الله حياته . والذي قاد حركة التعمير الرهباني بالأديرة القبطية كلها .



الطيب المديح

قصة التعمير المعاصر

وذكر الله نيا. يسوي الرب

الفصل الأول .

قصة التعمير

بدأت قصة تعمير دير الأنبا بيشوى عندما إختارت العناية الإلهية والقرعة الهيكلية قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث بطريركاً لسائر شعوب الكرازة المرقسية بمصر والحبشة والنوبة والخمس مدن الغربية وسائر أفريقيا والشرق وبلاد المهجر وكان ذلك يوم ١٤ نوفمبر ١٩٧١م حيث وضع قداسته فى قلبه الممتلئ حباً للرهبة تعمير الأديرة لأنها قلب الكنيسة النابض وعضدها الفاعل وقد إختص قداسته دير الأنبا بيشوى بعناية خاصة لمعرفته المسبقة بالأحوال التى كان عليها الدير حينذاك وكيف ساءت رهبانياً وعمرانياً ومادياً. مما جعل قلبه العطوف يرق لحاله ويقرر بإلهام إلهى تعميره .

وعندما سئل قداسته كيف ستحصل قداستك على الماء اللازم لتعمير الدير؟ فقال قداسته بذكائه الوقاد ودعابته التلقائية الأبوية الهادفة وبديهته الحاضرة : سأحصل على الماء من تحت الأرض . كما يقول المثل الشعبى عما إستعصى من الأمور، ولكن قداسته كان يقصد ما يقول عملياً وبخبرة راهب البرية المحنك الذى درب على دروب البرية وأحوالها الجوفية والجوية ، وبما لقداسته من علاقة صداقة بمغائر البرية وصخورها ووديانها وسهولها ، إذ سكن فى مغائرها مصلياً ومشى على رمالها متأملاً ، فأسرت له البرية بأسرارها وباحت له بمكنونات مكوناتها ، ولقد استخدم قداسته كل هذه مع ما يملكه من مواهب فذة وعلم غزير وإطلاع كثير مع روح الشهامة والتصميم والشجاعة والإقدام ، حتى عندما التقى قداسته فى الدير بالعالم المصرى الشهير الدكتور فاروق الباز عالم الفضاء الأمريكى ومعه أستاذ الجيولوجيا بجامعة عين شمس ، وشرح لهما كيفية الحصول على الماء من جوف الأرض بأسلوب علمى وبوسائل سهلة بسيطة مذهشة فإنذهل أساتذة الجيولوجيا من تبحر قداسته فى مجالات علمية كثيرة بأفق رحب وقلب كبير وتصور شامل وتنفيذ دقيق وجريء وشهدا كلاهما لقداسته وقالوا : هذه هى حكمة آباء البرية وعلمهم ، كما شهد بذلك أوتومايناردوس عندما زار دير السريان عام

١٩٦٠م إذ قال: ومن رهبان دير السريان واحد أكثر تعليمًا وثقافة من كل رهبان الكنيسة القبطية هو الراهب أنطونيوس السرياني، ومن كل الرهبان الأقباط يظهر كأفضل راهب وأعظم مثقف.

وفي نظرة مستقبلية ثاقبة بدأ قداسته التعمير بإنشاء بيت خلوة للشباب خارج الدير الأثرى من الناحية القبلية وعلى بعد مئات الأمتار حتى يستعجب البعض كيف يبنى قداسته في الصحراء على بعد مسافة كبيرة من الدير. وكان ذلك بعد إرتقاء قداسته عرش مارمرقس بفترة قصيرة، وما هي إلا سنوات قليلة حتى أصبح بيت الخلوة هذا في داخل الامتداد العمراني للدير إذ كان نواة طيبة للتعمير العمراني وللتعمير الرهباني أيضاً بما اجتذبه هذا البيت من الشباب التقى المثقف الذين كانوا يقضون فيه فترات خلوة روحية ممتعة يتزودون فيها بشحنات روحية قوية تسندهم في جهادهم، وتقربهم أكثر إلى المخلص الذي أحبهم فعرفوا طريق حبهم له في هدوء البرية وصفائها وفي رحاب القديسين وبركة شفاعتهم وقدوة سيرتهم التي ألهبت المشاعر الروحية والشوق الإلهي في قلوبهم حتى تركوا كل شيء وتبعوه ونذروا أنفسهم لله في حياة القداسة والتجرد وحياة التأمل والعبادة فامتأل الدير من الرهبان ومن العباد والمتوحدين ورجع للدير مجده التليد.

وهكذا بدأت محبة قداسة البابا للرهبنة والرهبان تظهر عملياً في سعيه الدعوى في تعمير الأديرة القبطية بل وإنشاء أديرة جديدة في بلاد المهجر لتدعيم الروح القبطية للجاليات المصرية في بقاع العالم إذ قد أنشئت في عهد قداسته كثير من الكنائس القبطية في أرجاء كثيرة من المعمورة، وبدأ يسقى هذه النباتات اليانعة بتعاليمه وإرشاداته التي يزود بها الرعاة الذين يختارهم بعناية فائقة لهذه الكنائس ليكونوا سفراء للكنيسة والوطن في هذه الدول بل إن قداسته زار هذه الكنائس بنفسه مع لفيث من الآباء الأساقفة في زيارة غير مسبقة في تاريخ الكنيسة القبطية إذ استقبل إستقبالاً حاراً منقطع النظير ليس فقط من أبنائه المتلهفين لرؤيا قداسته، المتعطشين لتعاليمه، بل أيضاً من رؤساء الدول والحكومات الذين خلدوا ذكرى هذه الزيارة التاريخية بوسائل مختلفة. كما ذاع صيت الكنيسة القبطية وعظمتها التي يمثلها قداسته في جميع وسائل الاعلام العالمية، وفي المؤتمرات واللقاءات المسكونية التي يبادر بها قداسته.

هذا هو بابا الكنيسة القبطية وابن البرية الذى عاش فيها منذ عام ١٩٥٤ راهباً ومتعبداً. ثم متوحداً فى مغائرها منذ عام ١٩٥٧ عاكفاً على الصلاة والتأمل، والقراءة والتعمق فيما تحويه الكتب والمخطوطات ومما ظهر فى المؤلفات العديدة والمحاضرات التعليمية والروحية، والمقالات الصحفية واللقاءات الوطنية والأحاديث الإذاعية... وأيضاً فى البناء والتعمير والقيادات والتدبير، بعد أن إختارته العناية الإلهية ليتبوأ السدة الرسولية حاملاً أجماد وحضارة وتراث الكنيسة القبطية الخالدة حفظ الرب قداسته للكنيسة والرهبة وللوطن والقيم.

وبإرشاد إلهى وعناية سماوية وحنكة روحية إختار قداسته للدير راهباً فاضلاً تقياً ورعاً يملك أصالة الرهبة الأصيلة محافظاً على مبادئها بكل حرص وغيره كما تسلمها من الآباء الأولين الذين غرسوا بذارها فى تربة قلبه الطاهر فأثمرت للبرية ثلاثين وستين ومائة، ذلكم هو نياقة الحبر الجليل الأنبا صرابامون. ولقد إختاره قداسته ليكون رئيساً للدير ومدبراً محنكاً يعرف دروب النفس البشرية ودائها وأدوائها، وإختاره أباً روحياً محباً يسوس كل نفس بمراهم الإرشاد ويهديها بفنار القدوة بحزم أبوى دون تعسف بل فى إتضاع عجيب يجبر الجميع على الخضوع لإرشاداته الأبوية من تلقاء أنفسهم، ويدرب كل واحد على النمو فى طريق الكمال المسيحى والجهاد الروحى مستخدماً إمكانياته ومواهبه الخاصة، مراعيّاً للفروق الفردية والامكانيات الشخصية، دون ما إلغاء للنمط الشخصى أو الحافز الداخلى، بل كبناء حكيم يكسب كل قلب ليلتهب بشوق الحب الإلهى على قدر ما تسمح به مواهبه وامكانياته لينمو فى الفضائل كما قال ماراشعياء الاسقيطى «الفضائل هى ثمرة إستخدام الطاقات والقوى الطبيعية فى الإنسان بطريقة سليمة».

ولمعرفة قداسته لنيافته عرف فيه حبه للتعمر ونشاطه المتواصل وإرادته الفولاذية التى لا تعرف الكلل ولا المستحيل فها هو يواصل السهر فى البناء بنوعيه العمرانى والروحى والتدبير بنوعيه الإدارى والرهبانى وكل ذلك فى إنكار ذات وصمت وبهجة قلب، كما أن نيافته يشارك الرهبان فى كل أعمال الدير كواحد منهم بل ويتقدمهم فى جمع ثمار الزيتون وبلح النخيل وإعداد الخضروات والخبز وفى كل عمل جماعى.

وعندما أختير قداسة البابا للأسقفية عام ١٩٦٣م ونزل من الدير فلم يختار أحداً غير نياقة الأنبا صرابامون (القس صرابامون حينذاك) ليسلمه أولاده الروحانيين من الرهبان وغيرهم الذين كانوا يعترفون لديه . وها هو نياقة الأنبا صرابامون يصبح أباً ومرشداً ومعرفاً لكل رهبان دير الأنبا بيشوى والأساقفة الذين تخرجوا منه وكذلك لكثير من رهبان الأديرة الأخرى ولكثير من الآباء الأساقفة من غير رهبان الدير أيضاً . بل وكثير من كهنة الإيبارشيات حيث يبعث الفرح والثقة والطمأنينة والتعزية والرجاء في قلوب أبنائه ويلهب قلوبهم بحبة المسيح التي تشجعهم على مواصلة الجهاد الروحي ببساطة قلب وإبتهاج وذلك ليس فقط بتعاليمه وإرشاداته بل أيضاً بقدوته وإبتسامته الصافية التي تظهر قلبه النقي والتقى وأصالته الروحية النادرة كأنها تتدفق من عمالقة الروحانية في القرون المسيحية الأولى . ولقد شهد بذلك قداسة البابا شنوده الثالث في مجلة الكرازة الغراء (١٩٧٥/٧/١٨) عند حديثه عن كيفية معاملة القديس الأنبا بيشوى لرهبانه وأبنائه في لطف وطول أناة وكان مثالاً في القيادة المسيحية المتسمة بالحب والحنو والتفاؤل والرجاء .

ويستطرد قداسته قائلاً : [ومما يدهشني أن روح الأنبا بيشوى تسود الدير الحالى ، حتى أن نفس الأسلوب الذى اتبعه القديس لا يزال يتبع حتى الآن في ديره العامر ، مبارك إسمك يارب ومبارك أيضاً في قديسيك] . ولهذا يتعجب الجميع من طول أناة نيافته وصبره في تقويم ضعفات أبنائه بروح الرجاء والتشجيع حتى يقول الضعيف بطل أنا (يوئيل ٣ : ١٠) . وهكذا تكون القيادة الروحية والتدبير الرهباني المثمر .

وكما أن قداسة البابا شنوده الثالث يستهين بالمشاكل مهما كانت كبيرة وثقيلة لأنه يقول : إذا نظرت إلى المشكلة ونظرت إلى الله خلفها فستستريح لأن الله أقوى من المشكلة . ولقد رأينا هذا في حياة قداسته في مواجهة أعنى المشاكل بإيمان وثبات وصبر ورجاء وفرح أيضاً ، بل كانت إبتسامته لا تفارقه حتى في أحلك الأوقات . وكذلك الدعايات اللطيفة الهادفة ، فكان مصدر عزاء ورجاء وإيمان وطمأنينة وفرح لكل من حوله ، ولذلك إختار قداسته نياقة الأنبا صرابامون من نفس المعدن ، ولقد إجتازا معاً بمعونة الله كل الشدائد الصعبة والأعاصير العاتية بكل اليقين والهدوء والإيمان والفرح ولسان حالهما يقول «إن كان الله معنا فمن علينا» .

ويشتهر نيافة الأنبا صرابامون أيضاً بحلاوة اللسان العفيف الذى يفيض سلاماً وفرحاً للبناء والتشجيع ، ليقود الياثسين إلى الرجاء ويقوم (بكلام الله) الأيادى المسترخية والركب المخلعة (عب ١٢ : ١٢) ويسموبالأقوياء ليحلّقوا فى سماء الفضيلة ويعايشوا الملائكة والقديسين حتى شهد له أيضاً قداسة البابا شنوده الثالث قائلاً :
[يحق لك يا أنبا صرابامون أن تكتب على باب مكتبك تعالوا إلّى يا جميع المتعبين والثقيل الأحمال وأنا أريحكم] .

ومن كلمات نيافته الشهيرة :

- + الحاجة إلى واحد .
- + نقاوة القلب تتولد من نقاوة الفكر .
- + الرهينة هى حياة بلا هم .
- + الله يكفيه خروجك وراءه فى البرية « قد ذكرت لك ... ذهابك ورائى فى البرية » (أر ٢ : ٢) .

- + ربنا عنده كثير .
- + إختبروا الأمور وتمسكوا بالحسن .
- + الله هو الحق ولا يبقى إلّا الحق .
- + الذى لا يأتى من نفسه سواقه (سائقه) تعبان .
- + الراهب يجب أن يكون كالحديد (فى الثبات) وكالتراب (فى الاتضاع) .
- + التعب الجسمانى هين يذهب بعد راحة قصيرة . أما تعب الفكر فهو أصعب فانتعب جسمك ولا تتعب فكرك .
- + خلى بالك طويل كالسلبة (الحبل الطويل) .
- + ربنا عنده حلول كثيرة .

ومن مواهبه الروحية موهبة الافراز، فبسرعة يعرف ما يدور فى ضمير محدثه بل ويعرف شخصيته وقامته أيضاً ليس فقط من خلال حديثه بل من طريقة الكلام وطبقته ونبراته ، ومن إيقاع خطوات المشى ومن الملامح وهكذا كان نيافته موفّقاً فى إختيار طالب الرهينة من بين جموع المتقدمين إلى الدير، كما يعرف نيافته مواهب كل

واحد من أبنائه فيسند لكل منهم العمل المناسب الذى ينميه وينمو به ، ومن إفراز نيافته أيضاً أنه يضحى بالأمور المادية فى سبيل المنافع الروحية لأبنائه .

ولكل هذا فليس بغريب أن يصطحبه قداسة البابا معه فى زيارته التاريخية لأبنائه بالمهجر ليؤسس الرهبنة القبطية فى ديرنا فى الولايات المتحدة . إذ مكث فيه شهراً كاملاً يعيش كراهب مثلهم ليرسى قواعد الرهبنة الأصيلة كما تسلمها من الآباء . وذلك لثقة قداسة البابا فى أصالة مبادئه الرهبانية وصدق حياته التقوية كقدوة رهبانية أصيلة بقلب كبير وأفق رحب ، فى حب وسخاء ووداعة وإتضاع ، مما جعله محبوباً من الجميع حتى من أهل مدينة وادى النطرون .

ونياقة الأنبا صرابامون من مواليد مدينة أرمنت فى ٢٠ فبراير ١٩٣٧ وترهب بدير السريان العامر فى السابع من ديسمبر ١٩٥٩ باسم الراهب صرابامون وسيم قساً يوم الأحد ٢٤ فبراير ١٩٦٣ ، وقمصاً يوم ٢٥ يونيو ١٩٦٧م ، واختارته العناية الإلهية ليسام أسقفًا عاماً بيد قداسة البابا شنوده الثالث فى عيد العنصرة فى ١٧ يونيو ١٩٧٣ ليشرّف على دير الأنبا بيشوى حتى سيم نيافته أسقفًا ورئيساً للدير فى أحد العنصرة فى ٢٩ مايو ١٩٧٧ .

وفى مجلة الكرازة الصادرة فى ١٤ نوفمبر ١٩٧٥ (العيد الرابع لتتويج قداسة البابا) قال قداسته عن نيافة الأنبا صرابامون «وقد قام بعمل تاريخى فى تعمير دير الأنبا بيشوى وقيادته روحياً مع الاشراف على مقره بالقاهرة» . وكان ذلك بعد حوالى سنتين من سيامة نيافته أسقفًا .

+ وفى مجلة الكرازة ١٧/١١/١٩٧٨ فى إستعراض لأنشطة تعمير الدير من بدايتها بمناسبة العيد السابع لجلوس قداسة البابا شنوده الثالث قال قداسته «أهم عمل فى هذا المجال هو سيامة الأنبا صرابامون أسقفًا ورئيساً للدير، وقد قام نيافته بالأبوة الروحية لجميع رهبان الدير، كما قام أيضاً بالاشراف على جميع نواحي التعمير فى إخلاص ودقة هو حالياً يقوم بعمل الأب والمرشد الروحى لرهبان من أديرة أخرى يعلمهم الرهبنة ويمتصون من مثاله الصالح الهدوء والسلام» .

هذه هى بداية قصة تعمير دير القديس الأنبا بيشوى التى تغنى بها الشعب

القبلى فى مديح للقديس قائلين :

بعيدك أيها البار	وقدوم رئيس الأبرار
أنبا شنوده المختار	بنيوت أفا بيشوى
ومشروع التعمير	بيد بابا قدير
حكيماً فى التدبير	بنيوت أفا بيشوى
والأنبا صرابامون	برجاً عالياً بحصون
به نحن فرحون	بنيوت أفا بيشوى
يا فرحة كنيستنا	بالأبهات رهباننا
بصلواتهم ثبتنا	بنيوت أفا بيشوى
يارب إحتفظ بطركنا	وشريكه أسقفنا
وكهنتنا ورهباننا	بنيوت أفا بيشوى

وفى يوم عيد نياحة القديس الأنبا بيشوى يحرص قداسة البابا المعظم ومعه لفيف من الآباء الأساقفة والكهنة أن يشاركوا نياحة الأنبا صرابامون أسقف الدير ورهبان الدير فرحتهم بالعيد . ويضمخ جسد القديس الطاهر بالأطياب والحنوط وسط فرحة جموع الشعب من محبى القديس إذ ترتفع القلوب والأفواه بالتسابيح والتماجيد والمدائح طالبين شفاعته القديس العظيم الأنبا بيشوى وهم يزفونه داخل الكنيسة والهيكل .

ولقد ورد فى مجلة الكرازة الصادرة يوم ١٤ يوليو ١٩٧٨ م « تحتفل الكنيسة بعيد القديس الأنبا بيشوى اليوم (٨ أبيب) التالى مباشرة لعيد القديس الأنبا شنوده رئيس المتوحدين . وإذ يتجاوز إسمه الأنبا شنوده والأنبا بيشوى فى السنكسار كذلك سيجمع التاريخ بين إسمى البابا شنوده ودير الأنبا بيشوى الذى اهتم به البابا جداً وأشرف على تعميره بنفسه ورسم له أسقفًا تقياً هونياًفة الأنبا صرابامون .

الفصل الثاني :

التعمير الزراعي والعمري

أولاً : الأنشطة الزراعية :

عندما بدأ قداسة البابا شنوده الثالث تعمير دير الأنبا بيشوى عام ١٩٧٢ لم يكن الدير يملك سوى العزبة التى بكفر داود (١٠٦ فدان) وحديقة الدير (فدان واحد) بداخله وحمار واحد لشراء طلبات الدير.

ثم بدأ قداسته فى تشجير مساحة حوالى خمسين فداناً قبل الدير وبدأ بزراعة أشجار الكازوارينا كمصدات للرياح المحملة بالرمال والتى يمكن أن تقضى على الزروع لولا هذه المصدات. وبدأ حفر جابييات المياه (ترع صغيرة) تتجمع فيها المياه الجوفية السطحية لاستخدامها فى الري ثم بدأ إحضار موتورات للرى .

وسعى قداسته لشراء ثلاثمائة فدان حول الدير وبدأت عملية الزراعة تتسع وبدأ حفر مزيد من الجابييات وإحضار المزيد من الموتورات، كما بدأ نقل الطمى من القاهرة والخطاطبة لتحسين خواص التربة الرملية، حتى يمكن زراعتها. كما بدأ بحفر آبار أعماق وصل عددها أكثر من سبعة آبار إحداها بالتعاون مع وزارة التعمير، لجلب المياه الجوفية من باطن الأرض، مما استلزم شراء ماكينات ضخمة لسحب الماء من هذه الآبار وضخه للرى أو لحزان الماء الذى بدأ تشييده لإمداد الدير بشبكة مياه عذبة لتغذية مساكن الرهبان والعمال والمضاييف ودورات المياه بالماء النقى. بعد أن كان لا توجد أى دورة مياه صحية بالدير.

ثم بدأ قداسته فى شراء حوالى خمسة وأربعين فداناً بزمَام بشر رقم ٧٤ على الطريق الصحراوى على بعد حوالى عشرة كيلومترات شمال الرست هاوس زرعت بها مصدات الرياح وتم تسويرها وبناء كنيسة وقلالى للرهبان وخزان للماء ومزارع للماشية والدواجن (من أرانب وفراخ وبط) وإنشئ بها معمل للألبان يضم معدات حديثة.

وقام الدير أيضاً بزراعة البطيخ والطماطم في خنادق لا تحتاج إلى رى كما بدأ الدير أيضاً في تسويق الزيتون المخلل من إنتاج مزارع الدير الذى يقوم الرهبان بأنفسهم بجمعه من على الشجر وتخليله .

كما أنشئت مزرعة أخرى للماشية والدواجن بالدير لإمداد الدير والمضايف باحتياجاته من اللبن والجبن والمسلى والفراخ والبيض ومازالت هذه المزرعة تنمو وتتطور وتوسع ويزداد إنتاجها يوماً بعد يوم كما تم إنشاء معمل للألبان بالدير أيضاً مزود بالمعدات الحديثة .

كما تم شراء معدات كثيرة لزوم إستصلاح الأراضي الرملية وإستزراعها ولزوم التعمير أيضاً مثل الكراكة والحفار واللودر والبلدوزر والقلاب والتراكتور والونش . وقام قداسته أيضاً بشراء مائة فدان أخرى (عام ١٩٨٧) على الطريق الصحراوى وهى المسافة التى تقع بين مزرعة الدير والطريق الصحراوى وتمت زراعتها بأحدث طرق الرى بالرش والتنقيط باستخدام أجهزة ضخمة مستوردة للرى بالرش (المدفع) وحفر آبار المياه اللازمة لرى هذه المزروعات بحسب تعليمات وزارة الزراعة . كما يشرف على هذه المزرعة بجانب الآباء الرهبان المتخصصين مجموعة من أساتذة كليات الزراعة ومعاهد البحوث الزراعية ، مما ساعد على سرعة ووفرة الإنتاج من التفاح والعنب خلال عامين فقط ، وذلك لاختيار أجود الأصناف وأفضل الوسائل العلمية للزراعة والمعاملات الزراعية من رى وتسميد ومقاومة مع مراعاة التنسيق والهندسة الزراعية والميكنة الزراعية ، إذ أمكن بذلك إنشاء مزرعة نموذجية مشرفة تكون قدوة في تعمير الصحراء الجذباء ، وتحويلها إلى جنة فيحاء .

كان لكل هذا النشاط الزراعى الذى يقوده قداسة البابا شنودة الثالث ونيافة الأنبا صرابامون أثر كبير ليس فقط فى الإكتفاء الذاتى للدير من اللبن والجبن والمسلى والفراخ والفواكه والخضروات بل وأيضاً التسويق فى السوق المحلية مما يعد خدمة وطنية فى مجال الأمن الغذائى .

ولقد شهد بذلك كثير من المسئولين فى الدولة فى القطاع الزراعى ونشروا صوراً لهذا النشاط الزراعى فى كثير من المجلات المصرية والتحقيقات الصحفية ، وفى أجنحة مركز

مدينة وادى النطرون لعام ١٩٩٠م نُشرت صور كثيرة للنشاط الزراعى بمزارع الدير وخاصة للموالح والبط والأرناب ووصفت بأنها : من المزارع الهامة والتي كان لها دور كبير فى توفير اللحوم البيضاء وتخفيض الأسعار.

وأصبح من الصور المألوفة والمعتادة أن يجد الناس قداسة البابا فى وسط المزارع يزرع الشتلات بنفسه أو يهذب الأشجار أو يتفقد المزارع والرى والتسميد أو يخطط لزراعة محصول جديد أو مساحة جديدة وتكون السعادة بادية على قداسته إذ يقوم بهذه الأعمال ليس فقط لتنمية موارد الدير ولكنه كقائد كنسى وقدوة روحية يقود حركة التعمير للأديرة واستزراع الصحراء كضرورة وطنية ملحة من أجل تقدم ورفعة الوطن . وليس هذا بغريب على قداسته المشهود له عالمياً بوطنيته الصادقة وهو الذى قال قولته المشهورة الصادقة الخالدة «إن مصر بالنسبة لنا ليست وطناً نعيش فيه ، ولكنها وطن نعيش فيها» . والتي رددتها جميع وسائل الاعلام وعلق عليها بالاعجاب جميع الكتاب والمفكرين المصريين .

ثانياً : التعمير العمرانى :

لقد بدأ قداسته تعمير الدير مع المحافظة على الآثار والطابع الأثرى للدير كتراث كنسى لا يمكن التفريط فيه بل يجب المحافظة عليه ، ولذلك بدأ قداسته فى تعمير كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس عام ١٩٧٢م ، واعادتها كما كانت بإشراف مهندس أثرى ومعمارى ، كما أعاد كنيسة السيدة العذراء (بهياكلها الثلاثة) بالحصن القديم إلى ما كانت عليه وافتتحها قداسته للصلاة فى عيد السيدة العذراء عام ١٩٨٦م وإهتم قداسته بترميم الجمالون البحرى بالخورس الأول والجمالون الأوسط بصحن الكنيسة وذلك عام ١٩٨٤ بإشراف أثرى ومعمارى كما طلب قداسته من هيئة الآثار ترميم الكنيسة من الداخل والخارج وترميم القبة الرائعة لكنيسة القديس بسخيرون مع الإبقاء عليها لجمالها ودقتها وهندستها الفنية ، وكان ذلك فى صيف عام ١٩٨٨ وكذلك تم ترميم المائدة الأثرية والحصن وتغيير سقف صحن كنيسة الملاك بالحصن القديم بسقف جمالون من الطوب الأحمر كما كانت عليه أولاً عندما زارها بطر عام ١٨٨٣ . وذلك فى عام

١٩٨٩. وكل ذلك بإشراف هيئة الآثار المصرية والتي بدأت أيضاً في ترميم كنيسة الشهيد مرقوريوس أبى سيفين فى عام ١٩٩٠م.

وكان من الضرورى مع ذلك إستبدال القصر القديم الآيل للسقوط بقصر جديد للضيافة مكون من أربعة طوابق ضخمة وخزان ماء ومنارة عالية (حوالى ٣٧ متراً) تشاهد أنوار صليبيها الضخم من على مسافة كبيرة كفنار فى وسط الصحراء، وبها جرس ضخيم يدق فى المناسبات الكبرى مثل عودة قداسة البابا من زيارته الرعوية بالخارج وعودته إلى كرسيه عام ١٩٨٥م.

+ كما كان من الضرورى إنشاء مخازن للدير حيث كانت المائدة الأثرية تستخدم كمخازن. فحفاظاً عليها كثرات أثرى بنى قداسة البابا مخازن جديدة داخل الدير وحول المائدة الأثرية إلى متحف الدير يضم الأحجبة القديمة وباب الدير الأثرى وأعمدة أثرية وأوانى فخارية متعددة الأحجام والأشكال والأغراض والأعمار وأوانى نحاسية للطبخ ومدقات حجرية وخشبية، وزقاق جلدية قديمة من النوع المستخدم بالشرق.

ويضم المتحف كذلك بعض الأيقونات وكرسى كأس وأدوات كنسية (صينية وكأس ومستير ودفوف وخاتم قربان وصلبان) وتونية وكرسى وصوانى نحاسية لتقديم الطعام وأطباق خشبية مختلفة الأحجام كانت تستخدم للأكل والمقصورة القديمة التى عملها القمص يوحنا ميخائيل رئيس الدير عام ١٦٤٥ش (١٩٢٩م) والتى استبدلت بأخرى حديثة عام ١٩٦٨. وأيضاً جزء من المقصورة الأقدم، وعمود خشبى من قصر الضيافة القديم، وحجرى رحى وعصارة خشبية صغيرة لزيت الزيتون، ومجموعة من الطشوت والأباريق كما يضم صور الميرون (عام ١٩٨١) وعينات من مواد الميرون.

+ كما تم إعداد مخزن للأدوية وحجرة للإسعافات والفحوص الطبية للحالات الطارئة للزائرين.

+ كما كان من الضرورى أيضاً إنشاء مكتبة إستعارية حديثة ضخمة تضم كتب الدير (حوالى ١٥ ألف كتاب) ومؤثرة تأثيثاً فاخراً وبها كمبيوتر حديث، ولقد إفتتحها قداسة البابا فى عيد جلوس قداسته فى ١٤ نوفمبر ١٩٨٨م.

+ كما تم إنشاء قلالي منفردة للرهبان ملاصقة للسور الشرقى للدير عام ١٩٧٧ .
 وإنشاء قلالية لرئيس الدير وبعض قلالي للرهبان داخل الدير الأثرى عام ١٩٨٤ .
 وكذلك دورات مياه للآباء الرهبان والضيوف ودورات مياه خاصة ملحقة بالمضيقة
 البابوية التى تم تأثيثها بأثاث فاخر فى ابريل ١٩٨٤ م .

كذلك تم إنشاء طافوس (مدفن) حديث للرهبان عام ١٩٨٥ وتم إنشاء مضاف
 للضيوف ومطبخ حديث وتم تأثيث قصر الضيافة بأثاث مناسب وكذلك المطبخ الخاص
 به .

+ أما خارج الدير الأثرى فتوجز التعمير فيه فى الآتى :

فلقد تم إنشاء قلالي عديدة للرهبان على هيئة مباني ضخمة أنشئ أولها عام
 ١٩٧٧ واستكملت على مراحل حتى عام ١٩٨٣ وهو على شكل حرف U طابقين وبه
 حوالى ستين قلالية عدا مجمع الرهبان (مائدة الطعام) والمطبخ الملحق به وكذلك
 حجرات للثلاجات وحفظ الأغذية ودورات مياه .

ومبنى آخر على شكل حرف T وهو مكون من ثلاثة طوابق ويضم حوالى خمسة
 وأربعين قلالية ويحتوى كذلك على دورات مياه وصهريج الماء الجديد وسعته حوالى
 ثمانين متر مكعب ، كما يضم حجرات للنقاهاة والحالات الصحية التى تحتاج إلى
 رعاية طبية .

+ ومبنى ثالث عام ١٩٨٠ على شكل I ومكون من طابقين ويحتوى على حوالى
 ستة وعشرين قلالية وكذلك دورات مياه ملحقة به .

ولقد تم عام ١٩٨٩ بناء سور ضخم حول هذه المباني الثلاثة والمزروعات المحيطة
 بها وذلك حفاظاً على الهدوء .

ومبنى رابع بجوار المقر البابوى أنشئ عام ١٩٨٨ ومكون من ثلاثة طوابق وبه
 العديد من القلالي الملحقة بها دورات مياه .

+ كثير من القلالي المنفردة المغطاة سواء بجمالون أو قباب وبجوار كل منها حديقة
 صغيرة .

+ وكثير من القلالي المنفردة للمتوحدين في الجبل على بعد من ٢- ٥ كيلومترات في المنطقة الجبلية المحيطة بالدير والتي كانت عامرة بالمنشوبيات في القرن الرابع .

+ كما كان قداسه قد أنشأ من قبل خزان ماء عام ١٩٧٧م بجوار بئر إرتوازي مركب عليها طلمبة أعماق وكان يغذى الدير بالماء قبل إنشاء الخزان الحالى عام ١٩٨٧ الذى تغذيه طلمبة أعماق عالية الكفاءة من بئر ارتوازي على عمق حوالى ثمانين متراً .

+ كما أنشأ قداسه خزان ماء ضخيم بجوار المقر البابوى وتغذيه أيضاً طلمبة أعماق من بئر ارتوازي مأوها عذب جداً .

+ شق وتمهيد ورصف كثير من الطرق داخل وخارج الدير وخاصة أمام البوابات الرئيسية لراحة الزائرين .

+ أسوار وبوابات كبيرة حول منطقة إمتداد الدير الأثرى والمقر البابوى منذ عام ١٩٧٧ وبين دير الأنبا بيشوى ودير السريان عام ١٩٨٠ (ثم فتحت بوابة تصل الديرين في ٢١/٧/٨٣) وحول المباني التى أنشأها قداسة البابا خارج الدير .

+ محطة غسيل وتشحيم وتموين سيارات الدير وفي خدمة الزائرين أيضاً .

+ أنشأ قداسه أيضاً مخبزاً حديثاً يضم آلة عجين بالكهرباء عام ١٩٨٢ لمواجهة الاحتياجات المتزايدة من الخبز لمئات بل أحياناً لآلاف الزائرين يومياً بجانب إحتياج العمال والرهبان

+ ورشة للنجارة بها معدات نجارة حديثة وكذلك ورشة حدادة وورشة ميكانيكا لأصلاح المعدات الميكانيكية والسيارات .

+ مساكن خاصة للعمال ملاصقة للدير من الخارج وبها كنيسة وحجرة للكشف الطبى ودورات مياه صحية ومطبخ ومجمع للأكل .

+ مركز بابوى للسمعيات والبصريات لطباعة شرائط الفيديو والكاسيت الخاصة بقداسه والدير وذلك منذ عام ١٩٨٣م .

+ ورشة حديثة لأعمال الأركيت والأيقونات والبراويز والهدايا والخشب المطعم مثل المنجليات والمقصورات وكراسى الكأس والصلبان المطعمة (مثل الصليب الذى أهدها قداسة البابا للرئيس الأمريكى جورج بوش خلال زيارة قداسة البابا للولايات المتحدة عام ١٩٨٩م عندما رأى إعجاب الرئيس بوش به).

+ مكتبة لعرض وتوزيع منتجات الدير من إنتاج ورشة الدير ومزارع الدير (فواكه- خضروات- دواجن) وقد افتتحت فى عيد جلوس قداسة البابا فى ١٤ نوفمبر ١٩٨٨م.

+ دورات مياه حديثة للزوار ملاصقة للدير من الخارج (من الجهة الغربية).

+ أنشأ بيت خلوة للشباب للتأمل والعبادة والمشاركة فى التسابيح والصلوات فى الكنيسة والاستمتاع بالجو الروحى للدير.

+ أنشأ بيت خلوة للآباء الكهنة الجدد (من القاهرة والاسكندرية والايبارشيات) لقضاء فترة الأربعين يوماً للتأمل والامتلاء وإستلام طقس الكنيسة.

+ عدة خلايا للنحل لإنتاج عسل النحل.

+ حجرات للمخازن.

+ حجرات للكشف الطبى بواسطة الأطباء الزائرين وبها بعض الأجهزة الطبية اللازمة لذلك.

+ ماكينات توليد الطاقة الكهربائية (كاتر بللر) ومازالت تستخدم للآن فى حالة إنقطاع التيار العمومى الذى يغذى الدير من شبكة الكهرباء العامة منذ أغسطس ١٩٨٦م.

+ كما أنشأ قداسة البابا مقراً بابوياً لقداسته (عام ١٩٧٦) وذلك لمحبه للخلوة والبرية ولحياة السكون، حيث يقضى قداسته بعض الوقت كل أسبوع بالدير. كذلك أنشأ قداسته بالمقر البابوى كنيسة صغيرة باسم الملاك ميخائيل والأنبا أنطونيوس ملحقة بقلاية قداسته، وكنيسة كبيرة باسم الأنبا شنوده رئيس المتوحدين دشنت عام ١٩٨٤ وتمت فيها كثير من السيامات الكهنوتية وبأسفلها مدرج للمحاضرات التى يلقيها

قداسته على أبنائه الرهبان عندما يجتمع بهم أو لطلبة الكليات الاكليريكية سواء من القاهرة أو الكليات الاقليمية التي أنشأها قداسته أو الكليات الاكليريكية بالخارج (سيدنى- لوس أنجلوس- جرسى ستى) حتى يتزودوا جميعاً من قداسته بالتعليم اللاهوتى الآبائى الأصيل.

+ كما يوجد بالمقر البابوى أيضاً مبنى للمؤتمرات المسكونية فى اللقاءات الهادفة بين الكنيسة القبطية والكنائس الأخرى من أجل توحيد الإيمان وكذلك لاجتماعات بعض لجان مجلس الكنائس العالمى ، ومزود بأجهزة الترجمة الفورية .

+ كما يوجد بالمقر البابوى أيضاً مباني للضيافة ومباني خاصة بالضيوف الخاصين ومباني لرؤساء الكنائس فقط . وقلالى منفردة للضيوف الخاصين ، ومبنى للسكرتارية ، ومبنى للخدمات به صالة كبيرة للطعام وبه كنيسة خاصة يصلى فيها مجموعات من الكنائس الأخرى .

+ كما يحيط بالمقر البابوى الحدائق والزهور وتكايب العنب والمزروعات المختلفة والتي تضيف منظرًا خلاباً بالاضافة إلى قدسية وهدوء المكان وفخامة التأثيث وحرارة اللقاء وكرم الضيافة الذى يشتهر به قداسته .

+ كما أقام قداسة البابا شنوده الثالث لدير الأنبا بيشوى مقراً بالقاهرة لتسهيل مهمات تموين الدير ولإقامة الرهبان عند نزولهم للقاهرة للعلاج ، وافتتح به كنيسة الأنبا بيشوى عام ١٩٧٤ وبه عمارة سكنية للرهبان وكذلك جهاز قداسته مقراً للدير أيضاً فى الاسكندرية به كنيسة صغيرة . وكلا المقرين لتسهيل إتصال الدير بالمجتمع .

+ إنه جهد رائع وخلاق يظهر مدى ما بذل فيه من تعب وسهر ومتابعة وجهد لا يعرف الكلل ويظهر محبة قداسته لدير الأنبا بيشوى الذى صار جزءاً من حياة قداسته ، وصار قداسته سمة من سمات الدير التى أحيتها وأشهرته وأمنته محلياً وكنسياً وعالمياً .

كل هذا هو وصف إجمالى مختصر نضيف إليه القائمة التى نشرت فى مجلة الكرازة ١٩٧٩/٧/٢٧ تحت عنوان : تجديدات دير الأنبا بيشوى لثلاثين سنة .

عام ١٩٧٢ : تجديد كنيسة مارجرجس بعد تساقطها وإعادة الصلاة فيها - كشف

البئر الأثرى (بئر التسعة والأربعين شهيداً) - بدء بناء السور (إنتهى عام ١٩٧٥) -
بناء أول صهريج للمياه - بناء بيت الخلوة القديم (الآن بيت خلوة للآباء الكهنة
الجدد) .

عام ١٩٧٣ م : حفر ترعة (جابية) داخل الأسوار - بدء الزراعة وغرس الأشجار -
بناء القلالي المنفردة الشرقية - بناء بيت الخلوة الحالى .

عام ١٩٧٤ : بناء القصر الجديد وبه صهريج مياه - بناء صالة الضيافة الملاصقة
للسور البحرى - بناء المكتبة (التي كانت فوق المضيضة الملاصقة للسور البحرى وصارت
مخزن أدوية) - بناء حجرات للعمال خارج الدير الأثرى - بناء المخازن (داخل السور
الأثرى) .

عام ١٩٧٥ م : بناء المنارة وتركيب الصليب والجرس الضخم .

عام ١٩٧٦ م : بناء المقر البابوى (القلاية البابوية) إنتهى عام ١٩٧٧ م .

عام ١٩٧٧ م : بدء بناء قلالي جديدة للرهبان حرف U .

عام ١٩٧٨ م : بناء الجناح الثالث من هذه القلالي لتكون حرف U - بناء الدوّار
(مزرعة المواشى والدواجن) - حفر ترعة (جابية) ثانية خارج الدير .

عام ١٩٧٩ م : بناء مبنى المؤتمرات (ملاصق للقلاية البابوية بالمقر البابوى) -
بناء مبنى للعمال خارج الدير الأثرى - بدء بناء قلالي (بالمقر البابوى) للأخبار
الأجلاء بالمجمع المقدس .

وفي عام ١٩٧٨ كانت مجلة الكرازة قد نشرت فى عددها الصادر فى ١٧/١١/٧٨ بمناسبة
العيد السابع لجلوس قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث قائمة إجمالية لأعمال التعمير بدير
الأنبا بيشوى حتى عام ١٩٧٨ م . وهذا بيانها :

١ - بناء بيت للضيافة داخل الدير مكون من ثلاثة طوابق فوقها عليه لرئيس
الدير ملحق بها صالة لضيوفه .

٢ - تشييد أعلى منارة فى وادى النطرون .

- ٣ - بناء صهريج للماء داخل الدير .
- ٤ - بناء مكتبة ضخمة للدير زودها البابا بكميات ضخمة من كتبه الخاصة ومما أهدي إليه من مجموعات نادرة، وما إشتهر من كتب للدير، إلى جوار المخطوطات القديمة المحفوظة بالدير، وهكذا أصبحت مكتبة الأنبا بيشوى من أروع مكتباتنا .
- ٥ - بناء قلالي جديدة منفردة للرهبان داخل الدير .
- ٦ - تأسيس وتأثيث صالات للضيوف تكفى للرحلات الكثيرة التى بدأت تتوافد على الدير بعد تعميره .
- ٧ - تنسيق الدير من الداخل وتنظيفه والاهتمام بحديقته مع الاهتمام بتشييد دورات مياه وشبكة للمصرف الصحى .
- ٨ - تجميل كنيسة الدير بمجموعة من الايقونات رسمها الفنان إيزاك فانوس .
- ٩ - إعادة بناء كنيسة مارجرجس بالدير والتى كانت قد تهدمت ولم يبق منها سوى مذابحها وإحدى قبابها .
- ١٠ - ترميم سور الدير الأثرى وكان على وشك التساقط .
- ١١ - تركيب جرس ضخيم جديد إستورد من إيطاليا لمناارة الدير
- + وماذا تم من تعمير خارج البناء الأثرى للدير . يستطرد قداسته قائلاً :
- ١٢ - أحيطت مساحة خمسة وخمسين فدان إلى جوار الدير الأثرى بسور ارتفاعه أكثر من أربعة أمتار ضمّتها جميعها إلى حرم الدير .
- ١٣ - بنى سور آخر وصل بين ديرى الأنبا بيشوى والسريان وأصبحت كل هذه المساحة كأنها دير واحد .
- ١٤ - تم حفر مجموعة ضخمة من الآبار السطحية لتزويد عملية البناء بالماء اللازم للأسوار والمباني والأرض .
- ١٥ - كشف البشر الأثرى الذى امتزجت مياهه بدماء الشهداء .

- ١٦ - حفر بئرین إرتوازیین وترکیب ماکینة ماء علیهما .
- ١٧ - بناء صهریج ماء خارج الدیر مع مد شبکه مواسیر ماء .
- ١٨ - أقيمت للسور الجدید سبع بوابات بكل منها منارتان بتصمیمات متنوعة وزخرفة فنية .
- ١٩ - حفر بركة ماء فی هذه المساحة طولها حوالی ٢٥٠ متر بعرض عشرة أمتار للرى .
- ٢٠ - تربية الاسماك فی هذه البركة بشكل جمیل غیر مألوف فی الصحراء
- ٢١ - زراعة مساحة كبيرة من الأرض بالخضروات والمحاصيل وأشجار الفاكهة من موالح ونخيل وزیتون، مع غرس الآلاف من أشجار الكازوارینا والكافور لحمايتها من الرمال .
- ٢٢ - بناء بیت خلوة للشباب .
- ٢٣ - استضافة الدیر فی مبانيه الجديدة لغالبية الكهنة الجدد لتسليمهم الطقوس والألحان .
- ٢٤ - بناء الكثير من الحجرات كمساكن للعمال .
- ٢٥ - بناء ورش ومخازن وأهمها ورشة نجارة على طراز حدیث لامداد الدیر بالأبواب والشبابيك والأثاث .
- ٢٦ - حفر آبار ارتوازية أخرى منها بئر على عمق ٩٣ متر وأخرى على ١٢٠ متر .
- ٢٧ - بناء مزرعة للمواشى والأغنام والدواجن .
- ٢٨ - بناء مجمع جدید للرهبان یشمل ثلاثین قلاية .
- ٢٩ - البدء فی مشروع القلايات المنفردة للرهبان لتضمن لهم حياة الوحدة .
- ٣٠ - قام الدیر بشراء ثلاثمائة فدان للمشروعات الزراعية والعمرانية .

٣١ - حفر بركتين ماء بطول حوالى ٣٣٠ متر وعرض حوالى ٨ متر لكل منهما .

٣٢ - تركيب مضخات لمياه الري على الجابيات (حوالى ٨ مضخات) .

٣٣ - تزويد الدير ببعض وسائل النقل وبعض الآلات الزراعية .

٣٤ - بناء مقر بابوى مع مضيضة وكنيسة صغيرة باسم الملاك ميخائيل والأنبا أنطونيوس .

٣٥ - تركيب مولدات كهربائية وشبكة كهرباء للدير .

+ كيف تم الاتفاق على كل هذه المشروعات ؟

يستطرد قداسته قائلاً : إنها معجزة في كل هذا التعمير لم يأخذ الدير شيئاً من أموال البطريركية ولا من المجلس الملى ولا من هيئة الأوقاف ولا من الأديرة الأخرى ولا من الكنائس الغنية ، ولكن الله كان ينفق عليه ، وكان يرسل له على يد أحياء كثيرين من حيث لا ندرى ومن حيث لم نطلب .

وسنعرض فيما يلى بعضاً مما نشر في مجلة الكرازة بخصوص بداية تعمير دير الأنبا بيشوى لإظهار مدى فرح وحماس قداسة البابا لتعمير الدير مع تنويه قداسته إلى مجهودات نياقة الأنبا صرابامون في متابعة كل هذه الأنشطة في « دقة وإخلاص » .

+ ورد في مجلة الكرازة الصادرة في مارس ١٩٧٢ ما يلى :

وزار قداسته دير الأنبا بيشوى وقام بترميم كنيسة أثرية (مارجرجس) في الناحية القبلية كانت مهتمة في بعض قبابها وجدرانها واتفق مع نياقة الأنبا ثاؤفيلس على أعمال الترميم اللازمة للدير، فهدم بيت الضيافة (القصر القديم) الآيل للسقوط والذي كان يحفى وراءه كنيسة الدير، وأقيم بيت جديد للضيافة داخل الدير ورممت أسوار الدير.

+ وفي العدد الصادر في ٢٦ أكتوبر ١٩٧٤م ورد ما يلى :

أما في دير الأنبا بيشوى دير القديس العظيم الذى لم يجد أحداً يهتم به طوال

عصور عديدة فإن العمارة فيه سائرة بتوفيق من الله ، وإلى جوار التربة التي حفرت
وركبت عليها ماكينتان للمياه ، بنى صهريج جديد بالاسمنت المسلح على ارتفاع ١٥
متر سعة ٣٤٨ م من الماء وأمكن تركيب ماسورتين تحت الأرض لتزويده بالماء ،
إحداها على عمق ٤٧ متراً ، والأخرى على عمق ٣٤ متراً . والدير يعمل حالياً على
إستيراد ماكينة للمياه لكي ترفع الماء من الأعماق لتملأ الصهريج الذى سيغذى
المنطقة بالماء ، ويستفيد منه بيت الخلوة والقلالى الخارجية ويساعد على زراعة مساحة
من الأرض تساهم فى سياسة بلدنا الرشيدة فى تعمير الصحارى وزيادة الانتاج .

+ وفى عدد ٢ نوفمبر ١٩٧٤ ورد ما يلى :

مشروع القلاى المنفردة بدير القديس الأنبا بيشوى : الرهبة حياة وحدة وكلما
وجد الراهب راحته فى وحدته تنمو حياته ويبنى ثمار الفضائل ، ولهذا كان مشروع
القلاى المنفردة نافعاً جداً للحياة الرهبانية .. كل قلاية فى شكلها كأنها معبد صغير ،
وقد بنيت على الطراز القبطى الأصيل ، وملحق بالقلاية أيضاً دورة مياه تساعد على
الاستقرار داخل القلاية .

+ وفى عدد ٢٣ نوفمبر ١٩٧٤ :

إفتتاح مقر الأنبا بيشوى بالقاهرة . كان يوم الثلاثاء ١٢/١١/١٩٧٤ يوماً
مشهوداً فى حى كلوت بك إزدان فيه شارع الدرب الواسع بالأنوار وأقواس النصر
ولافتات التحية مع فرح الشعب الشديد بافتتاح مقر لدير الأنبا بيشوى فى دار
البطيركية القديمة . فأخذوا على مدى ثلاثة أيام يقيمون الزينات والأنوار وقد نصب
سرادق فى الحى ، وإزداد الزحام جداً وحضر قداسة البابا حوالى الساعة السابعة مساءً
وكان معه فى إنتظاره أصحاب النيافة الأنبا ثاؤفيلس أسقف دير السريان ، والأنبا
إسطفانوس مطران عطبرة وأم درمان والأنبا دانيال أسقف الخرطوم والأنبا يوانس
أسقف الغربية والأنبا تيموثاوس الأسقف العام ، والأنبا صرابامون الأسقف العام
والمشرف على الدير ، والقمص مرقس غالى وكيل البطيركية ، وعدد كبير جداً من
الآباء الكهنة والرهبان وبعض أعضاء المجلس الملى وفى مقدمتهم المستشار رمسيس
مرقس ، والاستاذ فخرى قرياقص ، كذلك كان فى استقبال قداسته غالبية أصدقاء

الدير الذين ساهموا في أعمال العمران الجديدة التي تمت وفي مقدمتهم الأراخنة الفضلاء قسيس موسى سليمان، تادرس روفائيل، ترياق عيد، سليمان بدروس، كامل دوس، جابر سعيد، رضا ناشد، حكيم بشارة، عزيز جاد الله، وكذلك الفنانان اللذان قاما بعمل الايقونات والمقصورة إيزاك فانوس ومترى خريستومع ليف كبير من الشعب .

وقد قام قداسته بقص الشريط علامة على إفتتاح المقر ثم صعد إلى الدور العلوى بصعوبة شديدة .

+ وفي مجلة الكرازة بتاريخ ٢٤ يناير ١٩٧٥ ورد ما يلي :

تم بناء مبنى جديد للضيافة في دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون إنتهت أعمال الخرسانة والبناء وبقيت أعمال البياض، والبلاط والمبنى من أربعة طوابق : الأول يشمل مكتبة وصالة للاستقبال، والطابقان الثانى والثالث حجرات للضيافة، والطابق الرابع مسكن خاص للأسقف مع صالة كبيرة للاستقبال مع صهريج مياه للدير (الأثرى) كله، وتلحق بالمبنى منارة للدير. وقد تم بناء الثلاثة طوابق في ثلاثة أشهر بهمة كبيرة ومعونة من الرب .

+ وفي عدد ٢٧ يونيو ١٩٧٥ ورد :

إحتفل قداسة البابا يوم الاثنين الماضى ٢٣ يونيو بإقامة القداس الإلهى بمقر دير الأنبا بيشوى بالبطريركية القديمة بالازبكية .

+ وفي عدد ٥ نوفمبر ١٩٧٦ ورد ما يلي :

أشرف نيافة الأنبا صرابامون رئيس دير الأنبا بيشوى على حفر ثلاث آبار إرتوازية جديدة في دير الأنبا بيشوى عمق كل منها حوالى مائة متر وذلك في الناحية القبلية وفي الناحية الشرقية من حديقة الدير .

+ وفي عدد ٣ ديسمبر ١٩٧٦ ورد :

تمت المرحلة الأولى في بناء بيت خلوة بدير الأنبا بيشوى بوادى النطرون بمنظر

يوحى بالفن القبطى الجميل ، كما تبنى فى نفس الدير استراحة لقداسة البابا ومكان يستقبل فيه ضيوفه .

+ فى عدد مارس ١٩٧٧ ورد :

قضى قداسة البابا الاسبوع الماضى فى الدير حيث أشرف على أعمال التعمير فى دير الأنبا بيشوى ... وقد تم إنشاء المبنى الجديد للرهبان الذى يشمل إثنتى عشرة قلاية ، وكذلك تم إنشاء الاستراحة الجديدة من ثلاثة طوابق والدور الأخير بها هو مسكن لقداسة البابا وكنيسة صغيرة .

+ وفى عدد ٣١ أغسطس ١٩٧٧م ورد :

تم بناء مقر بابوى فى دير الأنبا بيشوى من ثلاثة طوابق يشمل أيضاً مضيضة وكنيسة صغيرة ومكتبة وحجرات إستقبال ، أشرف على العمل نيافة الأنبا صرابامون أسقف ورئيس الدير .

+ وفى عدد ١٨ نوفمبر ١٩٧٧م قال قداسة البابا :

كل من يرى هذا الدير يرى يد الله التى عملت فيه . أسوار ، حديقة ترويهها جابية واسعة ، سبع بوابات بمناراتها ، بيت للخلوة للشباب ، مساكن للرهبان ، مساكن للعمال ، بيت ضيافة داخل الدير ، مقر للبابا ومضيضة ، صهاريج للماء ، مخازن . ويشرف على هذا العمل الكبير نيافة الأنبا صرابامون .

+ وفى عدد ٣١/٨/١٩٧٩م ورد :

يقام حالياً مقر جديد لقداسة البابا فى دير الأنبا بيشوى تم فيه إنشاء مسكن خاص للبابا ، وكنيسة خاصة ، وقاعة للاجتماعات ، ومائدة للطعام ، وتقام حالياً مساكن لإقامة الآباء الأساقفة أو الآباء الكهنة عند إجتماعهم بالبابا فى الدير كما يبنى سور ليفصل هذا المقر عن مساكن الرهبان . ويشرف نيافة الأنبا صرابامون على هذا التعمير .

إن الدير مكان هادىء يصلح للتفكير والدراسة بعيداً عن ضوضاء المدينة وضجتها .

الفصل الثالث :

التعمير الرهباني

قال قداسة البابا شنودة الثالث في مجلة الكرازة ٧٨/١١/١٧ ، عن دير الأنبا بيشوى :

[كان هذا الدير على وشك الضياع من كل ناحية ، ففي عام ١٩٦١ أعلن رئيسه السابق المتنيح الأنبا باسيليوس عجزه التام عن إدارته والصرف عليه وشكا الرهبان إلى قداسة البابا المتنيح الأنبا كيرلس السادس أنهم لا يجدون القوت الضروري ، فأحيل الدير إلى نياقة الأنبا ثاؤفيلس رئيس دير السريان للصرف عليه فانفق عليه وسدد ديونه ولكن التعمير الرهباني والعمراني بقيا منتظرين معونة من فوق] .

وحينما إستلم قداسة البابا شنودة الثالث هذا الدير . كان لا يوجد به سوى أربعة رهبان (عدا الذين في الخدمة والمزرعة) . فما الذي حدث للدير خلال السبع سنوات (٧١ - ١٩٧٨) الماضية . أجمل عبارة يمكن أن تقال عن هذا الدير هي قول الزمور : « أعمال مجيدة قد قيلت عنك يا مدينة الله .. » .

ولقد تمت سيامة حوالى ستين راهباً في السبع سنوات الماضية (٧١ - ١٩٧٨) :

+ وفي عدد الكرازة الصادر في ٢١ ديسمبر ١٩٧٩ م ، ورد :

[في يوم الأحد ٩ ديسمبر ١٩٧٩ قام قداسة البابا بسيامة خمسة رهبان جدد في دير الأنبا بيشوى واشترك في السيامة نياقة الأنبا صرابامون رئيس وأسقف الدير ونياقة الأنبا بيشوى أسقف دمياط . وبهذا أصبح رهبان الدير إثنين وتسعين راهباً بيانهم كالاتى :

- + عشرة رهبان قدامى (٤ داخل الدير، ٦ يخدمون خارج الدير).
- + أربعة وستون راهباً قام بسيامتهم قداسة البابا شنودة الثالث وإشترك في سيامة غالبيتهم نيافة الأنبا صرابامون رئيس الدير.
- + راهبان إنتقلا لدير الأنبا بيشوى من دبر الأنبا صموئيل .
- + ستة عشر راهباً انتقلوا لدير الأنبا بيشوى من دير أنبا مقار .

ونلاحظ من هذه البيانات النمو السريع للدير والزيادة المطردة لعدد الرهبان وقد يتساءل البعض وخاصة المؤرخون والصحفيون الأجانب، ما سر هذه الزيادة في عدد الرهبان في الكنيسة القبطية بينما يتناقص عددهم في الكنائس الأخرى وخاصة الغربية .

ونجيب على هذا السؤال من وجهة نظرنا الخاصة فنورد هنا بعض الأسباب التي ساعدت على نمو الرهنة القبطية عامة مثل :

١ - القيادة الحكيمة : التي توفر التنظيم الهيكلي للأديرة وسبل تعميمها والذي بدوره يوفر البيئة الملائمة التي تساعد على نمو الرهنة .

٢ - القدوة الرهبانية الحسنة : والتي تجسد محبة المسيح الفياضة وتوفر مثلاً نسبياً واضحاً لحياة السيد المسيح مثالنا الأعلى والأقدس الذي تشاقق للتشبه به مما يجذب الكثيرين إلى الرهنة ليتبعوه حاملين صليبه .

٣ - الأبوة الروحية : التي تحتضن هذه الغروس الرهبانية وتتعهد بها بالرعاية الأبوية حتى تجتاز فترة الانتقال من حياة العالم والارتباطات العالمية إلى حياة الرهنة والارتباط بالواحد، مع توفير سلاسة التكيف التلقائي بالحياة الجديدة في سعادة وفرح ونمو روحي حقيقى نابع من الداخل دون مظهرية أو إدعاء أو سطحية .

٤ - إنشاء بيوت الخلوة للشباب في الأديرة : مما ساعد على تعرف الشباب على الحياة الرهبانية وانبهارهم بجو الهدوء والتسبيح والتأمل والصفاء الذهني ونقاوة القلب مما جذبهم إلى الحياة الرهبانية .

٥ - إنشاء الطرق وسهولة المواصلات : مما ساعد على زيادة التردد على الأديرة .

٦ - إنتشار الكتب والمحاضرات عن الحياة الرهبانية والديرية : مما ساعد على زيادة الوعي والتعرف على الأديرة والارتباط بها

٧ - كل هذا بجانب الاستعداد الفطري الأصيل عند الأقباط لحياة التقوى والتجرد والبتولية لذلك عاش كثيرون من الأقباط عيشة رهبانية منذ فجر المسيحية .

+ ومن الظواهر الملفتة للنظر إزدياد عدد الجامعيين والمثقفين بين الرهبان وأيضاً تواجد بعض الرهبان حاملى الشهادات اللاهوتية والعلمية العليا ، ففى دير الأنبا بيشوى يوجد حالياً ثلاثة رهبان حاصلين على دبلومات عليا ، وأكثر من سبعة رهبان يحملون درجة الماجستير فى فروع العلم المختلفة قبل دخولهم الدير ، وواحد حاصل على دكتوراه فى اللاهوت بعد الرهنة وواحد حاصل على درجة الدكتوراه فى العلوم الزراعية قبل الرهنة . كما يوجد بين الأطباء من حصل على التخصصات الطبية . وهذا العدد من الرهبان الأكاديميين واللاهوتيين يمثل حوالى ١٠٪ من عدد الرهبان الجامعيين ، وهذا يدل على أن محبة المسيح القوية مازالت تجذب الكثيرين من ذوى المناصب والشهادات والمراكز الاجتماعية ليعيشوا عيشة الفقر الاختيارى والزهد والبتولية والطاعة لأن المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد .

معيشة الرهبان :

١- نظام القبول بالدير :

يتردد طالب الرهنة على الدير فى زيارات متكررة لقضاء فترات خلوة روحية بالدير ليتعرف على الرهنة وأنظمة الدير وليتقابل مع رئيس الدير ويتعرف على بعض الآباء ، وحينما يشعر رئيس الدير بما لدى نيافته من حكمة وخبرة وإفراز- بأن طالب الرهنة محق فى توجهه وجاد فى طريقه حينئذ يسمح له بالبقاء فى بيت الخلوة لمدة ، ويسند له عملاً مناسباً حتى يتعرف أكثر وعن قرب على الدير والرهنة وحتى يختبر مدى قدرته

على الحياة الرهبانية والديرية ومدى إمكانه فطام نفسه من أهله وأصدقائه وقطع كل إرتباطاته العالمية وحتى يعرف رأى أسرته ، وفى خلال ذلك يتعرف الدير على أهليته للرهبنة ومدى صدق رغبته ، وخلوه من الموانع الأسرية والأدبية والقانونية مع التأكد من تأديته للخدمة العسكرية أو الاعفاء منها .

وإذا أثبت تكيفه مع الحياة الجديدة فى الدير بفرح وإستقرار واستعداد للنمو وللطاعة وللنسك والعفة حينئذ يلبسونه جلباب أبيض وغطاء رأس (طاقية) أبيض لمدة حوالى عام أو عامين آخرين ليراجع نفسه ويتفحص مشاعره وإستعداده من خلال معاشته للرهبان ولنظام التسابيح والصلوات والقداصات ومن خلال الاحتكاك اليومي بالآخرين حيث تكشف كل هذه الوسائل عن شخصيته وقامته وضعفاته وصفاته ومدى تقبله للحياة الروحية والنمو فيها .

فإذا صمد كل هذه الفترة (حوالى ثلاث سنين) قبالة الأفكار والتجارب وأظهر مسكنة وطاعة وتأقلماً ووداعة وثبات قلب بفرح وإبتهاج ، حينئذ يزكونه ليلبس شكل الرهبنة فى إحدى مناسبات الدير أو المناسبات الكنسية فى وسط فرح الرهبان والقديسين بإنضمام عضو جديد للطريق الملائكى .

٢- نظام العمل :

يسند لكل راهب أو أخ عمل مناسب لتأكيد عضويته وإنتمائه للدير ولايجاد فرصة للتعرف على نفسه وعلى الآخرين وحتى يشعر أن له وجود مثمر، ويستغل وقت الفراغ حتى لا تهاجه الأفكار المضادة .

ويمكن أن يغير أى راهب أو أخ عمله إذا رغب فى ذلك بالاتفاق مع رئيس الدير وغالباً ما يبدأ الأخ حياته فى الدير بالعمل فى إحدى المجمع (المطابخ أو المطاعم) الخاصة بالرهبان أو الضيوف أو الزوار أو العمال ، ثم تقل فترات العمل وتخف نوعيته مع تقدم الراهب لإفساح مجال أكثر للصلوات والخلوة والسكون ، وتوجد بالدير أعمال كثيرة جداً ومتنوعة مثل :

الأعمال الإدارية، السكرتارية، إستقبال الضيوف، الاهتمام بالضيافة، شرح معالم الدير للزوار من المصريين والأجانب والشخصيات العامة، تنظيم الخدمات الكنسية، مجالات الزراعة والتصنيع الجزئي والإنتاج الحيواني، التسويق ومجالات المبنى وأعمال البياض والصحي، مجالات الميكانيكا والمعدات الزراعية والسيارات والصيانة، مجالات شبكة الكهرباء وأعمال الكهرباء، مجالات التليفونات، المكتبة والبوابات، الاهتمام بشئون العمال من تنظيم العمل والطعام والرعاية الصحية والروحية والاجتماعية، الرعاية الصحية والطبية والصيدلية للرهبان والزوار، مجالات شبكة مياه الشرب والصرف، النظافة، الاهتمام بإعداد طعام الرهبان والعمال والضيوف والزوار. الاهتمام باحتياجات الآباء المتوحدين.

كل هذه الأعمال اليدوية تصاحبها الصلوات العامة والكنسية والطقسية والمزامير والصلوات الخاصة.

٣- الحياة الروحية والكنسية

لكل راهب قانون خاص يتفق عليه مع أب إعترافه لتنظيم الأصوام ونوعية الطعام وأوقات الراحة والنوم والقراءات والمطانيات والمزامير وخاصة الأجيبة والتأملات والخلوات.

وبجانب هذه الأمور الفردية الخاصة بكل راهب أو أخ على حده توجد قداسات يومية بجانب قداسات الآحاد والأعياد والمناسبات كما توجد صلوات التسبحة اليومية التي تبدأ حوالى الساعة الثالثة فجراً كل يوم والتي تتناغم فيها تسابيح الرهبان مع تسابيح السمائيين وصفوف غير المتجسدين فى سكون الليل وصمت الصحراء حيث يتحقق ما ورد فى القداس الإلهى «يا الذى أعطى الذين على الأرض تسبيح السيرافيم»، وحيث يشارك الرهبان عناصر الخليقة كلها فى تسبيح وتمجيد الخالق، بل ويدعون جميع الخلائق لإعلان عظمة الله ومجده.

+ وتوجد أيضاً صلوات جماعية يصلى فيها الرهبان معاً مزامير الأجيبة كلها كل يوم

على فترات صباحية ومساءية حيث يبدأون بصلوات نصف الليل بهجعاتها الثلاثة قبل التسبحة (فجراً) ، ويختتمون التسبحة بصلاة باكر ثم رفع بخور باكر ثم مزامير الثالثة والسادسة قبل تقديم الحمل في أيام الفطر تضاف إليها التاسعة في الصيامات العادية والغروب والنوم والستار في الصوم الكبير ماعدا السبت والأحد . ثم عند المساء يصلون باقى صلوات الأجيية إذ لم يكونوا قد صلوها قبل تقديم الحمل .

ويحرص اسقف ورئيس الدير على الانتظام وروحانية ودقة أداء الصلوات والقداسات والمزامير والحياة الروحية الخاصة بكل أحد مما جعل الدير يتحول إلى فردوس أرضى ، فأصبحت كنائس الدير كلها تقام فيها قداسات يومية (أحياناً يستريحون يوم السبت لإعداد الكنيسة ليوم الأحد) مما يعطى فرصة لأكبر عدد من الرهبان ومن الزوار وشباب بيت الخلوة للإشتراك في القداسات والتناول من المقدسات الإلهية . حيث تحتّم القداسات بمائدة أغابى في الساعة الواحدة بعد الظهر في الأيام العادية والساعة الثالثة بعد الظهر في أيام الصيامات الهامة . أو عقب قداس يوم الأحد مباشرة صباحاً كتعبير عن حياة الشركة والمحبة كما كان يفعل الرسل قديماً (أع ٢ : ٤٢) . أما المتوحدون والحبساء فلهم نظامهم الخاص بكل منهم في نوعية وموعد الأكل .

وهكذا يشعر كل واحد بسعادته إذ ينمو في محبة المسيح وعلاقته الخاصة به من خلال الأسرار المقدسة ووسائل النعمة والمزامير والتسابيح والتأملات والتوبة والصلوات القلبية والفردية والجماعية ، ومن خلال الأبوة الروحية والمحبة الأخوية والقراءات والحرية الداخلية ، والتحرر من رباطات الخطية ، مما يقودنا في طريق الملكوت ببهجة وفرح وبساطة قلب وسعادة لا يعبر عنها .

٤- الحبساء والمتوحدون :

لما إنتظمت الحياة الروحية والتقاليد الرهبانية بالدير بعد التعمير العمرانى والرهبانى برعاية وسهر وتوجيه قداسة البابا شنوده الثالث وشريكه في الخدمة الرسولية نيافة الأنبا صرابامون كان طبيعياً أن يزداد تعمق الرهبان في الحياة الروحية ومحبتهم للهدوء

والسكون، مما دفع كثيرين إلى حياة الوحدة، وبتشجيع من قداسة البابا الذى ذاق عذوبة حياة الوحدة والسكون فى المغارات التى سكن فيها قداسته عدة سنوات ، لذلك شيد قداسته الكثير من القلاى المنفردة داخل الدير وفى الجبل أيضاً خارج الدير حيث أصبح الآن حوالى سبعة عشر راهباً يعيشون فى قلاى منفردة خارج الدير أو فى مغارات كما يوجد حوالى إثنا عشر راهباً من الحبساء داخل الدير لا يخرجون من قلايهم إلا للضرورة القصوى .

ولقد أورد قداسة البابا بعض أقوال ماراسحق السريانى عن السكون فى مجلة الكرازة نقتبس يسيراً منها عن غرض السكون :

[ليكن دخولك إلى السكون بافراز ومعرفة وليس كيفما إتفق ولا بحسب جرى العادة لثلا تكون مثل كثيرين بل ليكن لفكرك غرض وقصد تصوب إليه كل عمل سيرتك وإسأل الذين يعرفون هذا بالتجربة بذواتهم وليس من القراءة فقط ، وكل قدم تضعها فتش وافحص إن كنت فى الطريق سائراً أو زغت إلى بعض السبل التى توصل إلى التوهان . فتش وافحص عن عمل السكون ما هو، ولا تجرى وراء الاسم فقط] .

[قبل كل شىء محتاج هو الذى يجلس (يسكن) فى الوحدة والحبس والسكون وبالأكثر الأخ المبتدئ إلى هذه الأشياء الثلاثة : الغرض المستقيم ، وإلى تكميل خدمة الأوقات (السواعى أو الأجبية) ، وإلى مرشد] .

قال القديس أنطونيوس الكبير لبولا البسيط تلميذه : [من غير تدبير السكون لا يمكن أن ينظر الإنسان نفسه ، وفهم آلامه (ضعفاته) وذلك أن النفس من الاضطراب الذى يلاقيها من الخارج ، ما تقدر أن تتأمل ذاتها فى الحروب المتحركة عليها خفية ، وأما فى السكون والهدوء فتقدر على الفتك بما يتحرك من الداخل مغبوط هو الإنسان الذى يعرف هذا ويلازم السكون والهدوء] (الكرازة ١٦/٦/١٩٨٩) .

هذا هو سر إزدياد عدد الرهبان الراغبين فى الحبس أو السكنى الانفرادية أو التوحد ، كما كان هكذا يكون من جيل إلى جيل .

الفصل الرابع

دير الأنبا بيشوى في خدمة الكنيسة والمجتمع

في عام ١٩٧٦م أى بعد سنوات قليلة من تعمير قداسة البابا شنودة لدير الأنبا بيشوى إستطاع الدير أن يقدم للكنيسة خدمات كثيرة في مجالات متنوعة لخصها قداسته في مجلة الكرازة الصادرة في ١٩٧٦/١/١٦ تحت عنوان «إزدهار الدير عمرانياً ورهبانياً وخدمته الواسعة للكنيسة» قائلاً :

وقد أمكن لدير الأنبا بيشوى في هذه الفترة القليلة التى تولى فيها قداسة البابا الاشراف عليه (٤ سنوات) أن يقدم للكنيسة خدمات كثيرة منها :

١ - سيم من رهبانه ثلاثة من الأساقفة هم أصحاب النياقة الأنبا مرقس أسقف مرسيليا وطولون والأنبا ويصا أسقف البلينا والأنبا بيمن الاسقف العام وعميد معهد الرعاية والتربية .

٢ - سيم من رهبانه أول خورى ابسكوبوس في عصرنا الحديث هو نياقة الأنبا أثناسيوس (لاپيارشية فرنسا) .

٣ - سيم من رهبانه قس فرنسى لخدمة كنائس فرنسا هو الراهب القس باخوميوس (سابقاً : جون بابتست) .

٤ - أرسل من رهبانه القس بيشوى إلى الجزائر والقس باخوم إلى عمان .

٥ - ثلاثة من رهبانه اشتركوا فى التعمير الجديد لدير البراموس وهم : القس تادرس أمين الدير (نياقة الأنبا بنيامين حالياً)، والقس أغاثون وكيل الدير والقس يؤانس .

٦ - أرسل من رهبانه القس أنجيلوس (نياقة الأنبا أمونيوس حالياً) ليكون وكيلاً لإيبارشية الأقصر وإسنا وأرمنت ومشرفاً على دير مارجرجس بالرزىقات .

٧ - خدم بعض رهبانه فى القاهرة والاسكندرية وباقي الإيبارشيات مثل القمص بيستى (حالياً نياقة الأنبا بيستى) بكلية سان مارك بالاسكندرية، والقس أغابيوس (حالياً نياقة الأنبا أغناطيوس) بالكلية الاكليريكية والقس جبرائيل والقس موسى بمقر دير الأنبا بيشوى بالقاهرة، والقمص يوحنا والقمص غبريال (المتنح) بالكنائس، والقمص أرسانيوس بإيبارشية الشرقية، والقمص ابراهيم بالبحيرة، والقمص اسحق بالسودان، والقمص دانيال بعزبة الدير بكفر داود، والقس بولس بالقليوبية، والقمص عازر والقمص قزمان بالقدس .

٨ - وبهذا يكون ٢٤ راهباً من دير الأنبا بيشوى يساهمون فى خدمة الكنيسة فى جيلنا الحاضر داخل مصر وخارجها . وعلى الرغم من هذه الخدمة الواسعة فالدير فى البرية عامر بالرهبان يزداد عددهم يوماً بعد يوم وتضيق بهم قلالى الدير .

٩ - استطاع الدير أيضاً أن يحتضن كل الكهنة الجدد الذين سيموا للقاهرة والاسكندرية والبحيرة ودمياط والجيزة وطنطا وأسوان والدقهلية والقليوبية وأن يسلمهم طقس الكنيسة وألحانها حيث قضوا فيه الأربعين يوماً بعد الرسامة .

١٠ - كما أقام الدير بيتاً للخلوة يأتى إليه مئات الشباب حيث يقضون فترات روحية تنشط حياتهم ويتمتعون فيها بالدير وبالبرية ويسIRON فى الصحراء حتى يتعبون من السير واذ بهم ما يزالون داخل أسوار الدير .

هذا ما ذكره قداسة البابا عام ١٩٧٦ عن خدمة الدير للكنيسة .

والآن عام ١٩٩٠م يمكننا أن نوجز ما قدمه دير الأنبا بيشوى للكنيسة فيما يلى :

أولاً : الأباء الأساقفة :

قدم الدير للكنيسة وللمجمع المقدس تسعة عشر أسقفًا وخوري ابسكوبس :

١ - نيافة الحبر الجليل الأنبا صرابامون : رئيس الدير والذي ترهب بدير السريان في ١٩٥٩/١٢/٧ وسيم أسقفًا عامًا في ١٩٧٣/٦/١٧ للاشراف على دير الأنبا بيشوى وجرى تنصيب نيافته رئيساً للدير في ١٩٧٧/٥/٢٩ م.

٢ - نيافة الأنبا ويصا : ترهب في ابريل ١٩٧٢ باسم الراهب مكاريوس وسيم أسقفًا للبلينا في ١٩٧٥/٦/٢١ م.

٣ - نيافة الأنبا مرقس : ترهب في ١٩٧٤/٥/٥ م وسيم أسقفًا لمرسيليا وطولون بفرنسا في ١٩٧٤/٦/٢ م.

٤ - المتنيح الأنبا بيمن : ترهب في ١٩٧٣/٦/٢٣ م باسم الراهب أنطونيوس وسيم أسقفًا على ملوى وأنصنا في ١٩٧٦/٦/١٣ م.

٥ - نيافة الأنبا أمونيوس : ترهب في ٧٣/٦/٢٣ م باسم الراهب أنجيلوس وسيم أسقفًا للأقصر في ٧٦/٦/١٣ م.

٦ - نيافة الأنبا تادرس : ترهب في ١٩٧٤/٥/٥ م باسم الراهب أرسانيوس وسيم أسقفًا لبورسعيد في ١٩٧٦/١١/١٤ م.

٧ - نيافة الأنبا أغناطيوس : سيم أسقفًا للسويس في ١٩٧٧/٥/٢٩ م.

٨ - نيافة الأنبا بسادة : ترهب في ٧٤/٧/٧ م باسم الراهب ابرام وسيم أسقفًا لأخميم وساقلته في ١٩٨٠/٥/٢٥ م.

٩ - نيافة الأنبا أندراوس : ترهب في ٧٣/٣/٢٣ م باسم الراهب أنجيلوس وسيم أسقفًا لابوتيج وصدفا في ١٩٨٠/٥/٢٥ م.

١٠ - نيافة الأنبا أشعيا : ترهب في ٧٧/٨/٢٥ م باسم الراهب حنانيا وسيم

أسقفاً على طهطا وجهينة في ٨٠/٥/٢٥.

١١ - نيافة الأنبا فام : ترهب في ٧٧/١٢/١٥ باسم الراهب مينا وسيم أسقفاً على طما في ٨٠/٥/٢٥.

١٢ - نيافة الأنبا مرقس : ترهب في ٧٦/١٠/٦ باسم الراهب أنطونيوس وسيم خورى ابسكوبوس في ٧٨/٦/١٨ ثم أسقفاً عاماً للقليوبية في ١٩٨٥/٦/٢.

١٣ - نيافة الأنبا ابرام : ترهب في ٧٧/٣/٢٣ باسم الراهب تيموثاوس وسيم أسقفاً للفيوم في ١٩٨٥/٦/٢.

١٤ - نيافة الأنبا سراييون : ترهب في ٧٩/٨/٦ باسم الراهب سراييون وسيم أسقفاً عاماً للخدمات في ١٩٨٥/٦/٢.

١٥ - نيافة الأنبا بيسنتى : ترهب في ٧١/٨/٢٥ وسيم أسقفاً عاماً في ٨٦/٦/٢٢ وأسقفاً لخلوان والمعصرة في ٨٨/٥/٢٨.

١٦ - نيافة الأنبا لوكاس : ترهب في ٧٧/٣/٢٣ باسم الراهب أرسانيوس وسيم أسقفاً لأبنوب والفتح في ٨٦/٦/٢٢.

١٧ - نيافة الأنبا أغابىوس : ترهب في ٧٧/١٢/١٥ باسم الراهب ويصا وسيم أسقفاً لدير مواس في ٨٨/١١/١٤.

١٨ - نيافة الأنبا أثناسيوس : ترهب في ٧٤/٥/٥ وسيم خورى ابسكوبس لفرنسا في ٧٤/٦/٢.

١٩ - نيافة الأنبا بموا : ترهب في دير السريان وسيم قساً في دير الأنبا بيشوى في ١٩٧٢/١/١٢ وسيم خورى ابسكوبس في ٧٨/٦/١٨ لدير مارجرجس بالرزىقات.

ثانياً : تعمير الأديرة الأخرى :

١ - أرسل قداسة البابا شنودة الثالث من رهبان وطالبي الرهبنة بدير الأنبا بيشوى لتعمير الأديرة الأخرى . فلقد أرسل سبعة أخوة طالبي رهبنة عام ١٩٧٩ لتعمير دير القديس الأنبا أنطونيوس كما أرسل القمص شنودة الأنبا بيشوى للإشراف عليه لبعض الوقت .

٢ - دير مارجرجس بالرزىقات : سام قداسة البابا خمسة رهبان بدير الأنبا بيشوى فى ٧٨/٨/٢٠ وأرسلهم لتعمير دير مارجرجس بالرزىقات .

٣ - دير القديس باخوميوس بحاجر ادفو (أسوان) : فى ٧٦/٦/٢٣ سام قداسته راهباً بدير الأنبا بيشوى ثم سامه قساً فى ٧٦/١١/١٤ وأرسله لتعمير دير الأنبا باخوميوس ، كذلك فى ١٩٧٨/١/٢٨ سام قداسته أربعة رهبان بدير الأنبا بيشوى وأرسلهم لنفس الدير لتعميره وأيضاً فى ٧٩/١٢/٩ سام راهباً آخر لنفس الغرض .

٤ - دير البراموس : أرسل قداسته ثلاثة رهبان من دير الأنبا بيشوى لتعمير دير البراموس .

٥ - دير الأنبا شنوده (الأبيض) ودير الأنبا بيشاى (الأحمر) بقرب سوهاج (جبل أدريّة) : أرسل إليهما قداسته خمسة رهبان من دير الأنبا بيشوى لتعميرهما منذ ١٩٨٥ .

٦ - دير السيدة العذراء بالحواويش : أرسل إليه قداسة البابا راهباً من دير الأنبا بيشوى لتعميره .

٧ - دير الملاك بجبل أخميم (عرب بنى واصل) : أرسل إليه قداسة البابا ثلاثة رهبان من دير الأنبا بيشوى لتعميره .

٨ - دير الملاك غبريال بجبل النقلون (بالفيوم) : أرسل إليه قداسته راهبين من دير الأنبا بيشوى لتعميره .

٩ - دير السيدة العذراء بالحمام (بنى سويف) : أرسل إليه قداسة البابا راهباً من دير الأنبا بيشوى لتعميره .

١٠ - الدير القبطى بنيروبي بكينيا : أرسل إليه قداسة البابا راهبين من دير الأنبا بيشوى لتأسيس الرهبة فيه .

١١ - دير الأنبا أنطونيوس بكاليفورنيا : أرسل إليه قداسة البابا راهبين من دير الأنبا بيشوى لتأسيس الرهبة فيه تحت اشراف نياقة الأنبا صرابامون رئيس دير الأنبا بيشوى .

ثالثاً : سكرتارية قداسة البابا والمقر البابوى بالدير :

يعمل فى سكرتارية قداسة البابا والمقر البابوى أربعة رهبان من دير الأنبا بيشوى .

رابعاً : فى خدمة الكنزة والرعاية :

أوفد قداسة البابا كثيرين من رهبان دير الأنبا بيشوى للعمل الرعوى فى مانشستر (بريطانيا)، وسويسرا، واليونان، وأمريكا، ونيروبي (كينيا)، والسودان، والأردن، والعراق، ودبي، والكويت، وأبوظبى، ومسقط، والبحرين، والقدس، ولبنان، وسوريا .

وأيضاً فى القاهرة والاسكندرية، والبحيرة وبعض بلاد الصعيد كما يعمل الآباء الرهبان المشرفون على مقر دير الأنبا بيشوى بالقاهرة، ومقره بالاسكندرية فى خدمة العمل الرعوى أيضاً .

خامساً : الكلية الإكليريكية :

كلف قداسة البابا بعض الرهبان من دير الأنبا بيشوى فى فترات متباعدة للتدريس فى الكليات اللاهوتية بالقاهرة وسوريا .

سادساً : تسليم الطقس الكنسى للكرينة الجرد :

جميع أفواج الكهنة الجدد الذين يرسمهم قداسة البابا شنودة للقاهرة والاسكندرية والمهجر والبلاد الخارجية . وكذلك كهنة كثير من الايبارشيات يحضرون لدير الأنبا بيشوى عقب سيامتهم مباشرة لقضاء فترة أربعين يوماً للخلوة والتأمل والامتلاء والتحصيل وتشرب الطقس الكنسى والقداس الإلهى والالحان مع توفير كافة وسائل المعيشة والراحة ويستضيف الدير بكل الترحاب أيضاً أسرهم وشعب الكنائس التى كانوا يخدمون فيها أو التى رسموا عليها . ويقوم الدير بعمل الاحتفال وتوزيع الشربات يوم تسلمهم الذبيحة المقدسة .

سابعاً : بيت الخلوة :

أنشأ قداسة البابا شنودة الثالث بيتاً للخلوة ليقضى فيه الشباب فترة من الوقت للتأمل والعبادة والمشاركة فى القداسات الإلهية والتسابيح والصلوات والامتلاء الروحى ، حتى يستمدوا طاقة روحية تعينهم على السلوك الروحى السليم فى المجتمع ، ومنهم من تجذبه الحياة الديرية لينضم إلى الرهبان . وكذلك أنشأ قداسته أيضاً مبنيين للخلوة الروحية للأخوات لها سور خاص خارج الدير وعلى مساحة كبيرة .

ثامناً : العمل المسكونى :

يرحب الدير برجال الدين من جميع الكنائس والبلدان ويستضيفهم بكل محبة وتكریم كما يرحب الدير بالأفواج السياحية للراغبين فى السياحة الدينية والتى لا تنقطع صيفاً ولا شتاءً ، والدبلوماسيين والدارسين وكذلك العاملين بوسائل الاعلام الاجنبية ويقدم لهم واجب الضيافة ونبذة عن تاريخ الأنبا بيشوى وتاريخ الدير

والرهبنة القبطية ، وانتشارها في العالم كله ، كذلك ملخص تاريخ الكنيسة القبطية الكارزة ومساهماتها في نشر المسيحية والحضارة في ربوع المسكونة في العصور المسيحية الأولى ، والنشاط المسكوني المعاصر الذي تقوده الكنيسة القبطية بقيادة البابا شنودة الثالث . كما يرحب الدير بجميع المواطنين والرحلات المدرسية والجامعية ومختلف شرائح المجتمع للوقوف على تاريخ الحياة الرهبانية كجزء من تاريخنا الوطني وتراثنا القومي مما يزيد تلاحم أبناء الوطن والتعرف على جذورهم مما يرسخ الانتماء الوطني .

ثامناً : يتشرف دير الأنبا بيشوى باختصاصه بوجود المقر البابوي في ربوعه حيث يستضيف قداسة البابا الاجتماعات والمؤتمرات المسكونية ولجان ولقاءات الوحدة الكنسية وطلاب الاكليريكيات القبطية وغيرها ولقاءات اللاهوتيين والدارسين من مختلف الكنائس ولجان مجلس الكنائس العالمي ، واستضافة رؤساء وممثلي ووفود الكنائس المختلفة من أرجاء المسكونة كما تعقد به كثير من لجان المجمع المقدس والمجلس الملي ، واحتفالات عيد رهبنة قداسة البابا وعيد جلوسه .

عاشراً : أمد قداسة البابا مكتبة الدير بمجموعات نادرة من الكتب من مكتبة قداسته الخاصة أو مما قدم إلى قداسته كهدايا بجانب ما تبقى من مكتبة الدير القديم إذ تحوى الآن حوالى ١٥ ألف كتاب وتؤدي المكتبة رسالة هامة ليس فقط للرهبان بل ولجميع الدارسين المصريين والأجانب وترحب بتبادل المخطوطات المصورة على الميكروفيلم أو الميكروفيش إثراء للثقافة العامة والحضارة الإنسانية .

الباب الخامس :

أحداث تاريخية كنسية

لقد حظى دير القديس العظيم الأنبا بيشوى بوادى النطرون بمناسبات وأحداث تاريخية كثيرة فى العصر الحديث ، ويرجع ذلك لإنشاء المقر البابوى به فأصبح محط أنظار العالم كله سواء من جهة النشاط الكنسى المسكونى أو من جهة أخبار واكليروس وأبناء الكنيسة القبطية بمصر والمهجر أو من جهة الاعلام المحلى والعالمى والعربى أو من جهة السياحة الداخلية والخارجية بما تمثله من دعاية طيبة لمصر والمصريين فى أرجاء المسكونة قاطبة ، وأيضاً من جهة المسئولين الرسميين والأكاديميين .

اجتماعات ولقاءات تاريخية

لقد شهد دير الأنبا بيشوى القابع فى وسط صحراء وادى النطرون مناسبات تاريخية هامة كثيرة، فلقد تجمعت فيه كثير من الشخصيات الهامة من وزراء وعمد أجنب ورؤساء طوائف وشخصيات كنسية ورسمية ودولية مرموقة، وعقدت فيه اجتماعات هامة مع الكنائس المختلفة من أجل التقارب بين الكنائس ومناقشة القضايا اللاهوتية وأمور الوحدة الكنسية كما عقدت فيه كثير من اجتماعات المجمع المقدس للكنيسة القبطية ولجانه المختلفة وكل ذلك فى المقر البابوى بالدير.

وفى المقر البابوى بالدير أيضاً إستقبل قداسة البابا كثيراً من أفواج الشباب القبطى بالمهجر وطلبة فروع الكلية الاكليريكية القبطية من امريكا واستراليا وتفرغ قداسته لهم ليشبعهم من دسم تعاليم الكنيسة القبطية الأصلية والنقية لكى يضع أساساً إيمانياً ولاهوتياً أرثوذكسياً سليماً لكنائسنا فى المهجر. فمتى كان الاساس سليماً وقوياً كان البناء صلباً وشامخاً.

وكذلك استقبل قداسته جميع أساتذة وطلبة فروع الكلية الاكليريكية القبطية بمصر سواء من القاهرة أو الاسكندرية أو المنوفية أو طنطا أو المنيا أو دير المحرق أو البلىنا، حيث يستمتعون بلقاء قداسته لينهلوا من فيض علمه وروحانيته وأبوته: كما إستقبل قداسته بمبنى المؤتمرات بالمقر البابوى بالدير أساتذة وطلاب الكليات الاكليريكية واللاهوتية من مختلف الطوائف بمصر والخارج فى الفترة من ١٤-١٦ فبراير ١٩٨٦م. حيث يلتقون بالتعاليم الأرثوذكسية لكنيستنا القبطية الأصيلة والتلمذة، مما جعلهم ينبهرون بالكنيسة القبطية وباباها العظيم وهذا جعلهم يقدررون ويجلون شأن وعظمة وأصالة الكنيسة

القبطية بتاريخها المجيد وآبائها العظماء أمثال أثناسيوس وكيرلس وديوسقوروس وكليمنضس وبنتينوس وديديموس وأوريجانوس حيث يجدون أن النبع اللاهوتي الآبائي مازال متدفقاً بقوة من الكنيسة القبطية الآبائية الرسولية ممثلة في قداسة البابا شنودة وأحبار الكنيسة الاجلاء وعلمائها المخلصين ، ولذلك فليس عجباً أن نرى أشهر جامعات أوروبا وأمريكا وكياناتها اللاهوتية تتسابق لنيل شرف إهداء الدكتوراه الفخرية لقداسة البابا شنودة الثالث .

ومن المناسبات التاريخية الهامة بدير الأنبا بيشوى انعقاد كثير من الاجتماعات المسكونية الهامة والتي اتخذت فيها قرارات تاريخية خاصة بالأمور اللاهوتية مثل « طبيعة السيد المسيح » التي نوقشت مع الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة اليونانية :

١ - فلقد اجتمعت اللجنة الدولية المشتركة بين الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية بدير الأنبا بيشوى بوادى النطرون حيث تم التوقيع على صيغة مشتركة حول طبيعة ومشئة السيد المسيح وذلك يوم ١٢ فبراير ١٩٨٨ وهذا هو نص الاتفاق التاريخي :

« نؤمن أن ربنا يسوع المسيح الكلمة المتجسد هو كامل فى لاهوته وكامل فى ناسوته ، وجعل ناسوته واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا تشويش ، ولاهوته لم ينفصل عن ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين ، وفى نفس الوقت نحرم تعاليم كلاً من نسطور وأوطاخى » .

٢ - كما اجتمعت لجنة الحوار اللاهوتي بين الكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية البيزنطية (وهى تضم ١٤ كنيسة) والكنائس الأرثوذكسية الغير خلقيدونية (وهى تضم ٦ كنائس) فى الفترة من ٢٠ - ٢٥ يونيو ١٩٨٩م ، بدير الأنبا بيشوى بوادى النطرون وبعد المناقشات المستفيضة تم التوقيع على الصيغة المشتركة للإتفاق بين الجانبين الخلقيدونى والغير خلقيدونى على أن يعرض هذا الاتفاق على المجامع المقدسة للكنائس المشتركة للحصول على الموافقة النهائية على صيغة الاتفاق المشترك وهذا حدث تاريخي نادر .

٣ - وفي الفترة من ١٦ - ١٩ نوفمبر ١٩٨٧م تم لقاء خاص بالمقر البابوي بدير الأنبا بيشوى بين أصحاب الغبطة بطاركة الكنيسة القبطية قداسة البابا شنودة الثالث، وكنيسة الاسكندرية للروم الأرثوذكس في مصر وأفريقيا غبطة البطريك بارثينوس الثالث. وكنيسة أنطاكية للروم الأرثوذكس غبطة البطريك أغناطيوس هزيم الرابع، وكنيسة الأرمن الأرثوذكس غبطة البطريك كراكين الثانى. وأصدروا بياناً مشتركاً عن الوحدة الأرثوذكسية بين الكنائس الخلقيدونية والغير خلقيدونية. ومن دير الأنبا بيشوى بصحراء وادى النطرون أطلق البطاركة الأربعة مناشداتهم لكافة أتباع كنائسهم أن «يواصلوا تعميق وعيهم بالشركة العميقة في الإيمان هذا وأن يتعاملوا كل واحد مع الآخرين بإعتبارهم إخوة وأخوات يشاركون نفس الإنجيل ونفس الإيمان ونفس المهمة التى أوكلت إليهم من قبل ربهم الواحد».

٤ - كما تم لقاء مسكونى حول التنمية وذلك بالمقر البابوي بدير الأنبا بيشوى بوادى النطرون في الفترة من ٦ - ٧ فبراير بدعوة من قداسة البابا شنودة الثالث الذى افتتح اللقاء الذى حضر فيه بطريك الروم الأرثوذكس بمصر ورئيس الطائفة الإنجيلية والمعاون البطريكى للأقباط الكاثوليك ومطران الكنيسة الأسقفية بمصر والامين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط.

٥ - مؤتمر الرهبنة الأرثوذكسية :

عقد بالمقر البابوي بدير الأنبا بيشوى بوادى النطرون مؤتمر الرهبنة الأرثوذكسية في الفترة من ٣٠ أبريل إلى ٤ مايو ١٩٧٩ وكان موضوع البحث في المؤتمر هو علاقة الرهبنة بالخدمة مع بحث موضوع التكريس وخدمة المرأة في الكنيسة.

ولقد أقام قداسة البابا مبنى خاص للمؤتمر على مساحة ٢٤٠ متراً مربعاً يتكون من طابقين وتم تشطيبه في زمن قياسي قبل إنعقاد المؤتمر إذ كان العمل يجرى فيه ليل نهار بدون توقف.

وكان قداسة البابا شنودة الثالث قد عين نياقة الأنبا باخوميوس أسقف البحيرة والخمس مدن الغربية ليكون أحد رئيسي المؤتمر وافتتح قداسته المؤتمر بالصلاة.

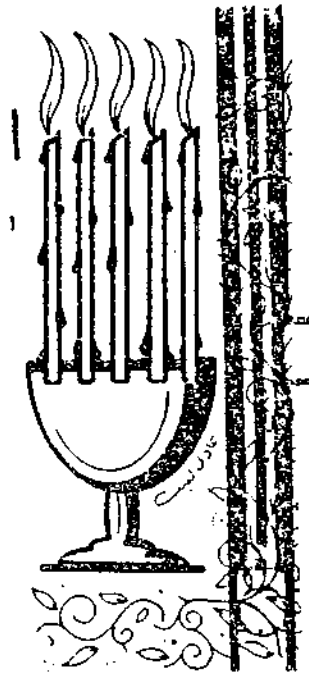
وورد فى مجلة الكرازة عدد ٤ مايو ١٩٧٩ ما يلى :

«يسرنا أن يعقد مؤتمر أرثوذكسى للرهبنة ، فهذا عمل مسكونى جميل له هدفه الروحى ولا موضع للخلافات العقيدية فيه. إنه حدث تاريخى لأنه الأول من نوعه ، ويسرنا أن ينعقد هذا المؤتمر الرهبانى المسكونى فى كنيستنا القبطية التى أسست الرهبنة ونشرتها فى العالم .

وقد اشترك فى هذا المؤتمر ممثلون لكنائس القسطنطينية واليونان وروسيا وأنطاكية وأمريكا ورومانيا وبلغاريا وقبرص وفنلندا وأوروغواى وأثيوبيا وأرمينيا وأنتلياس والهند وجورجيا والكنيسة القبطية . وحضره مراقبون من الكاثوليك (ايطاليا) والانجليكان (انجلترا) ومجلس الكنائس العالمى وأخوية الشماسات (فرنسا) كما حضره بعض الراهبات أيضاً ...

واشترك فى خدمة المؤتمر من يقوم بأعمال السكرتارية والآلة الكاتبة والتصوير والتسجيل بالإضافة إلى واجبات الضيافة » .

وفى العدد التالى لمجلة الكرازة (٧٩/٥/١١) ورد أن أعضاء وفود المؤتمر « اعجبوا بالحياة الرهبانية القبطية ، وتأثروا حتى بمنظر الصحراء بل أن بعض الأعضاء صرحوا أنهم يودون لوبقوا فى الدير (الأنبا بيشوى) »



الفصل الثاني

الميرون المقدس

ميرون : كلمة يونانية معناها طيب (رائحة طيبة) .

لأنه عبارة عن خلاصة المكونات العطرية المستخلصة بزيت الزيتون النقي مع الغليان والتقليب ، وقد تم إعداده للمرة الأولى بواسطة تلاميذ السيد المسيح بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين ، ووزعوه على الكنائس في العالم كله لإستخدامه بواسطة الكهنة في سر التثبيت أو المسحة المقدسة بعد المعمودية ولمسح الملوك وتدشين الكنائس والمذابح وأدوات المذبح والايقونات .

وقد أعاد طبخه وتجديده البابا أثناسيوس الرسولى بالاسكندرية مع إضافة ما تبقى من الميرون الأصيل على الميرون الجديد ثم أرسل منه إلى الكنائس المختلفة في روما والقسطنطينية وأنطاكية كما أرسل نسخة لطريقة عمله (بنفس الطريقة التى وضعها الرسل) .

ومن ثم كان يعاد طبخه (كلما احتاج الأمر لذلك) بواسطة البابا والاساقفة والكهنة بالمقر البابوى بالاسكندرية قديماً . ولكن بعض الآباء البطارقة قاموا بصنع الميرون في برية شيهيت بدير القديس مكاريوس (كما ورد في كتب الميرون الموجودة بمكتبة الدار البطيركية والمتحف القبطى) مثل :

البابا مرقس الثالث عام ١١٧٨م - البابا كيرلس بن لقلق عام ١٢٣٦م - البابا أثناسيوس الثالث ١٢٥٧م - البابا يوانس الثامن ١٣٠٥م - البابا بنيامين الثانى ١٣٣٠م - البابا بطرس الخامس ١٣٤٢ ، ١٣٤٦ م ، البابا يوانس العاشر ١٣٦٩م .

البابا غبريال الرابع ١٣٧٤م وهو آخر من طبخه في البرية ، ثم إنتقلت أدوات طبخ الميرون في عهد البابا متاؤس الثانى إلى كنيسة حارة الروم (التى كانت بطيركية حينئذ) حيث تم طبخه فيها عام ١٤٥٨م ثم صار يطبخ بالكنائس التى بها مقر البابا بالقاهرة .

وفى عهد قداسة البابا شنودة الثالث قام بطبخ الميرون مرتين فى عام ١٩٨١م وفى عام ١٩٨٧ بدير القديس العظيم الأنبا بيشوى بواى النطرون، وبهذا أخذ الدير بركة عظيمة من هذا الحدث الكنسى العظيم .

أولاً : ميرون عام ١٩٨١م

+ ورد بمجلة الكرازة الصادرة فى ١٩٨١/٢/١٣ أن الاحتفال بعمل الميرون جعل دير الأنبا بيشوى دائب العمل ليلاً ونهاراً فى بناء الأماكن اللازمة لإستضافة الآباء الأساقفة والآباء الكهنة والرهبان وأفراد الشعب والعمل على تشطيب هذه المباني فى أسرع وقت وما يلزمها من أنواع متعددة من الأثاث .

وكذلك إعداد ما يلزم صنع الميرون من مواد وزيت ومواقد وأوان وما يلزم لتعبئته وتوزيعه على الإيبارشيات والكنائس .

+ وفى عدد الكرازة الصادر فى ١٩٨١/٢/٢٠ جاء ما يلى :

سيكون صنع الميرون المقدس فى الأسبوع السادس من الصوم الأربعينى المقدس حسب التقليد الأول منذ القديس أثناسيوس الرسولى وحسب طلب الآباء الأساقفة . وتعد فى الدير حالياً أماكن إقامة لخمسين من الأحبار الأجلاء أعضاء المجمع المقدس ...، كما أن قداسة البابا قد حجز بيوت الخلوة فى السريان والبراموس للضيوف، وكذلك تُعد الكنيسة الكبرى فى دير الأنبا بيشوى لصنع الميرون المقدس .

إنها أيام تاريخية فى برية شيهيت .

+ وحركة عمل أخرى فى إعداد كل ما يلزم الميرون من الأواني والمواقد والمواد ووسائل التعبئة (الكرازة فى ١٩٨١/٤/٢م) .

وعمل علمى فى إعداد الكتب اللازمة لهذا الطقس الكنسى ومراجعتها وطبعها .

وعمل آخر فى إعداد التذاكر والدعاوى وفى كل الأمور الإدارية والتنظيمية اللازمة لحفظ هدوء الدير أثناء الزيارات .

مع إعداد مجموعة من آلات الفيديو وآلات التصوير والسينما لتسجيل هذا الحدث

التاريخى بالصوت والصورة .

كل هذا مع تركيب مكبرات للصوت خارج الدير وبعض الدوائر التلفزيونية .

بالإضافة إلى ما ينشغل به الدير من أعماله العادية الخاصة بالعبادة في فترة الصوم المقدس ، وأيضاً أعمال الزراعة التى تلزم فى موسمها وقد سافر قداسة البابا إلى الدير صباح السبت ٣/٢٨ ليشرّف على كل هذه الاعدادات مع نيافة الأنبا صرابامون رئيس الدير .

+ وفى عدد الكرازة الصادر يوم ١٠/٤/١٩٨١ م :

أهم عملية فى إعداد الميرون هى قداس تقديس الميرون والغاليلاون (أى زيت البهجة) وهذه ستم يوم الخميس ١٦/٤/٨١ بمشيئة الرب ، وبحضرها كل من يمكنه الحضور من الآباء الأساقفة . ثم إيداع الخميرة المقدسة القديمة فى الميرون الجديد وسيتم ذلك فى خلال قداس ثانى يوم عيد القيامة (شم النسيم) فجرأ .

يسبق كل هذا إعداد الأفاوية (الدق - الطحن - النخل - الوزن - الخلط - تركيب الخلطات) ثم أربع طبخات . وبعدها إضافة الدرور (العطور) إلى الزيت ومواد الميرون السابق طبخها . وستبدأ هذه (العمليات) فى موعد مبكر إنشاء الله ابتداء من عيد البشارة المجيد ٤/٧ . وقد إستقبل قداسة البابا فى الدير الاستاذ عزيز جاد الله الذى قدم كل المواد التى يصنع منها الميرون المقدس ، وكان قد استوردها من الهند وأسبانيا . وحضر معه بعض أعضاء مجلس كنيسة حارة زويلة .

وقد أعدت التذاكر الخاصة بالزيارة ويمكن إستلامها من الدير أو من المقر البابوى .

+ وفى عدد الكرازة يوم ٧/٤/٨١ وردت أخبار طبخ الميرون « بدراسة مستفيضة لصنع الميرون المقدس وجد أنه - لكى يكون مثالياً فى صنعه - يحتاج إلى عدة أيام من العمل المتتابع منها :

● يومان على الأقل لدق المواد الزيتية والعطرية الصلبة الداخلة فى تركيب الميرون ، مع سحق الكل (ما عدا المواد السائلة) ونخلها ووزن المقادير اللازمة لكل طبخة .

● أربعة أيام للأربع طبخات الخاصة بالميرون .

● يومان أحدهما خاص بطبخ الدور (العطور) والثاني خاص بالغاليلون مع ترك كل طبخة فترة لتبرد ثم تصفى .

● يوم لصلاة التقديس يعقبها القداس الإلهي وهذا هو أهم الأيام وقد تحدد له يوم الخميس ١٦/٤ في الاسبوع السادس يحضره جميع الآباء الأساقفة مع ما يستطيعونه من الأيام السابقة إذ لا يستطيع الكل أن يتغيبوا عن إيبارشياتهم مدداً طويلة خلال الصوم المقدس .

وقد أرسل قداسة البابا بطاقات الدعوة إلى جميع أعضاء المجمع المقدس لحضور عمله (الميرون) وتقديسه .

● تتم الخلطة المقدسة بالخميرة الموجودة في قداس يقيمه قداسة البابا فجر ثاني يوم عيد القيامة المجيد .

● يحضر الميرون القداسات التي تقام يومياً بالدير .

+ وفي عدد الكرازة الصادر يوم ٢٤/٤/٨١ ورد :

لأول مرة تستخدم الأجهزة الحديثة - ولأول مرة تستخدم في صنعه مواقد حديثة يمكن التحكم في نارها - ولأول مرة تأخذ عملية صنع الميرون عشرة أيام كاملة من العمل المتواصل - ولأول مرة يسجل عمل الميرون بالأجهزة الحديثة مثل الفيديو والسينما والشرائح - ولأول مرة يعرض على الحاضرين شرح موجز لكل عملية من عمليات الميرون - ولأول مرة يشترك في طبخ الميرون مع قداسة البابا ٤٩ اسقفاً - ولأول مرة تأتي عشرات الآلاف من الناس من شتى الإيبارشيات لحضور صنع الميرون ونوال بركته المقدسة في رحلات متابعة كل يوم على الرغم من صنع الميرون في البرية وليس في العاصمة - ولأول مرة يقام فيها لصنع الميرون إعلام صحفى ضخم يجذب الانظار إليه - ولأول مرة يعمل فيها الميرون في دير القديس العظيم الأنبا بيشوى - ولأول مرة يحضر صنع الميرون كهنة لنا من أمريكا وكندا وإنجلترا وألمانيا وفرنسا وكنيا وأبوظبى ودبى وبغداد ومن أستراليا أيضاً - ولأول مرة تعرض مواد الميرون البالغ عددها ٢٨ على الشعب ليتعرف عليها . ولأول مرة تحفظ عينات من هذه المواد في متحلب الدير

لمعرفتها ودراستها فلا تكون مجرد اسماء في ذاكرة المؤرخين .

ثانياً : ميرون عام ١٩٨٧م

تم عمل الميرون هذه المرة في الأسبوع السابق لأسبوع الآلام مباشرة مع الاعداد له قبل ذلك بفترة طويلة .

في يوم الاثنين ٣٠ مارس ٨٧ دخل موكب قداسة البابا إلى كنيسة الأنبا بيشوى حوالى الساعة الخامسة بعد الظهر ومعه الآباء الأساقفة والكهنة والرهبان والشمامسة يرددون لحن إفلوجيمينوس .

+ ثم حمل كل واحد من الآباء الأساقفة والكهنة مادة من مواد ومكونات الميرون في حجرة الميرون بالكنيسة وساروا في موكب مهيب وطاقوا بها الكنيسة يتقدمهم حاملي الصليب وكان قداسة البابا يقف أمام الهيكل يبارك هذه المكونات عند مرورها أمام قداسته .

ثم وقف قداسته أمام منضدة كبيرة موضوعة أمام الهيكل حيث وضع الجميع ما معهم من مكونات الميرون عليها وأخذ قداسة البابا يشرح كل مكون من هذه المكونات الثمانية والعشرين . ثم أعلن بداية العمل في طحن ووزن ونخل وخلط ونقع مواد كل طبخة .

+ وفي مساء الأربعاء أول أبريل وصل موكب قداسة البابا والاساقفة والرهبان لإعطاء الشكل لسته من الرهبان الجدد تمهيداً لرسامتهم صباح اليوم التالى . ودعى أحدهم بإسم الراهب ميرون . تخليداً لهذا الحدث المبارك ، ثم استأنف العمل في إعداد الميرون .

+ وفي صباح الخميس تمت سيامة الرهبان الجدد وتم إعداد الطبخة الأولى من الساعة ١٠ صباحاً حتى الساعة ٩ مساءً ، وتتكون كل طبخة من ستة أوانى نحاسية ضخمة كل منها على موقد بوتاجاز ، وكان الآباء الأساقفة والكهنة والرهبان يتبادلون الصلوات والتسابيح وتقليب المكونات في الزيت داخل الأوانى بملاعق خشبية كبيرة .



المنارة الجديدة ومدخل الدير بعد ترميمه وتجديده وبجانبه دورات المياه الجديدة .



قصر الضيافة الجديد الذي أنشأه قدااسة البابا شنودة ، وتظهر في الصورة المنارة وجزء من الحصن القديم .



▲ تعمير واستصلاح الأراضى الرملية .



جانب من جابيات الماء (الترع الصناعية) لرى
المزروعات .





قلالى جديدة للرهبان وخزان المياه .



إحدى مزارع دير الأنبا بيشوى
(الموالح) حيث يستخدم أحدث ما
وصل إليه العلم من وسائل الري
(المدفع).
(مركز ومدينة وادى النظرون)



جانب من حظيرة المواشى بمزرعة الدير
الأثرى ...



« مزارع البط » تعد من المزارع الهامة في توفير البط للمدينة وخارجها
وتتبع مزرعة دير الأنبا بيشوى (مركز ومدينة وادى النطرون) .

« مزارع الأرانب » والتي كان لها دور كبير في توفير اللحوم البيضاء
وتتبع مزرعة دير الأنبا بيشوى .





أول مبنى جديد لسكنى الرهبان .

تمت أول مرحلة فيه عام ١٩٧٨ وتم تكملته حتى عام ١٩٨٣ م .

مبنى قلاى رهبان تم بناؤه عام ١٩٨٣ م .





تم بناء هذه المباني الثلاثة
الجديدة لسكنى الرهبان في
الفترة من عام (٨٤-٨٨).





قام قداسة البابا شنودة الثالث ببناء
مبنيين للخلوة الروحية للشابات
والسيدات وذلك على مسافة أربعة
فدادين في الأراضى المواجهة للدير
القديم .

مبنى العيادات الخاصة بالدير
ويظهر كنيسة الأنبا شنودة ومدرج
المحاضرات الخاصة بقداسة البابا .





مبنى الخدمات لكبار الزوار.



مبنى ضيافة.



مبنى ضيافة البطارقة ورؤساء الكنائس.



مبنى ضيافة للأساقفة والكهنة
والزوار.

▼ مقر قداسة البابا شنودة الثالث
ويشمل سكن خاص، صالات
مقابلات، قاعة محاضرات، مكتبة
خاصة كبيرة، وكنيسة جديدة
باسم القديس الأنبا شنودة رئيس
المتوحدين.





في احدى اللقاءات المسكونية مع
وفد الكنيسة الكاثوليكية .



قداسة البابا شنودة الثالث ونيافة الأنبا
صرابامون في الاحتفال بعيد تنويع قداسته
الذى يقام كل عام بالدير.





قداسة البابا أثناء صلاة القداس الإلهي ومعه
نياافة الأنبا صرابامون رئيس الدير وبعض
الآباء الكهنة من رهبان الدير.



قداسة البابا شنوده الثالث يرحب بابنائه
شباب المهجر بالمقر البابوي بدير الأنبا
بيشوى .



قداسة البابا مع شباب استراليا عند استقباله
لهم في الدير أثناء رحلتهم إلى مصر.



قداسة البابا شنودة الثالث ومعه نياقة الأنبا
صرابامون رئيس الدير في الرحلة التاريخية إلى
بلاد المهجر.



قداسة البابا شنودة الثالث وسط أبنائه بالدير
في قداس أحد الشعانين .



قداسة البابا مع نياقة الأنبا صرابامون في هيكل
القديس الأنبا بيشوى .



الآباء الذين تمت سيامتهم أساقفة من دير الأنبا يشوى .





السيد المسيح «ضابط الكل» وخيرة الميرون المقدس وزيت
الغاليلاون (زيت البهجة) في شرقية الهيكل الرئيسي (الأوسط)
لكنيسة الأنبا يشوى بديره العامر (ابريل ١٩٨٧).

المكونات ٢٦ لزيت الميرون المقدس وأوعية طبخ مكونات الميرون
بالغليان في زيت الزيتون.



قداسة البابا شنودة الثالث والأساقفة والكهنة أثناء طبخ الميرون
القدس في ابريل ١٩٨٧م.





قداسة البابا شنودة الثالث يضيف خيرة الميرون المقدس للزيت المحضر حديثاً (ابريل ١٩٨١م)

+ وفى صباح الجمعة تمت تصفية محتويات كل إناء (قزان) وتجميع الزيت والاتفال فى إناء آخر وحده لتمهيد التجميع النهائى لها واستخلاصها بزيت نقى ليصنع منها الغاليلاون.

ثم تم إعداد الطبخة الثانية التى إستمرت حتى المساء وتكرر هذا العمل يوم السبت أيضاً (الطبخة الثانية).

+ والطبخة الثالثة يوم الأحد. والطبخة الرابعة يوم الاثنين. وفى يوم الثلاثاء تم إضافة الدرور وطبخها. وفى يوم الأربعاء تم تجميع الاتفال (المتبقية من تصفية الطبخات الأربعة) وأضيف إليها زيت الزيتون النقى وتم طبخها فى القزانات الستة ثم تصفيتها للحصول عى زيت الغاليلاون المستخدم فى تقديس ماء المعمودية ودهن المعمد قبل نزوله إلى المعمودية.

+ وتم تقديس الميرون يوم خميس العهد ووضع خيرة كل من الميرون والغاليلاون فجر يوم الاثنين (شم النسيم).

+ ولقد حضر إعداد الميرون غالبية الأحبار أعضاء المجمع المقدس وكثير من الآباء الكهنة بمصر والخارج ورهبان الأديرة وجموع غفيرة من الشعب.

+ وكانت فرحة عارمة وبركة عظيمة وخاصة لدير القديس الأنبا بيشوى.

+ ومازال الميرون بكنيسة الدير وجرى توزيعه على كل الكنائس القبطية فى مصر والخارج، ولا يحمله إلا الكهنة فقط مثلما كان الحال مع دهن المسحة المقدس فى العهد القديم (خر ٣٠ : ٢٢ - ٣٢). إذ أن الله قال لموسى إن هذا الدهن «يكون دهناً للمسح المقدس».

وهكذا نال دير القديس الأنبا بيشوى بركة وشرف إعداد وطبخ زيت الميرون المقدس مرتين متتاليتين فى عهد قداسة البابا شنودة الثالث.

فليتمجد اسم الله القدوس

المراجع

- + الكتاب المقدس + الخولا جى المقدس + الابصلمودية المقدسة
- + تأملات فى حياة القديس أنطونيوس لقداسة البابا شنوده الثالث ١٩٨٠ م .
- + أعداد مجلة الكرازة .
- + دليل المتحف القبطى وأهم الكنائس والأديرة الأثرية بقلم مرقس سميكة ج ١٩٣٢ م .
- + السنكسار القبطى .
- + السنكسار القبطى اليعقوبى لرئيسه باسيه
- + دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية للدكتور حكيم أمين ١٩٦٣ .
- + الأديرة المصرية العامة للقمص صموئيل تاوضروس السريانى ١٩٦٨ .
- + مخطوطة ٢٩٠ ميامر ١٤٣٦ ش ١٧٢٠ م بدير السريان .
- + مخطوطة ٣٠٨ ميامر ١٣١٤ بدير السريان .
- + مخطوطة ٥٢٨ ميامر بدير الأنبا بيشوى .
- + نسكيات اسحق السريانى - منشورات النور .
- + أقوال الآباء الشيوخ - منشورات النور .
- + سلم السماء ودرجات الفضائل - تعريب دير مارجر جس الحرف .
- + سمو الرهبنة - نيافة الأنبا متاؤس .
- + هستوريا موناخورم تعريب الراهب بولا البراموسى .
- + طقس سيامة الرهبان وحياة كبار قادة الرهبنة القس زخارياس الأنطونى .
- + وادى النظرون وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة - للأمير عمر طوسون ١٩٣٥ .
- + تاريخ الكنائس والأديرة فى القرن الثانى عشر لأبى المكارم إعداد الراهب صموئيل السريانى .
- + عمارة الكنائس والأديرة الأثرية بمصر - الراهب صموئيل السريانى .
- + الدليل إلى الكنائس والأديرة القديمة من الجزيرة إلى أسوان - قسم العمارة القبطية .
- + سلسلة تاريخ بابوات الكرسي الاسكندرى - للشماس كامل صالح نخلة .
- + تاريخ البطاركة - لساو يرس بن المقفع - الناشر القس صموئيل السريانى .
- + قاموس آباء الكنيسة وقديسيها - كنيستس مارجر جس باسبورتنج .
- + البتولية - ترجمة أحد آباء دير السريان فبراير ١٩٦٦ م .
- + الكتب الصادرة من الأديرة القبطية بمصر عن تاريخ الرهبنة بها .

الفهرست

صفحة

اهداء	٩
مقدمة	١٠
الباب الأول في نشأة وأصالة الرهبنة القبطية	١٣
الفصل الأول : نشأة الرهبنة القبطية	١٤
الفصل الثاني : قواعد الرهبنة القبطية	١٩
الفصل الثالث : أصالة نشأة الرهبنة القبطية	٤٣
الفصل الرابع : الدور الكنسى والروحى للرهبنة القبطية	٥٩
الفصل الخامس : الدور الحضارى والعالمى للرهبنة القبطية	٦٧
من الآداب الحضارية للرهبنة القبطية	٧٧
عظمة الرهبنة القبطية	٨٥
الباب الثانى : حياة ومعجزات القديس العظيم الأنبا بيشوى	٨٩
الفصل الأول : أضواء على حياة القديس العظيم الأنبا بيشوى	٩٠
نشأة القديس	٩٤
رهبنته	٩٥
نياحة القديس الأنبا بيشوى	١١٤
من أقوال القديس الأنبا بيشوى	١١٥
عودة جسد القديس الأنبا بيشوى إلى شيهيت	١١٦
المصادر الأصلية لسيرة القديس العظيم الأنبا بيشوى	١١٩
أوصاف وفضائل القديس الأنبا بيشوى كما أوردتها الألمان الكنسية	١٢٠
الفصل الثانى : تلاقى النجوم الساطعة	١٢٦
القديس الأنبا بموا الكبير	١٢٧
القديس العظيم الأنبا يحنس القصير	١٣٢
القديس الأنبا بولا الطموهى	١٤١

١٤٥	الفصل الرابع : معجزات معاصرة للقديس العظيم الأنبا بيشوى
١٧٧	الباب الثالث : دير الأنبا بيشوى فى مرحلة ما قبل التعمير المعاصر
١٧٨	الفصل الأول : نشأة الرهبنة بوادى النطرون
١٨٦	تأسيس الأديرة الأربعة بالاسقيط
١٨٨	عدد الأديرة والرهبان فى وادى النطرون
١٩٤	الفصل الثانى : تاريخ دير الأنبا بيشوى
١٩٤	الفصل الثانى : تاريخ دير الأنبا بيشوى
٢٠٥	الفصل الثالث : وصف دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون
	الفصل الرابع : شهداء وبطاركة وأساقفة وقديسون من رهبان الدير فى مرحلة
٢٢٩	ما قبل التعمير المعاصر
٢٣٦	الفصل الخامس : الشئون الرهبانية فى مرحلة ما قبل التعمير المعاصر
٢٤٥	الباب الرابع : قصة التعمير المعاصر ودير الأنبا بيشوى اليوم
٢٤٦	الفصل الأول : قصة التعمير
٢٥٣	الفصل الثانى : التعمير الزراعى والعمرانى
٢٦٨	الفصل الثالث : التعمير الرهبانى
٢٧٥	الفصل الرابع : دير الأنبا بيشوى فى خدمة الكنيسة والمجتمع
٢٨٣	الباب الخامس : أحداث تاريخية لا تنسى
٢٨٤	الفصل الأول : اجتماعات ولقاءات تاريخية
٢٨٨	الفصل الثانى : الميرون المقدس
٢٩٤	المراجع

